الجغرافيا العامة

موضوعات مختارة

دكتور احمد على إسماعيل
أستاذ الجغرافية
كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٩٩٥ - ١٩٩٦

دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢ ش سيف الدين المهرانى - الفجالة
ت : ٥٩٠٤٦٩٦

الجُغرافيَا العَامَّة

موضوعات مختارة

دكتور احمد على اسماعيل

أستاذ الجغرافية

كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٩٩٥ - ١٩٩٦

دار الثقافة للنشر والتوزيع

٢ ش سيف الدين المهرانى الفجالة

ت : ٥٩٠٤٦٩٦

مقـــــدمة

أصبحت الجغرافيا تشكل موضوعا دراسيا أساسيا فى كثير من الكليات والمعاهد ، وأصبح غير الجغرافيين أكثر حاجة إلي مؤلفات فى بعض فروعها يمكن أن تمثل بداية للتعرف على هذه المادة ، والجغرافيا العامة أحد المناهج التى انتشر تدريسها فى كثير من أقسام التاريخ والاجتماع وكليات ومعاهد السياحة ، وذلك لتقديم الجغرافيا لطلاب هذه التخصصات . وربما يكون هذا الكتاب الذى يقوم على أساس انتقاء لبعض الموضوعات من الجغرافيا العامة وعرضها للطلاب محاولة فى هذا الاتجاه .

وقد اخترت أن أعرض لبعض مفاهيم الجغرافيا وفروعها المختلفة ثم لأهمية الخريطة والتعامل معها ، وبعد ذلك يتناول الكتاب بعض أجزاء من الجغرافيا الطبيعية ممثلة فى أبعاد والأرض ومكوناتها وأشكال السطح الرئيسية وتوزيعها على القارات ، وأما الأجزاء التى تعرض للشق البشرى فهى تتناول السكان وبعض الفصول عن الدولة ومقوماتها والحدود السياسية ثم عرض جغرافى للخريطة السياسية للعالم .

وأسأل الله أن يسد هذا الكتاب ثغرة وأن يلبى طلبا وأن يكون فيه فائدة للطلاب والباحثين .

أحمد على إسماعيل

حدائق الأهرام
٢٦ ربيع الآخر ١٤١٦ هـ
٢٢ سبتمبر ١٩٩٥ م

الفصل الأول

علم الجغرافيا

تعريفه ، تطوره وفروعه

يمثل علم الجغرافيا أحد الأركان الهامة فى المعرفة الإنسانية ، وهو يشكل ركيزة أساسية للثقافة ، فنحن فى حياتنا اليومية نتعامل مع الجغرافيا دون أن ندرى أحيانا ، ففى نشرات الأخبار وفى الصحف والمجلات وفى مختلف وسائل الإعلام نسمع ونقرأ عن دول تقام بها احتفالات أو مناسبات عالمية مثل دورات الالعاب الاولمبية ، أو زيارات يقوم بها المسئولون من دولة أخرى ، أو نسمع عن وقوع ثورة أو انقلاب عسكرى وتغير فى نظام الحكم أو نرى ثورة لبركان أو حدوث الأعاصير والسيول أو الزلازل التى تدمر بعض مناطق من العالم ، أو أن موجه الجفاف قد أثرت على كثير من الدول الإفريقية مما أدى إلى حدوث المجاعة بها ، أو أن موجه حارة حدثت فى قطر ما أدت إلى إتلاف المحاصيل أو أن أسراب الجراد قد هاجمت الحقول فى منطقة من العالم ، كل هذه الأمور وغيرها ترتبط على نحو أو آخر بالجغرافيا لأن كل تلك الأحداث وقعت فى أماكن معينة من الأرض فإذا تعرفنا عليها فنحن إذن ندرس الجغرافيا .

وفى العالم الذى نعيش فيه اليوم ، لم يعد هناك مكان بعيد عن الآخر ، ولم يصبح أى قطر من الأقطار نائيا عن غيره ، وذلك لأن ثورة وسائل النقل والاتصال قد سهلت ربط أجزاء العالم ببعضها البعض ، حتى أصبح الانسان يسمع ويرى الأحداث فى لحظة وقوعها ، وأصبح لدى المواطن العادى فى أى قطر نوع من الحس العالمى وإذا كان الأمر كذلك فإن المثقف فى حاجة إلى تأصيل لهذه المعرفة

الجغرافية التى تنمى فيه الاحساس بالعالمية وتجعله أكثر فهما لما يجرى فى العالم من حوله وأكثر معرفة بمواقع الأحداث بل ومسبباتها ونتائجها أحيانا .

ولعلنا نسأل فى البداية :

ما هى الجغرافيا ؟

الجغرافيا علم قديم ، عرفه الإنسان منذ نشأته الأولى على سطح الارض ، حيث كان من الضرورى له أن يتعرف على المكان الذى نشأ فيه ، والذى لابد له من معرفة خصائصه من معالم السطح والمناخ والنبات والحيوان الذى يعيش فيه وموارد المياة التى تتوفر به وذلك حتى يستطع أن يؤمن حياته ضد الأخطار والمخاطر .

أما المعنى الحرفى لكلمة جغرافيا ، أو المصدر اللغوى الذى اشتقت منه هذه الكلمة فيرجع إلى لفظتين فى اللغة اليونانية القديمة وهما Ge بمعنى الأرض والتى أصبحت فى اللغة اللاتينية Geo واما المقطع الثانى فهو Graphia بمعنى كتابة أو رسم أو صورة وبهذا يصبح معنى اللفظتين معا صورة الأرض Geographia والتى تحولت بعد ذلك فى اللغات الأوربية الحديثة إلى Geography فى الانجليزية أو Géographie فى اللغة الفرنسية ، وقد عرفها العرب بهذا الإسم بعد اتصالهم بالفكر والمعرفة اليونانية واللاتينية فكانوا يستخدمون مصطلح جغرافيا أو علم تقويم البلدان فى بعض الأحيان وذلك بعد أن ترجمت للعربية الكتب الجغرافية اليونانية فى القرون الأولى بعد ظهور الإسلام .

ولا يقف مفهوم الجغرافيا عند الوصف فقط ، ولكنه يمتد إلى التحليل والربط والتفسير أو التعليل ، بمعنى أن الجغرافيا لا تسأل فقط عن « أين ؟ » توجد الظاهرة محل الدراسة ولكنه من الضرورى أن تسأل ايضا « لماذا ؟ » وأن نبحث عن العلاقات والأسباب فمثلا لا نكتفى عند دراسة توزيع الجبال بمجرد معرفة أماكن وجودها ولكن لماذا توجد حيث هى ولا توجد فى مناطق أخرى ،

ويرتبط ذلك بتطور تاريخ الأرض من الناحية الجيولوجية ، وكذلك نحن لا نكتفى بمعرفة توزيع مناطق زراعة القمح أو القطن وأين توجد هذه المناطق فى هذه الاماكن دون غيرها ، ويرتبط ذلك بمعرفة ما يحتاجه كل محصول منهما من ظروف التربة والمياه اللازمة للنمو ودرجة الحرارة المناسبة فى كل فصل من فصول نمو النبات ، ومراحل تطوره ، وكذلك مدى الحاجة إلى هذا المحصول من حيث الاستهلاك البشرى ، وبنفس الطريقة نسأل عن مناطق توزيع البترول ولماذا يوجد فى هذه المناطق دون غيرها ، ونبحث عن الأسباب وهى وجود حياة نباتية وحيوانية قديمة تعرضت لتكوين رواسب فوقها وتعرضت للضغط والحرارة عبر عصور جيولوجية وفى نوعية معينة من الصخور .

ومن الناحية البشرية قد نسعى إلى معرفة توزيع السكان فى العالم ، وأين يتركز السكان وترتفع كثافتهم ، وأين تقل أعدادهم وتنخفض كثافاتهم ويرتبط ذلك إما بوفرة المناطق الزراعية أو وجود مصادر المياة أو الرواسب والخامات المعدنية أو المناطق الساحلية والبحرية بمعنى أننا لا نقف عند حد توزيع السكان فقط ولكن من الضرورى تفسير هذه الصورة من صور التوزيع وتعليل أسبابها .

وكذلك الحال بالنسبة لشبكات النقل والمواصلات أو لحركة السياحة ، فمن الطبيعى أنه إذا تعرفنا على الأماكن السياحية فى قطر ما أو فى العالم كله أن نسأل أنفسنا ما هى المزايا التى جعلت الناس يتجهون إلى هذه الأماكن بقصد السياحة ، وما هى الوسائل التى يستخدمونها للانتقال من مواطنهم إلى تلك الأماكن السياحية ؟ وما هى الآثار الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على ذلك .

تطور علم الجغرافيا:

الجغرافيا علم له تاريخ قديم ، وقد نشأ مع الحضارات القديمة فى كل من مصر والعراق والهند وبلاد فارس والصين ، حيث نجد مصورات جغرافية أو أجزاء

من خرائط ، كما أن نقوش المعابد فى مصر تتسم بالتوجيه الجغرافى ، فعند الإشارة إلى الجماعات والشعوب التى توجد جنوب مصر توجد هذه الاشارة فى جنوب اللوحة أو النقش أما الجماعات التى توجد فى شمال مصر فتوجد الإشارة إليهم فى شمال اللوحه أو النقش وهكذا ،كما توجد خريطة مصرية قديمة لأحد مناجم الصحراء الشرقية وهى ترجع إلى العصر الفرعونى وتوجد محفوظة بمتحف تورين ، وكذلك نجد بعض الخرائط لبابل القديمة فى العراق .

وأما الحضارة اليونانية فقد أنتج بعض مفكريها مؤلفات تدخل فى مجال الجغرافيا مثل هوميروس وهيرودوت وأفلاطون وأرسطو ، وإلى جانب هؤلاء الأدباء والمؤرخين والفلاسفة فقد ظهر جغرافيون متخصصون من أمثال إراتوستين واسطرابون وبطليموس وفارنيوس ، وقد استمر ذلك فى العصر الرومانى .

وفي الحضارة العربية ظهرت أسماء كثير من الجغرافيين المسلمين الذين تركوا تراثا جغرافيا ممتازا ، وفى البداية اعتمد المسلمون على ترجمة الجغرافيا اليونانية ثم ظهرت المؤلفات العربية الخالصة فى الجغرافيا على أيدى كل من الإدريسى وابن حوقل والإصطخرى وابن خرداذبة والمقدسى والهمذانى والبيرونى وابن بطوطه وابن خلدون .

وفى العصور الأوربية الوسيطة بدأ تطور الجغرافيا يفيد من حركة الكشوف الجغرافية ، وبخاصة تلك التى قام بها كل من الأمير هنرى الملاح وفاسكوداجاما وماجلان وماركوبولو ، ثم ظهر بعد ذلك صناع الخرائط مثل من مركاتور الذى ابتكر المسقط الذى ينسب إليه وأتى بعده جغرافيون ورسامون فى الوقت نفسه مثل ريتر وهمبولت حيث ظهرت فى أعمالهما بعض الخرائط للعالم .

ويعتبر كل من الكساندر فون همبولت Alexander von Humboldt (١٧٦٩ - ١٨٥٩) وكارل ريتر Ritter (١٧٧٩ - ١٨٥٩) من رواد المدرسة الجغرافية

الحديثة وخاصة فى المانيا ، فقد بدأت الجغرافيا الحديثة على أيديهما فى الواقع ، وبينما اهتم ريتر بدراسة الأقاليم والجغرافيا الإقليمية فإن همبولت قد اتجه إلى الجغرافيا الأصولية ونظر إلى العالم ككل وخاصة فى دراسته للأنماط المناخية والنباتية وتوزيعها على سطح الأرض ، وقد سار أتباعهما وتلامذتهما على نهجهما خلال القرن التاسع عشر وإن ظل تأثيرهما حتى منتصف القرن العشرين .

أما الجغرافيا البشرية فقد تطورت خلال القرن التاسع عشر وخاصة بعد ظهور كتاب داروين « أصل الانواع » ، ولكن التطور الأكثر فعالية حدث على يد راتزل Ratzel الذى يعتبر مؤسس الجغرافيا البشرية وذلك من خلال كتابه Anthropogeographie الذى ربط فيه بين الظاهرات الطبيعية والبشرية .

ومن اهم اضافات راتزل فكرة الحتم البيئى Geographical Environmentalism أو الحتمية Determinism وكذلك من خلال مناقشته لأثر البيئة على الإنسان ، حيث يرى أن البيئة تؤثر على الإنسان فى كل مظاهر نشاطه وتقوم بتوجيهه .

وكان من أتباع راتزل فى مدرسة الحتم الجغرافى أو البيئى كل من ديمولان Demolins فى فرنسا الذى كتب فى مطلع القرن العشرين كتابه الذى يحمل عنوان Comment La Route a creé Le Type Sociale أو كيف أدى الطريق إلى خلق النمط الاجتماعى كما كانت الآنسة الين سمبل Ellen Semple من أهم تلاميذ راتزل فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد أسهم كل من ديمولان والمس سامبل فى تطور مفهوم الحتم البيئى ، وكيف أن الأنسان لا يستطيع إلا أن يكون أسير بيئته التى تقدم له مع المشكلات حلولا .

ولعل كتاب المس سامبل الذى يحمل عنوان تأثير البيئة الجغرافية يحمل فكرة الحتم البيئى بكل وضوح ، حيث تقول فيه :

« الإنسان هو نتاج سطح الأرض ، وهذا لا يعنى أنه ابن الأرض التى ربته

وأطعمته ، وواجهته بالمشاكل ووجهت أفكاره ، وجابهته بالمصاعب التى أدت إلى تقوية بدنه وصقل مهارته وقد واجهته بمشاكل الملاحة أو الرى ، وهمست له فى الوقت نفسه بحلول تلك المشاكل ، لقد تخللت لحمه وعظامه وروحه وعقله ، ومنحته فى المناطق الجبلية ساقا قويه العضلات لتمكنه من أن يتسلق المنحدرات ، بينما تركت عضلات ساقيه ضعيفة فى المناطق الساحلية لتعطيه عوضا عن ذلك صدرا عريضا وذراعا قوية يضرب بهما المجداف ·

وتوجد مدرسة جغرافية أخرى تقابل المدرسة الحتمية وتناقضها وهى مدرسة الإمكانية أو الاحتمالية Possibilism التى ترى أن الإنسان ليس خاضعا تماما لسيطرة البيئة ، ولكنه يعدل من ظروفها بحيث تلائمه ، ولقد كان من رواد هذه المدرسة فى الفكر الانجليزى جريفث تايلور Griffith Taylor وفى المدرسة الفرنسية كل من لوسيان فيفر Lucien Febvre وفيدال دى لابلاش Visal de la Blache ومن رأى هؤلاء أن الخصائص الحضارية والتنظيم الاجتماعى الذى يحدثه الإنسان يعمل على التأثير فى البيئة ، ويعد كتاب فيدال دى لابلاش عن الجغرافيا البشرية الذى ظهر فى عام ١٩٢١ أهم معالم هذا الاتجاه فهو يتضمن القول بأن تفسير كل عناصر النشاط البشرى يرتبط بالبيئة ويتأثر بها ، لأن الجغرافيا علم العلاقات بين الأرض والإنسان وأن كلا منهما يؤثر فى الآخر ويتأثر به ، فقد شق الإنسان الأنفاق فى الجبال وأنشأ شبكات الرى وطهر الطرق الملاحية وشق الترع بل إنه شق قنوات تصل بين البحار مثل قناة السويس ، وحول مناطق المراعى الطبيعية إلى مزارع للقمح ، وأنشأ السدود والقناطر والخزانات على الأنهار ونظم جريانها ، والإنسان بذلك يعمل على تعديل سطح الارض وإعادة تشكيله وإن كان ذلك بقدر محدود ، إلا أنه يعدل البيئة بما يتفق مع حاجاته ·

كما قام جان برون Jean Brunhes تلميذ لابلاش بتنظيم وتقسيم الأساس العلمى لمنهج الجغرافيا البشرية وفروعها وذكر منها الجغرافيا السياسية والجغرافيا

الاجتماعية والجغرافيا الصحية ، وظهرت جهود المدرسة الفرنسية فى موسوعة جغرافية ضخمة من ١٥ مجلدا عنوانها Géographie Universelle .

ومن أتباع المدرسة الاحتمالية ظهر فى بريطانيا فلير Fleure وفى الولايات المتحدة كارل ساور Carl Sauer وقد أثرت المدرسة الامريكية فى ظهور عدد من المصطلحات التى شاع استخدامها فى المؤلفات الجغرافية مثل Physical or Natural Landscape أو المظهر الطبيعى ويشمل السطح والمناخ والتربة والنبات والموارد الطبيعية والأحوال المائية والبحار والمحيطات والسواحل ، ويقابل ذلك عناصر البيئة البشرية أو الحضارية أو المظهر البشرى Cultural Landscape الذى يشمل أعمال الإنسان وآثاره ويتضمن دراسة السكان والعمران والإنتاج الاقتصادى والنقل والمواصلات والنشاط الذى أدى إلى ظهور الدول والوحدات السياسة .

ومن أحدث تعريفات الجغرافيا ما يذكر على أنها العلم الذى يعنى بدراسة المكان أو الأشياء وأين توجد ، ولكن تنبغى أيضا الإشارة إلى تفسير وجود الأشياء ، فالجغرافيا لا تسأل أين فقط ولكن لماذا أيضا ، أى لماذا توجد الأشياء حيث هى ولا توجد حيث لا توجد ، ومن هنا يكون من الضرورى استخدام الربط والتحليل والتعليل أو السببيةCausality بما يفسر وجود الأشياء أو عدم وجودها فى المكان .

كما ظهر على يد الجغرافى الامريكى ريتشارد هارتشورن Richard Hart-shorne تعريف جديد للجغرافيا ، حيث ذكر أنها علم التباين الأرضى Areal Dif-ferentiation حيث أنها العلم الذى يرتبط بمحاولة توزيع الظاهرات وتفسيرها ، ولما كانت أجزاء العالم غير متماثلة فإنه توجد بها أنماط مختلفة تؤدى إلى ظهور تنوع يعرضه الجغرافى ، ولو كان التماثل قائما فى كل مكان على سطح الأرض لما كان هناك مجال لعلم الجغرافيا ، ومن هذه الفكرة يظهر أن الجغرافيا تدعو إلى التكامل وأن ذلك يؤدى بدوره إلى السلام .

فروع علم الجغرافيا :

تمثل الأرض مجال الدراسة الجغرافية ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن المقصود بالأرض هو سطح الأرض وما يرتبط به من ظاهرات طبيعية أو بشرية ، وبمعنى آخر فإن الأرض التى يهتم علم الجغرافيا بدراستها تضم عددا من الأغلفة على النحو الاتى :

١ - **الغلاف الصخرى** Lithosphere ويقصد به الصخور التى تتكون منها اليابسة على شكل قارات ، كما يضم أيضا قيعان البحار والمحيطات وما تتركب منه صخور كل منها .

٢ - **الغلاف المائى** Hydrosphere ويقصد به المحيطات والبحار والبحيرات والمسطحات المائية والمجارى المائية كالأنهار .

٣ - **الغلاف الجوى** Atmosphere ويشمل نطاق الهواء والغازات التى تحيط بالكرة الأرضية ، وهذه الغازات لا رائحة لها ولا طعم وتتكون من غازات أهما النتروجين بنسبة ٧٨ ٪ والأكسوجين بنسبة ٢١ ٪ تقريبا والأرجون بنسبة تقل عن ١ ٪ وثانى أكسيد الكربون بنسبة ٠٣ ، ٪ تقريبا إلى جانب عدد من الغازات الأخرى مثل الهيدروجين والأوزن ، وترتبط هذه الغازات بالأرض بفعل الجاذبية ومعظمها يمتد إلى ارتفاع يتراوح بين ستة كيلو مترات و ٢٧ كيلو مترا من منسوب سطح الأرض ولا توجد أى غازات على ارتفاع ٦٠٠ كيلو متر ، وهذا الغلاف يضم الهواء الذى تتنفسه الكائنات الحية إلى جانب أنه يؤثر فى المناخ من حرارة ورطوبة ورياح وأمطار .

٤ - **الغلاف الحيوى** Biosphere ، وهو الذى توجد فيه مختلف صور الكائنات الحية سواء على اليابس أو فى الماء أو الهواء ، وغالبا فإن هذا الغلاف

يصل إلى ١١ كيلو مترا تحت مستوى سطح البحر وحوالى عشرة كيلو مترات فوق مستوى سطح البحر ·

ويلاحظ أن الأغلفة السابقة تشكل فى جملتها ما يدخل فى نطاق أحد شقى الجغرافيا الأساسيين وهو الجغرافيا الطبيعية ، أما الشق الآخر من الجغرافيا فيشمل دراسة الإنسان وتوزيعه على سطح الأرض ومختلف صور تنظيمه للبيئة واستغلاله لها سواء على شكل مراكز عمرانية من مدن وقرى أو شبكات النقل والمواصلات والرى والنشاط الاقتصادى والتنظيم السياسى للأرض فى شكل دول ·

والجغرافيا أصلا علم تركيبى يأخذ من مختلف العلوم ويربطها بالأرض والنشاط البشرى فهو مثلا يأخذ من علم الاقتصاد ما يخدم الجغرافيا الاقتصادية ومن علم الاجتماع ما يخدم الجغرافيا الاجتماعية ومن علم السياسة ما يخدم الجغرافيا السياسية ومن علم الجيولوجيا ما يخدم دراسة أشكال سطح الارض (الجيومور فولوجيا) ومن علم النبات ما يخدم الجغرافيا النباتية ومن علم الحيوان ما يخدم الجغرافيا الحيوية وهكذا ، وتعرف هذه الفروع من الجغرافيا عادة باسم الجغرافيا الأصولية سواء كانت فروعا للجغرافيا الطبيعية أو الجغرافيا البشرية ، أما اذا طبقت على منطقة ما أو اقليم ما فإنها عندئذ تعرف باسم الجغرافيا الاقليمية وذلك بدراسة كل عناصر الجغرافيا الطبيعية والبشرية فى منطقة متجانسة تعرف باسم الاقليم ·

أما أهم الفروع أو الاقسام فى كل من الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية فهى على النحو التالى :

أولا : الجغرافيا الطبيعية :

وهى تنقسم إلى الفروع الأساسية التالية :

١ - **جغرافية السطح** : وتعرف أحيانا بجغرافية التضاريس ، والسطح إما

أن يتكون من تضاريس موجبة أى ترتفع عن مستوى سطح البحر وتضم القارات والجزر ، وإما من تضاريس سالبة وتشمل المسطحات المائية الكبرى وهى المحيطات والبحار المفتوحة وبذلك فإن جغرافية السطح تدرس كلا من الغلاف الصخرى والغلاف المائى ، ويطلق على دراسة البحار والمحيطات اسم الاشيانوجرافيا -Ocea nography (أو الأقيانوجرافيا) أما دراسة معالم السطح وأشكاله عامة فتعرف باسم الجيومورفولوجيا Geomorphology وهى تدرس العوامل التى تشكل سطح الأرض سواء كانت عوامل باطنية كالزلازل والبراكين أو عوامل ظاهرية مثل عوامل التعرية والنحت والإرساب وهى تتأثر بقوى كل من الجو وأثره أو المياة الجارية على شكل أنهار أو سيول ، أو أثر الأمواج والتيارات البحرية على السواحل أو أثر الجليد فى النحت والنقل والإرساب ، كما تدرس أشكال الوحدات التضاريسية والعمليات التى تحدث لها ، سواء فى الماضى أو فى الحاضر .

٢ - جغرافية المناخ : وهى تدرس الغلاف الجوى وأثره فى تشكيل العناصر المناخية المؤثرة على سطح الأرض من الضغط الجوى والحرارة والرياح والرطوبة والأمطار ، ولا تكتفى الجغرافيا المناخية بعرض هذه العناصر وإنما تبحث فى أسباب حدوثها ونتائج ذلك وهى تفيد كثيرا من علم المناخ والمترولوجيا -Meteorol ogy أو علم الظواهر الجوية ، ولهذا العلم كثير من الفوائد التى تخدم الزراعة والملاحة البحرية والجوية وحركة الإنسان عموما ، كما أن دراسة المناخ التفصيلى تفيد كثيرا فى دراسة الحركة السياحية نظرا لأن للمناخ أثرا كبيرا فى بعض العمليات السياحية وخاصة رياضات التزلج على الجليد والماء وحركة الاصطياف والمنتجعات ومناطق الشتاء الدفيئة ، كما أن للمناخ أثره الكبير فى حركة الطيران والنقل عامة .

٣ - الجغرافيا الحيوية : ومجال الدراسة فى هذا الفرع تشمل دراسة النبات الطبيعى فى جغرافيا النبات وهى تهتم بدراسة كافة صور الحياة النباتية الطبيعية

أى التى لم يزرعها الإنسان ويدخل فى ذلك دراسة الغابات ومناطق الأعشاب والحشائش وتوعياتها وقيمتها وكيفية المحافظة عليها ومتطلباتها من حرارة ورطوبة أو أمطار لكى تستمر فى الوجود ، كما تشمل دراسة جغرافية الحيوان فى صورته الطبيعية أو البرية دون تدخل الانسان ، وتشمل أيضا دراسة جغرافية التربة من حيث خصائصها ومكوناتها . ولهذا الفرع اهمية نفعية كبيرة نظرا للمتغيرات التى شهدها سطح الأرض ، سواء للعوامل الطبيعية أو البشرية ، وقد أدت هذه المتغيرات إلى مشكلات التصحر واختفاء بعض فصائل النبات أو الحيوان الطبيعى مما أحدث اختلالا بالتوازن .

وتعتمد الجغرافيا الحيويه على العلوم الأصولية المرتبطة بها فجغرافية النبات تعتمد على علم النبات Botany وجغرافية الحيوان تعتمد على علم الحيوان Zoolo-gy وجغرافية التربة تعتمد على علم التربة Pedology غير أن هذه الأقسام من الجغرافيا الحيوية لا تهتم بدراسة الظاهرات النباتية والحيوانية لذاتها ولكن تهتم بتوزيع هذه الظاهرات على سطح الارض وأثرها وتفاعلها مع بعض البعض ومع بقية العناصر الجغرافية بما فى ذلك الإنسان وحياته الاقتصادية والاجتماعية . ثم تعمد إلى إظهار الفروق التى توجد بين مختلف أجزاء سطح الأرض مكونة الأقاليم الحيوية من نباتية وحيوانية وتربة .

ثانيا : فروع الجغرافيا البشرية :

تتمثل فروع الجغرافيا البشرية فى عدد من الفروع الهامة ، غير أن هذه الفروع ليست موحدة فى مختلف المدارس الجغرافية ، وبينما تتفق مختلف المدارس على فروع الجغرافية الطبيعية التى سبقت الإشارة إليها ، فإنها قد تختلف بشأن تحديد فروع الجغرافيا البشرية ، وتطلق المدرسة الجغرافية الامريكية على الجغرافيا البشرية Human Geography اسما آخر وهو الجغرافيا الحضارية

Cultural Geography ، كما أن المدرسة الجغرافية الروسية تقسم الجغرافية فى تصنيفها إلى قسمين كبيرين هما الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا الاقتصادية ويتفق مفهومهم للجغرافيا الطبيعية مع المفهوم الأوربى والأمريكى اما الجغرافيا الاقتصادية فهى عند الروس تضم كافة فروع الجغرافيا البشرية .

هذا وتنقسم أهم فروع الجغرافيا البشرية إلى ما يلى :

١ - الجغرافيا الاجتماعية : Social Geography

وهى تضم ثلاثة فروع ثانوية تدخل فيها وذلك على النحو التالى :

(أ) جغرافية السكان Geography of Population

وهى تدرس نمو السكان والعناصر الداخلة فيه من حيث المواليد والوفيات والفارق بينهما أو الزيادة الطبيعية ، كما تدرس الهجرة وأثرها فى نمو السكان ، كما تهتم بدراسة توزيع السكان على إقليم جغرافى معين قد يكون العالم كله وقد يكون منطقة صغيرة كإحدى المدن أو القرى ، وتدرس العوامل المؤثرة فى كل من نمو السكان وتوزيعهم ، كما تدرس تركيب السكان من حيث النوع والعمر والمهنة والتركيب الاجتماعى للسكان من حيث الزواج والأسرة ، كما تدرس أحيانا تركيب السكان من الناحية الدينية أو اللغوية أو السلالية اذا كان لذلك أثر فى العلاقات بين السكان ، كما تدرس سكان المدن والريف أو الحضر الذى يشملهما معا ، إلى جانب دراسة البداوة التى قد لا يرتبط فيها السكان بالإقامة فى محلات عمرانية دائمة أو ثابتة ، وإنما قد ينتقلون بصفة دائمة أو موسمية طلبا للمرعى والماء .

كما تعرض لما أصاب مجتمعات البدو فى العصر الحديث من تطور فى أساليب الحصول على الماء أو تربية الحيوان ، أو العمل فى الزراعة أحيانا .

(ب) جغرافية المدن : Urban Geography

وهى تهتم بدراسة المدن من حيث مواقعها وخصائص الموضع أو البقعة التى يقوم عليها عمران المدينة من سطح ومناخ وموارد مياة وعناصر مشجعة للنمو أو معوقة أو مانعة له ، كما تدرس شبكة العلاقات بين المدن وبعضها البعض من حيث التباعد والحجم أو العدد السكانى ومن حيث العلاقات الاقتصادية والاجتماعية كرحلة العمل والتركيب الاجتماعى والاقتصادى لسكان الأحياء الداخلية فى المدينة وعلاقات الريف والمدينة معا ، كما تدرس استخدام الأراضى داخل المدن أو الوظائف التى تخصص لها الارض فى أصغر مستوى ممكن ومدى تنظيم الإنسان لمناطق السكن والخدمات التى توجد فى المدينة ومدى كفايتها للسكان وأثر كل من نمو السكان والعمران على ذلك والعوامل المؤثرة فى كل من نمو المدينة ووظائفها والروابط الإقليمية للمدن ووظائف المدن ومراتبها ويخدم ذلك كله تخطيط المدن .

(جـ) جغرافية الريف : Rural Geography

وهى تهتم بدراسة المناطق الريفية وتعرف القرى ومراتبها وأنواعها واستخدام الأرض فى المناطق الريفية والعلاقات بين الريف والمدينة ، وطرق النقل التى تخدم شبكة العمران الريفى والأثر الاقتصادى لكل من المدينة والريف على بعضهما البعض ، ويخدم ذلك تخطيط الريف والتخطيط الاقليمى Regional Planning وقد تدرس جغرافية المدن وجغرافية الريف فى منهج واحد يعرف عندئذ إما بجغرافية العمران أو جغرافية السكن .

٢ - الجغرافيا الاقتصادية : Economic Geography

وهى تضم الفروع التالية :

(أ) جغرافية الزراعة : Geography of Agriculture

وهى تعنى بدراسة الزراعة وما يرتبط بها من أنشطة مثل الرعى التجارى وتربية الحيوان كما أنها تضم أحيانا أنشطة أولية أخرى غير مرتبطة بالزراعة مباشرة مثل صيد الأسماك وذلك على أساس أن الزراعة وصيد الأسماك تمثل أنشطة يتعامل فيها الإنسان مع الناتج من الزراعة أو الصيد مباشرة وقد تجمع فى هذه الحالة إنتاج الغابات الطبيعية أو المزارع العلمية الواسعة .

وتهتم جغرافية الزراعة بكل من إنتاج المواد الزراعية والحيوانية والعوامل المؤثرة فى ذلك ، ومناطق الفائض ومناطق العجز فى الانتاج وتسعى لتحليل ذلك وربطه بكل من العوامل المؤثرة فى الإنتاج والاستهلاك معا من عناصر طبيعية كالتربة والمناخ وموارد المياه والسطح أو عناصر بشرية مثل كثافة السكان وأنماط استهلاكهم وعاداتهم ومستواهم الاجتماعى والاقتصادى .

(ب) جغرافية الصناعة : Geography of Manufacturing

وهى تهتم بتوزيع الصناعات القائمة والعوامل المؤثرة فى قيام الصناعة من طبيعية وبشرية ومرتبطة بالتنظيم البشرى كما تهتم بتحليل مواقع الصناعة وحركة كل من المواد الخام والقوى المحركة والعمالة ورؤوس الأموال إلى مواقع الصناعة واثر السياسة الحكومية فى دعم الصناعة وتأثير التقدم العلمى والتكنولوجى فيها ، كما تهتم بتصنيف الصناعة إلى صناعة ثقيلة وخفيفة أو صناعات إنتاجية واستهلاكية ، وتدرس مجالات تسويق الإنتاج وشبكة العلاقات بين الصناعات التى تعتمد على بعضها البعض أو تغذى بعضها البعض والتخطيط الصناعى .

وفى بعض الاحيان قد يدخل النشاط التعدينى Mining ضمن الصناعة وذلك على اعتبار التعدين صناعة أولية أو صناعة استخراجية وهنـا يدخل انتاج المعادن

التى تدخل فى العمليات الصناعية كالحديد والنحاس وغيرهما ، كما تهتم بدراسة التلوث أو أثر الصناعة على البيئة ، وهو من الموضوعات التى تطورت كثيرا فى السنوات الأخيره .

(جـ) جغرافية الطاقة Geography of Energy :

وهى تعنى بإنتاج الطاقة وتوزيعها ، وتتناول مصادرها المختلفة من فحم وبترول وكهرباء مولدة من الوسائل الحرارية أو مساقط المياة ، وكذلك الطاقة المتجددة مثل طاقة الشمس والرياح والأمواج والمياة والطاقة المستنفدة مثل البترول والفحم ، والطاقات الجديدة مثل الطاقة النووية وطاقة الحرارية الأرضية وغيرها ، وتعنى جغرافية الطاقة بدراسة الاحتياطى المتوفر من كل مصدر وتوزيعه عالميا ومناطق الوفرة ومناطق الندرة وحركة الطاقة أو نقلها ، كما تهتم أحيانا بدراسة أخطار بعض مصادر الطاقة مثل الطاقة النووية أو التلوث الناتج عن استخدام أنواع اخرى مثل الفحم والبترول .

(د) جغرافية النقل والمواصلات : Geog . of Transport and Communi- cations

وهى تعنى بدراسة شبكات الطرق والنقل البرى والبحرى والجوى ، ومدى كثافة هذه الشبكات واستخدام الإنسان لها ومدى كفاية هذه الشبكات ، ومشكلات النقل وأثره فى تطوير الحياة الاقتصادية والبشرية ، كما تعنى دراسة المواصلات بدراسة وسائل الاتصال من البرق والبريد والتليفون والراديو والتليفزيون والأقمار الصناعية والصحف ووسائل الإعلام المختلفة ومدى انتشارها وأثر ذلك على مستوى التقدم فى الأقطار المختلفة .

(هـ) جغرافية التجارة الدولية : Geog. of International Trade

وهى تهتم بدراسة التنظيم الدولى للتجارة فى كل من المواد الخام ومصادر

الطاقة أو المواد الصناعية ، ومدى انسياب هذه التجارة بين مناطق الإنتاج ومناطق الاستهلاك ، والاتفاقيات الدولية التى تنظم التجارة والتعريفة الجمركية والعوامل المشجعة أو المعوقة للتجارة والتبادل التجارى وأثر النظم الاقتصادية والسياسية فى ذلك ومناطق السوق الحر أو الاقتصاد المفتوح ومناطق الاقتصاد الموجه .

(و) جغرافية السياحة : Geog. of Tourism

وهى تدرس على أكثر من مستوى ، فإما أن تدرس الحركة السياحية فى العالم أو فى قطر من الأقطار ، وأنواع السياحة المختلفة التى تدخل فى هذه الحركة من سياحة داخلية إلى دولية ومن سياحة النزهة إلى السياحة العلاجية أو الثقافية وغير ذلك من التقسيمات ، كما قد تدرس جغرافية السياحة ما يتوفر لدى بعض الأماكن من مزايا تؤهلها للقيام بوظائف الجذب السياحى سواء كانت هذه المزايا متعلقة بالطبيعية كالمناظر أو المناخ أو مرتبطة بالتسهيلات لكل من الإقامة والانتقال والترفية والترويح . ويدخل فى ذلك كله الطاقة الاستيعابية للفنادق وأماكن الإقامة ووسائل النقل والخدمات السياحية .

ويمكن تعريف السياحة بأنها حركة للأفراد أو المجموعات الذين يقضون عطلاتهم بعيدا عن أماكن اقامتهم المعتادة ، ومن أجل جمع البيانات عن ذلك فإن هذا التعريف يمتد ليشمل أى أفراد يزورون مكانا آخر يختلف عن المكان الذى يقيمون به عاده لمدة معينة تشمل قضاء ليلة على الأقل وذلك لأى سبب بخلاف العمل فى المكان الذين يقصدون زيارته ، وبهذا المعنى يدخل فى السياحة كل من حضور المؤتمرات والحج .

وفى بعض الأحيـان تفرق الدراسـات بين كل من الترفيـه أو الترويح Recreation والسياحة ، على أساس أن الترويح قد يشمل أنشطة ترفيهية لمدة تقل

عن ٢٤ ساعة بعيدا عن محل الإقامة بينما السياحة تمتد لتشمل فترة زمنية أطول ويتطلب استخدام شبكات للبنية الأساسية وتسهيلات للانتقال والإقامة .

وللسياحة مستويات أو أنواع مختلفة فمنها السياحة الداخلية التى ينتقل فيها السائحون داخل حدود مواطنهم الأصلية وفى مقابلها تكون السياحة الخارجية هى التى ينتقل فيها الأفراد عبر الحدود السياسية ، ووسائل الانتقال سواء داخليا أو خارجيا تمثل بعدا أو عنصرا جغرافيا ، كما أن حركة السائحين من مكان لآخر تمثل عنصرا جغرافيا آخر ، والانتقال من منطقة لأخرى يعنى انتقالا من بيئة حضارية وثقافية إلى بيئة أخرى ومن وسط حضارى إلى وسط حضارى وجغرافى آخر ولابد من التعرف على كل هذه العناصر الجغرافية و بكل من السائحين والعاملين فى المجال السياحى فى الوقت نفسه ، حيث أن ذلك يرتبط أحيانا بأنماط مختلفة من السلوك والعادات فى المأكل والمشرب والملبس والتقاليد والقيم والعادات الإجتماعية والدينية فإذا كان ثمة فوج سياحى قادم لمصر مثلا من إحدى دول اسكنديناوة كالسويد أو النرويج فى فصل الصيف فإن ذلك يختلف كثيرا عن قدومه فى فصل الشتاء ، ولابد من معرفة ما يناسبه من الملبس ودرجة الحرارة المنتظرة والتعرف على لغته وعاداته الغذائية ، وكل ذلك يشكل أبعادا جغرافية ، كما أن قدوم فوج سياحى من الهند التى تدين بالهندوكية يعنى أنهم لا يأكلون لحوم البقر ولابد من مراعاة ذلك تماما ، كما يراعى عدم تقديم لحم الخنزير للمسلمين، ولعل الجغرافيا تقدم للسياحة خدمات أخرى تتمثل فى التعرف على خصائص المكان الجمالية من الناحية الطبيعية كمناطق الشلالات أو البحيرات والشواطىء ، وعلى المناخ من حرارة ورطوبة ورياح وأمطار ، كل ذلك لابد أن يتهيأ له السائح بما يناسبه من استعدادات ، كما أن وفرة وسائل النقل وأنواع الطعام وغير ذلك يدخل كله فى مجالات تتصل بالجغرافيا ، وكما يفيد العاملون فى السياحة فى استقبال الوفود فانهم يرسلون الوفود السياحية إلى اقطار أخرى

ولابد من معرفة ما يتوفر فى هذه الاقطار من خصائص جغرافية ويقدمون النصح للأفواج التى تقصد هذه الأقطار فتنظيم رحلة إلى القطب الشمالى يختلف عن تنظيم رحلة إلى كينيا أو إلى الصحراء الكبرى .

ومعرفة بيانات عن الدول المختلفة من حيث السكان وعددهم ومستويات الدخول والعملة والانتاج الاقتصادى ، وكل ذلك يقدم أرضية طيبة للعامل فى مجال السياحة ويفيد مما تقدمه له الجغرافيا .

كما أن الجغرافيا تقدم خدمة أخرى للسائح وللعاملين فى مجال السياحة ، وهذه الخدمة تتمثل في الخرائط السياحية وفي كيفية قراءة هذه الخرائط والإفادة منها فى تنظيم الرحلات السياحية أو فى تنظيم برنامج السائح وسوف نعرض لأهمية الخرائط وأنواعها وغير ذلك من بيانات فى الفصل الثانى .

٣ - الجغرافيا السياسية Political Geography

وهى فرع يعنى بدراسة التفاعل بين الإنسان والأرض من الناحية السياسية ، فتدرس الوحدات السياسية أو الدول فى العالم ، وتصنيف الدول طبقا لمعايير القوة الاقتصادية والسياسية ، وتدرس العناصر الجغرافية للدولة ، وتدرس الأحلاف والتكتلات السياسة وعلاقات الصراع بين الدول وبعضها البعض ومشكلات الحدود السياسية ، وتعطى دراسة الجغرافيا صورة عامة للعالم المعاصر وما مر به من أطوار ، كما تدرس النظام الدولى من خلال المنظمات السياسية الدولية التى تعمل على حفظ التوازن الدولى ومدى نجاحها فى ذلك .

ثالثا : تقسيمات جغرافية اخري :

يوجد إلى جانب كل الفروع السابقة للجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية أقسام أخرى من الجغرافيا مثل الجغرافيا الإقليمية وهى التى تهتم بدراسة كل عناصر الجغرافيا الطبيعية والبشرية إما فى العالم أو فى منطقة ما ، مع محاولة

تقسيم المنطقة مجال الدراسة إلى وحدات متشابهة متقاربة في خصائصها يطلق عليها اسم الأقاليم ، ومنها الأقاليم الطبيعية كالأقاليم المناخية والنباتية والأقاليم البشرية مثل مناطق الكثافة السكانية المرتفعة أو النمو السكانى السريع ، والأقاليم الاقتصادية مثل اقليم زراعة القطن أو الأرز ، أو إقليم الصناعات الثقيلة في شرق الولايات المتحدة أو فى غرب أوربا ، وهكذا .

ومن فروع الجغرافيا الأخرى الجغرافيا التاريخية وهى دراسة أى ظاهرة جغرافية فى الماضى فدراسة العلاقة بين اليابس والماء فى العصور الجيولوجية القديمة أو المناخ فى عصر جيولوجى ماض تدخل فى الجغرافيا التاريخية الطبيعية ، ودراسة مكان مصر فى عصر الفتح الاسلامى أو الزراعة المصرية فى عهد محمد على أو حركة تعمير العالم الجديد بعد حركة الكشوف الجغرافية ، أو دراسة الحضارات المصرية فى عصر ما قبل الاسرات ، كل ذلك يدخل فى الجغرافيا التاريخية البشرية .

ولا شك فى أن المواطن فى عالم اليوم ، وأيا كان موطنه الذى ينتمى إليه ، يشعر دائما بفائدة الجغرافيا ، سواء على مستوى المعرفة لما يجرى حوله من أحداث، أو على المستوى النفعى سواء كان طالبا أو تاجرا أو عاملا فى أى نشاط إنسانى .

* * *

الفصل الثاني

الخريطة واستخدامها

تعريف الخريطة :

الخريطة صورة مصغرة بمقياس رسم مناسب لسطح الأرض أو لجزء منه مرسومة على لوحة مستوية ، وتخضع الخريطة فى رسمها لأسلوب معين يهدف إلى المحافظة على الاتجاة الصحيح ، أو المسافة الصحيحة أو المساحات الصحيحة ، ويعرف هذا الأسلوب بمساقط الخرائط ، غير أن الخريطة تختلف عن الصورة فى أمرين هما :

١ - أن الخريطة تختار ما توضحه من معلومات ، فهى قد تضم بيانات التضاريس أو المناخ فقط ، كما يمكن أن توضح أكثر من عنصر ، كما هو الحال فى خريطة للمدن أو طرق المواصلات ، أما الصورة فهى تنقل لنا كل ما على الطبيعة من ظاهرات وقت التقاطها دون أى حذف أو إضافة ، ومن ناحية أخرى نجد أن الخريطة توضح بعض المعلومات الموجودة فعلا على سطح الأرض مثل معالم التضاريس من جبال وسهول ووديان ، وأحيانا تضم معلومات لا توجد على الطبيعة فالخريطة انتخابية فى المعلومات التى تعرضها من وجهة نظر مصمم الخريطة ، وهى قد تشمل بيانات لا وجود لها فى الواقع ، أو على سطح الكرة الأرضية ، وذلك بهدف الشرح ، والتوضيح ، مثل الحدود السياسية أو خطوط الطول ودوائر العرض .

٢ - أن الصورة تظهر الطبيعة وتنقلها كما هى بنفس شكلها الذى تبدو عليه

دون إضافة أو حذف ، أما الخريطة فانها لا تفعل ذلك إنما تلجأ إلى الترميز ، بمعنى الاتفاق على رموز للمعالم الطبيعية أو البشرية ، وتتعدد هذه الرموز وتختلف حسب موضوع الخريطة ومقياس الرسم والظاهرات المراد توضيحها .

الخريطة والجغرافي :

شاع استخدام الخريطة فى عصرنا الحاضر فى كثير من المجالات ، فهى قد تطالعك وانت تقرأ الصحيفة اليومية فى الصباح لتوضح خط سير رحلة أو تفسر كيفية وقوع حادث أو معركة حربية ، أو تحدد موقع بركان ثائر ، أو منطقة تعرضت للسيول أو الأعاصير والفيضانات ، أو منطقة حدث بها كشف أثرى جديد، وقد تطالعك أيضا وأنت تشاهد التليفزيون خاصة فى نشرته الإخبارية أو عند استعراض أحوال الطقس ، كما نجدها أيضا فى الأطالس وكتب الجغرافيا والتاريخ وغيرها من المصادر العلمية ، ولم تعد الخريطة وقفا على الجغرافى وإن كان أكثر الناس استخداما لها ، أما بالنسبة للجغرافى فهى :

(١) وسيلته المرئية للتعرف على معالم بيئة العالم الطبيعية والبشرية وتفسير العلاقة المتبادلة بين الإنسان وبيئته ، وهو أمر لا يمكن لنا أن ندركه بصورة مباشرة إلا فى محيط محدود بالبيئة المحيطة بنا والتى يمكن الإلمام بعناصرها بشكل مباشر بالتجول فيها والتعرف عليها أما على مستوى العالم أو اقاليمه الكبرى فإنه مع كبر هذه المساحات واستحالة التعرف عليها بصورة مباشرة فإن الخريطة هى التى تقوم بذلك وتستطيع الخريطة أن تنقل إلينا المركب البيئى لإقليم يبعد عنا وتصعب رؤيته بكل عناصره الطبيعية ، من جبال وسهول وأنهار وغابات وصحارى وأمطار وحرارة ، وعناصره البشرية من سكان وطرق للنقل والمواصلات ومناطق للزراعة ومناطق لإنتاج البترول ، وهذه الظاهرات من الكثرة بحيث يصعب علينا أن ندركها من الطبيعة بينما يمكن للخريطة أن تصور ذلك وتنقله لنا بكل

سهولة ويسر . ومما كانت الخريطة - مهما كبر مقياسها - تعتبر تصغيرا لسطح الأرض أو لجزء منه ، فإنها يمكن أن تشمل بيانات عن منطقة واسعة وتسمح بمقارنة الظاهرات عليها بنظرة سريعة .

(ب) يستخدم الجغرافى الخريطة أيضا - فى عرض معلوماته الجغرافية ليستعين بها فى شرحه لهذه المعلومات موقعا وتوزيعا وتعليلا لأسباب هذا التوزيع ، إن الحديث عن توزيع سكان افريقيا اذا صاحبه خريطة توضح هذا التوزيع ، أين يكثر ويزدحم السكان وأين يقلون وأين يندر وجودهم ، تساعد القارىء كثيرا على تتبع ما هو مكتوب عن توزيع السكان فوق أرض هذه القارة وبدون الخريطة قد يصبح فهم المادة العلمية الجغرافية أمرا غير ممكن ويجعلها حقائق جوفاء يصعب إدراكها ، لذلك ينصح دائما من يقرأ ويدرس الجغرافيا ان يستعين بالخريطة ويستخدمها بنجاح وليعلم أن ما يقرأ من حقائق جغرافية عن البيئة موضوع الدراسة يجده أمامه مصورا على الخريطة ، ومن المعروف أن الحقيقة المصورة أسهل وصولا وفهما ، ومن ناحية أخرى يسهل تخزينها واستذكارها وقت الحاجة ، وتشكل البيانات الموقعة على الخريطة إطارا يمكن مقارنة أجزائه ببعضها البعض ، والوصول إلى علاقات مترابطة بين الظاهرات ، كالعلاقة بين كل من الأنهار ومناطق التربات الفيضية الخصبة والأراضى الزراعية ، أو العلاقات بين طرق النقل والمدن الكبرى أو أقاليم الغنى الاقتصادى ومناطق الجذب السياحى .

أنواع الخرائط :

تتعدد أنواع الخرائط التى نتناولها بين أيدينا وتتباين موضوعاتها ومقايس رسمها ، فهناك الخريطة الطبغرافية والخريطة المناخية والخريطة السياحية والخريطة الجيولوجية وخريطة الطقس والخرائط التفصيلية وغير ذلك من الأنواع التى قد يصعب حصرها دون وضع أسس يمكن أن يقوم عليها تصنيف للخرائط .

وتتباين مقاييس الرسم التى ترسم بها الخرائط المختلفة ، من الخرائط التفصيلية كبيرة المقياس التى توضح مساحة محدودة من سطح الأرض مثل مدينة أو محافظة فى دولة ، إلى المقاييس الصغيرة التى توضح العالم أو إحدى قاراته كما نجدها فى الأطالس ، فاذا كانت دولة مثل مصر تبلغ مساحتها نحو مليون كيلو متر مربع فإنه يمكن إعداد خرائط عديدة لها طبقا لمقياس الرسم فقد تجدها فى صفحة فى كتاب أو فى الأطلس ، بينما يمكن أن نجدها وقد شغلت مساحة كبيرة فى الخرئط الحائطية ، ولذلك يمكن أن نقسم الخرائط حسب مقياس الرسم إلى الاقسام الاتية :

١ - الخرائط صغيرة المقياس :

وتسمى أيضا الخرائط العالمية وتشمل الخرائط التى نجدها فى الأطالس والكتب ، وغالبا ما تمثل مساحات كبيرة قد تمتد لتشمل العالم كله أو إحدى قاراته لتوضح معالم سطح الأرض من البحار والجبال والأنهار والحدود السياسية ومواقع المدن والموانى الهامة ، وهى تشمل أيضا الخرائط الحائطية التى يستعان بها كوسيلة إيضاح تستخدم فى الفصول الدراسية ومعاهد البحث العلمى اوالجامعات وهى ترسم بمقاييس أكبر قليلا من خرائط الاطالس والكتب .

٢ - الخريطة المليونية :

وهى خريطة متميزة المقياس ، ويرجع تاريخها إلى أواخر القرن الماضى عندما اقترح أحد الجغرافيين السويسريين على أعضاء المؤتمر الجغرافى الدولى الخامس عمل خريطة للعالم يستخدم فى إخراجها أسلوب موحد ، وأن تكون ذات مقياس رسم واحد مع توحيد رموزها المستخدمة عليها أيضا بحيث لو وضعت خريطة كل دولة بجوار الأخرى وضمت معا تكون خريطة للعالم بمقياس ١ : ١،٠٠٠،٠٠٠ وهو المقياس الذى اتفق عليه لرسم هذه الخريطة .

وقد حرصت كثير من دول العالم على إنشاء خريطتها المليونية وفقا لهذا الاقتراح .

٣ - الخريطة الطبغرافية :

وهى من الخرائط المتميزة فى كثر من النواحى فهى توضح الكثير من المعالم الطبيعية على سطح الأرض مثل الظاهرات التضاريسية من جبال وسهول ووديان وأنهار ومستنقعات ، والظاهرات البشرية مثل مواقع المدن والقرى والترع والمصارف والطرق بأنواعها المختلفة ونظرا لكثرة المعلومات الواردة عليها فإنها ترسم بمقياس رسم كبير نسبيا كما هو الحال فى الخرائط الطبغرافية المصرية ذات المقياس ١ : ١٠٠٠٠٠ ، ١ : ٥٠٠٠٠ وقد ترسم بمقياس أكبر من ذلك مثل ١ : ٢٥,٠٠٠ .

وتستخدم هذه الخريطة رموزا وعلامات اصطلاحية موحدة حتى تحقق عالمية استخدامها .

٤ - الخرائط التفصيلية :

وتسمى أيضا بالخرائط الكادسترالية Cadastral Maps وهى ذات مقياس رسم كبير يسمح بظهور التفاصيل بكل دقة مثل مقياس ١ : ٥,٠٠٠ أو ١ : ٢.٥٠٠ وهى تغطى مساحة محدودة من سطح الأرض مثل مدينة صغيرة أو جزء من مدينة كبيرة أو قرية وتوابعها ، ويمكن أن نقسم الخرائط التفصيلية من حيث مقياسها إلى نوعين :

(أ) **الخرائط الكاد سترالية للمناطق الزراعية** والتى توضح حدود الحقول والأحواض الزراعية وتفاصيل المبانى . وكثيرا ما تستخدم هذه الخرائط فى حل مشكلات تحديد الملكيات الزراعية وتحديد الضرائب على الملكيات العقارية وهى تسمى فى مصر خرائط فك الزمام ومقياسها الشائع ١ : ٢٥٠٠ .

(ب) الخرائط الكادسترالية للمدن :

وهى ذات مقياس أكبر حتى يمكن معه أن توضح تفاصيل ومعالم المدينة بشوارعها وميادينها ومبانيها وتفاصيلها الأخرى ، وقد يصل مقياسها إلى ١ : ٥٠٠ كما هو الحال فى خرائط مدينتى القاهرة والإسكندرية ، ويمكن أن ترسم بمقياس أصغر قليلا من مثل ١ : ٥٠٠٠ فى بعض مدن الوجهين البحرى والقبلى . كما أن لمدن العالم الكبرى خرائط تفصيلية ، وبعضها يوضح تقسيمات الأراضى التى تقام عليها المبانى من منشأت ومساكن ، وتستخدم بعض هذه الخرائط فى خدمة السياحة .

كما يمكن ان نقسم الخرائط حسب الموضوع الذى تتناوله وتوضحه الخريطة ، فهذه خريطة جيولوجية وتلك للتربة وثالثة لتوزيع الثروة المعدنية ، ويتفق هذا التقسيم تقريبا مع تقسيمنا لعلم الجغرافيا إلى قسميه الرئيسيين الطبيعية والبشرية والذى ينقسم كل منهما بدوره إلى عدد من الفروع كما سبق ويخدم كل فرع منها نوع من الخرائط ، وفيما يلى أمثلة لتقسيم الخرائط حسب الموضوع :

١ - الخرائط التضاريسية :

وهى الخرائط التى توضح تفاصيل سطح الأرض من حيث الارتفاع أو الانخفاض عن مستوى سطح البحر ، ومدى أو درجة الإنحدار ، والأنهار والأودية التى تجرى على هذا السطح ، هذا بالإضافة إلى ظاهرات تضاريسية أخرى مثل المستنقعات والملاحات ، والبحيرات وأشكال الرمال .

٢ - الخرائط المناخية :

وهى توضح أحد عناصر المناخ المختلفة من حرارة وضغط ورياح وأمطار مثل خريطة توزيع الحرارة فى فصل أو فى شهر أو توزيع المطر السنوى لإحدى القارات أو الدول ، كما تستخدم خرائط الطقس لبيان حالة الجو فى فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز أسبوعا .

٣ - الخرائط السكانية :

وهذه تختص بتوزيع السكان وكثافتهم ونموهم وتيارات الهجرة الوافدة والنازحة والهجرة من انريف إلى المدينة وغير ذلك من المعلومات عن سكان الإقليم وخصائصهم السكانية مثل خريطة لتوزيع كثافة السكان فى مصر أو تيارات الهجرة الوافدة من ريف مصر إلى القاهرة أو توزيع السكان وكثافتهم فى أوربا أو آسيا أو فى الولايات المتحدة الأمريكية أو الهند .

٤ - الخرائط الاقتصادية :

وتضم قطاعا كبيرا من الخرائط التى توضح توزيع الحاصلات الزراعية والثروة الحيوانية أو الثروة السمكية والثروة المعدنية ومصادر الطاقة وطرق النقل والمواصلات والتجارة الخارجية . كما قد توضح اتجاه الحركة فى نقل إحدى السلع مثل البترول من منطقة انتاجه فى حوض الخليج العربى إلى مناطق الاستهلاك ، أو حركة صادرات القطن أو القمح . بين أجزاء العالم .

ويتباين الغرض الذى من أجله تستخدم الخريطة بما يمكن معه تقسيمها وفقا لهذا الأساس إلى نوعين هما :

١ - الخرائط العامة :

وهى التى يشيع استخدامها بين قطاع كبير من مستخدمى الخريطة وذلك لسهولة استخدامها وبساطة إخراجها مثل الخريطة السياحية أو الخريطة الإعلامية ، فهى لا تتطلب من قارئها أن يكون على دراية علمية جغرافية متخصصة ، ويمكن أن يضم هذا النوع من الخرائط بالاضافة إلى ما ذكر ، الخرائط العالمية مثل خرائط الأطالس ، والخرائط الطبغرافية لذيوع انتشارها واستخدامها بين قطاع كبير من المتخصصين ، ويلاحظ أن الخرائط السياحية تستخدم بكثرة فى الدول الأوربية ، كما يستخدمها السياح الأوربيون والأمريكيون فى رحلاتهم السياحية إلى دول العالم المختلفة ومنها مصر .

كما تستخدمها شركات السياحة فى نشراتها لتسويق الرحلات أو فى عمليات الإرشاد السياحى ومناطق المزارات ، كما أخرجت بعض الدول أطالس توضح الطرق ودرجاتها .

٢ - الخرائط الخاصة :

وهى التى يقتصر استخدامها على نطاق ضيق يشمل المتخصصين ذوى الدراية والخبرة بطريقة إخراجها مثل الخريطة الجيولوجية وخرائط الطقس والمناخ والخريطة الكنتورية ، وجميعها خرائط لا يمكن إلا لمتخصص فى موضوعها أن يفهم محتواها وما تقدمه من معلومات ، والرموز المستخدمة فيها ودلالة ومعنى كل منها .

قراءة الخريطة

تتوقف الاستفادة الحقيقية من الخريطة ونجاحها فى أداء مهمتها ، على مدى دراية المستخدم لها بكيفية قراءتها وتحليلها ومعرفة ما تحويه من حقائق من توزيع الظاهرات التى يقوم بتوزيعها ، ولكى نتمكن من هذه القراءة الصحيحة للخريط ، لابد أن نكون على إلمام تام ومعرفة بأساسيات الخريطة أو ما يسمى أيضا بأبجدية الخريطة ، ويعنى بها المعلومات الأساسية التى يجب أن ينظر إليها قارىء الخريطة قبل البدء فى تحليلها وقراءتها بالتفصيل ، وتتضمن هذه الأساسيات المعلومات الاتية :

١ - عنوان الخريطة :

يوضح عنوان الخريطة ما تضمه من معلومات تتناول مضمونها والموضوع الذى تعالجه والإقليم الذى تتناوله ، مثل خريطة توزيع السكان فى العالم العربى

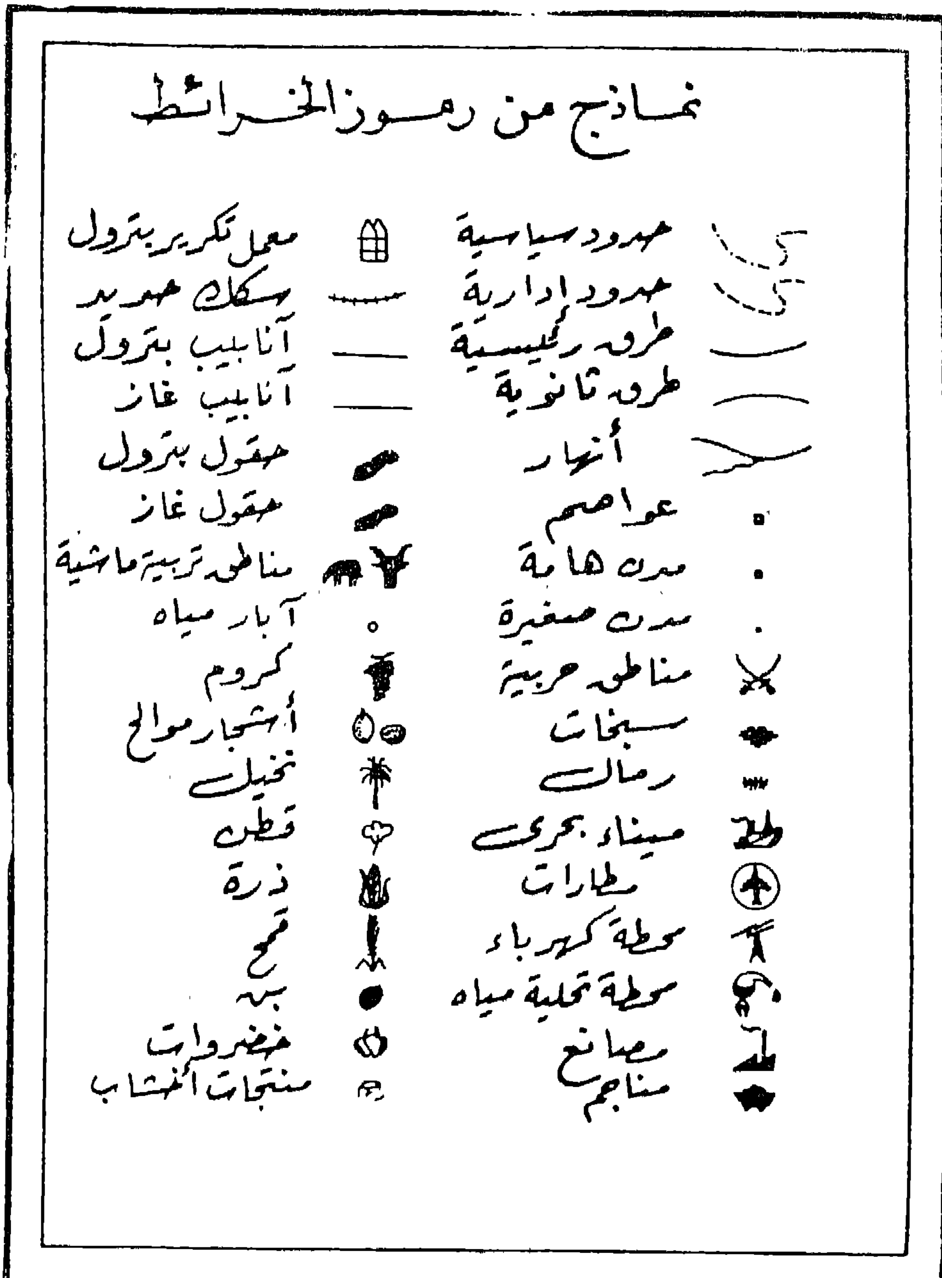
فإن عنوانها يوضح أنها خريطة سكانية تتناول توزيع السكان فى دول العالم العربى ومناطق انتشارهم أو تركزهم وقد توضح الكثافة السكانية .

وعنوان الخريطة هو أحد المعلومات الأساسية التى يجب ظهورها على الخريطة وفى مكان بارز منها ، وعادة ما نجده فى أحد أركان الخريطة وخاصة ركنها الجنوبى الغربى أو أسفل الخريطة أحيانا .

٢ - مقياس رسم الخريطة :

وهو يوضح العلاقة النسبية بين المسافات والمساحات على الخريطة وما يقابلها على الطبيعة فعن طريقة يمكن لقارىء الخريطة أن يدرك النسبة والتناسب بين الخريطة والطبيعة ولا يمكن لقارىء خريطة ما أن يدرك هذه العلاقة دون وجود مقياس رسمها عليها ، فهو يساعده على الإحساس بمدى كبر أو ضآلة المساحة التى تتناولها الخريطة .

إن وجود ثلاث خرائط أحدها لجزيرة البحرين وأخرى لمصر وثالثة للولايات المتحدة على صفحة كتاب يمكن مع عدم وجود مقياس رسم على هذه الخرائط أن ينقل الإحساس لقارئها بتساوى مساحة الدول الثلاث بينما وجود مقياس الرسم يمكنه من أن يرتبها مساحيا ويستطيع أن يوجد نوعا من العلاقات النسبية بينها ، ولذلك يعد مقياس الرسم من أساسيات الخريطة التى يجب اثباتها عليها ويجب على قارئها أن يوليها عنايته ودراسته .


نماذج من رموز الخرائط
حدود سياسية
معمل تكرير بترول
حدود ادارية
سكك حديد
طرق رئيسية
أنابيب بترول
طرق ثانوية
أنابيب غاز
أنهار
حقول بترول
عواصم
حقول غاز
مدن هامة
مناطق تربية ماشية
مدن صغيرة
آبار مياه
مناطق حربية
كروم
سبخات
أشجار موالح
رمال
نخيل
ميناء بحري
قطن
مطارات
ذرة
محطة كهرباء
قمح
محطة تحلية مياه
بن
مصانع
خضروات
مناجم
منتجات الأخشاب

(شكل رقم ١)

٣ - دليل الرموز والمصطلحات :

وتسمى أيضا مفتاح الخريطة وهى تسمية ذات دلالة فعن طريقه يمكن معرفة ما تدل عليه مجموعة الرموز والعلامات والاصطلاحات الواردة على الخريطة وماذا تمثل على الطبيعة ، وبدونه تصبح هذه الرموز بلا معنى وتصعب بذلك قراءة الخريطة ومعرفة محتواها ومضمونها .

إن خريطة لتوزيع الأقاليم النباتية فى إفريقيا تتوزع عليها مجموعة من الألوان أو الظلال يعطى كل منها مساحة محدودة فى الخريطة ويرمز كل منها لنوع من أنواع الحياة النباتية فهذه للغابات الاستوائية وتلك للسفانا وغيرها للصحارى وهكذا ، مثل هذه الخريطة لا يمكن فهمها وقراءتها إلا إذا تضمنت الخريطة مفتاحا لها يحدد دلالة كل لون أو تظليل يرد على الخريطة وقد تصادفك أحيانا خريطة بدون مفتاح ويعنى ذلك عدم الحاجة إليه نظرا لاحتواء الخريطة على رمز واحد ، كما هو الحال فى خريطة لتوزيع القمح فى العالم حيث تحدد المناطق التى تسود فيها زراعة هذا المحصول ونعطى لونا أو تظليلا وبالتالى فليس هناك حاجة إلى مفتاح فى هذه الخريطة مع إمكانية قراءتها بدونه .

٤ - دليل الموقع :

لابد لقارىء الخريطة أن يكون على علم ودراية بموقع الإقليم الذى تتناوله الخريطة وهو أمر لا يحتاج إلى إيضاح وتحديد إذا كانت الخريطة تتناول إقليما كبيرا معروفا من العالم مثل افريقيا أو دولة كبيرة مثل الصين ، أو الولايات المتحدة أو العالم العربى ، اما اذا تناولت الخريطة مساحة محدودة مثل الوجه البحرى أو إحدى محافظات مصر ، فإن قارىء الخريطة قد يحتاج إلى أن يجد على الخريطة ما يدله على ما يوضح له موقعها ، ويمكن أن يتضح ذلك من خلال رسم شبكة خطوط الطول ودوائر العرض التى تحدد الموقع الفلكى للإقليم بالنسبة

للعالم ، فعلى خريطة للدلتا يمكن أن تحدد موقع القاهرة بانها تقع على خط طول ٣١ شرقا وخط عرض ٣٠ شمالا ، ويمكن أن توضح الموقع بعمل خريطة صغيرة توضع فى أحد اركان الخريطة وتبين موقع الإقليم بالنسبة للإقليم الأكبر الذى ينتمى إليه، كما هو الحال فى رسم خريطة لمحافظة المنوفية وخريطة ركنية تحدد موقع المنوفية فى وسط الدلتا ، أو لإظهار إحدى الولايات على خريطة ركنية للولايات المتحدة الأمريكية .

٥ – دليل الاتجاه :

يعد دليل الاتجاه من أهم أساسيات الخريطة من أجل الاستخدام السليم لأنه وسيلة قارئها فى توجيه الخريطة توجيها سليما بحيث يكون على معرفة صحيحة بالاتجاهات الرئيسية عليها وعادة ما يستخدم اتجاه الشمال دليلا للاتجاه ، على الخريطة ويظهر عليها فى صورة سهم صغير يرسم فى أحد أركانها العليا .

ويمكن أيضا استخدام شبكة خطوط الطول ودوائر العرض دليلا يوضح اتجاه الشمال على الخريطة حيث تأخذ خطوط الطول فى معظم الخرائط محورا عاما من الشمال إلى الجنوب وإذا صادفتك خريطة غير موضح عليها أى دليل للاتجاه فإن ذلك يعنى أن الخريطة موجهة تلقائيا بمعنى أن إطار الخريطة الشمالى يشير إلى اتجاه الشمال .

مقياس الرسم :

مع كبر مساحة الأرض وأقاليمها واستحالة أن ترسم المسافات والمساحات على الطبيعة فى إقليم ما بنفس أطوالها ومساحتها على الطبيعة ، كان لابد أن نلجأ إلى التصغير أى نرسم صورة الطبيعة على الخريطة مصغرة ، ولكى يتوفر لهذا التصغير قدر من الدقة لابد أن يكون ذلك فى صورة نسبية بأن تحدد العلاقة بين الخريطة وما عليها من مسافات ومساحات من ناحية ونظيرها على الطبيعة من

ناحية أخرى ، وهو ما يعرف بمقياس رسم الخريطة الذى يعد أحد المعلومات الأساسية عليها كما سبق إيضاح ذلك عند الحديث عن أساسيات الخريطة .

وكما يستخدم مقياس الرسم فى الخرائط ، سواء تلك التى بالكتب أو الأطالس أو الخرائط الحائطية ، فإنه يستخدم أيضا فى عمل نماذج الكرة الأرضية التى تستخدم كوسيلة إيضاح فى المؤسسات التعليمية ، وعلى سبيل المثال فإن قطر الأرض يصل طوله إلى حوالى ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ بوصة ، فإذا كانت الكرة الأرضية فى المدرسة أو المعهد لها قطر ٢٥ بوصة ، فمعنى ذلك أن مقياس رسمها هو ٢٥ إلى ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ أو ببساطة ١ : ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ويلاحظ أن هذا المقياس الأخير لا يستخدم فيه تمييز لقياس أطوال المسافات بمعنى أنه إذا كانت كل بوصة على نموذج الكرة الأرضية تساوى ٢٠ مليون بوصة على الأرض فى عالم الواقع ، فإنه يمكن القول بالمثل بأن كل سنتيمتر واحد على نموذج الكرة الأرضية المدرسية تساوى ٢٠ مليون سنتيمتر على الأرض الحقيقية ، وإليك بعض نماذج من دلالة مقاييس الرسم :

مقياس الرسم على الخريطة	ما يقابل البوصة	ما يقابل السنتيمتر
١ : ٥,٠٠٠	١٣٩ ياردة	٥٠ متر
١ : ١٠,٠٠٠	٠,١٥٨ ميل	١٠٠ متر
١ : ٥٠,٠٠٠	٠,٧٨٩ ميل	٠,٥ كيلو متر
١ : ١٠٠,٠٠٠	١,٥٨ ميل	١,٠ كم
١ : ٥٠٠,٠٠٠	١,٨٩ ميل	٥,٠ كم
١ : ١,٠٠٠,٠٠٠	١٥,٧٨ ميل	١٠,٠ كم

هذا ، ويلاحظ أن معظم دول العالم تستخدم المقاييس المترية حاليا ، ولكن عددا قليلا من دول العالم مثل الولايات المتحدة وبريطانيا تستخدم مقاييس البوصة والميل على خرائطها ، وكذلك تظهر على كثير من الخرائط مقاييس رسم تقارن المسافات المترية بغيرها .

ويعرف مقياس الرسم - فى أبسط صورة - بأنه النسبة بين المسافات والمساحات على الخريطة وما يناظرها على الطبيعة ، فإذا قلنا إن المسافة بين منزلك ومعهدك على الخريطة ثلاثة سنتيمترات وكانت هذه المسافة على الطبيعة ثلاثة كيلو مترات فإن ذلك يعنى أن مقياس رسم هذه الخريطة يقول إن كل واحد سنتيمتر على الخريطة يعادل واحد كيلو متر على الطبيعة ولذلك فإن زميلا آخر يبعد منزله عن المعهد ستة كيلو مترات سوف يجد هذه المسافة على نفس الخريطة ستة سنتيمترات وهكذا .

أنواع مقاييس الرسم :

يظهر مقياس رسم الخريطة فى أشكال وصور متعددة فى أحد أركانها ويمكن بوجه عام أن تحدد هذه الصورة فى شكلين رئيسين :

١ - المقاييس الكتابية :

هذا النوع من المقاييس يستخدم التعبير كتابة بالألفاظ أو بالارقام ، ويتميز هذا النوع من المقاييس بسهولته ووضوحه لأنه يعطى مباشرة المسافة على الرسم وما يناظرها على الطبيعة فإذا كان لفظيا فهو يذكر الوحدة على الرسم وما يمثلها على الطبيعة مثل : كل واحد سنتيمتر على الخريطة يمثل خمسة كيلومترات على الطبيعة أما إذا كان رقميا فإنه يظهر على الخريطة فى صورة نسبية مثل ١ : ٥٠٠,٠٠٠ أو فى صورة كسر بيانى $\frac{١}{٥٠٠,٠٠٠}$ وذلك يعنى أن كل واحد سنتيمتر على الخريطة يمثل ٥٠٠,٠٠٠ سنتيمتر على الطبيعة أى خمسة كيلومترات ،

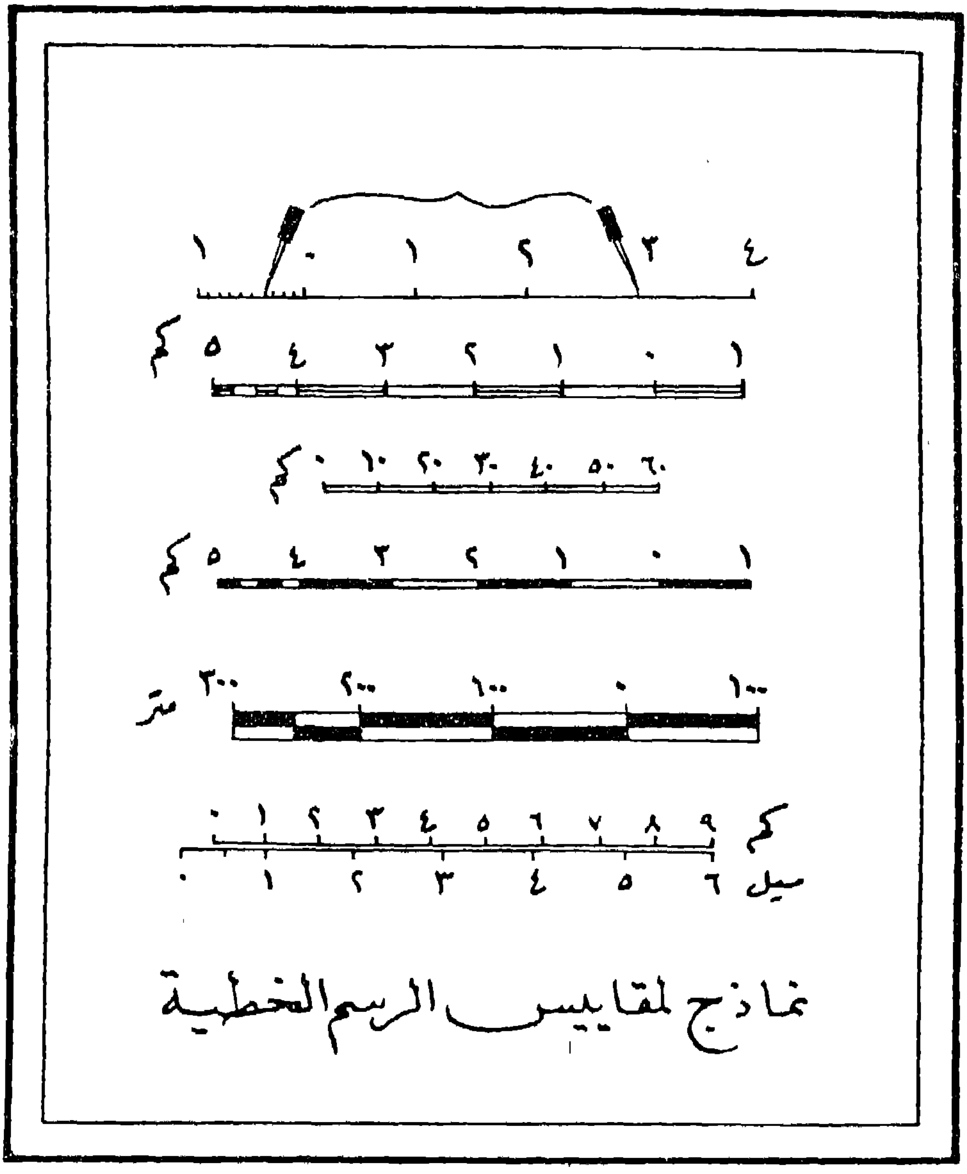
ويلاحظ أن من شروط المقياس الذى يرد فى صورة نسبية أن يكون طرف النسبة أو بسط الكسر واحد صحيح ويذكر ما يقابله على الطبيعة فى الطرف الآخر للنسبة أو مقام الكسر ، ويعد المقياس الرقمى أفضل من المقياس اللفظى لأنه يعبر بالرقم الذى يسهل فهمه مهما اختلفت لغات مستخدمى الخريطة ، بينما تمثل اللغة التى يكتب بها المقياس الكتابى عائقا أمام فهمه اذا كان مستخدم الخريطة يجهل اللغة التى كتب بها المقياس الكتابى ٠

٢ - المقاييس الخطية :

تتمثل الصورة الشائعة التى تظهر بها مقاييس الرسم فى معظم الخرائط خاصة كبيرة المقاييس وهو عبارة عن رسم خط فى ركن من أركان الخريطة بحيث لا يشغل حيزا كبيرا منها ، ثم يقسم هذا الخط إلى عدد من الوحدات المتساوية ويذكر على كل وحدة على الرسم ما يناظرها على الطبيعة كما يتضح من الشكل ٠

ويراعى فى عمل المقياس الخطى أن تكون أرقامه صحيحة وليست فى صورة كسور بقدر الإمكان ويفضل أن ينتهى بأرقام صفرية أو خمسية ٠

ولمزيد من الدقة فى القياس يمكن تقسيم الوحدة اليسرى الأولى من المقياس إلى واحدات صغرى حتى يمكن المقياس أن يقرأ وحدات أصغر مما توضحه وحداته الكبرى ، وقد يظهر المقياس الخطى على الخريطة فى صورة مقياس مقارن ذلك أن المقياس يمكن أن يقارن المسافة بالكيلومتر والميل ويتضح من الشكل أن المقياس المقارن رسم فى صورة خطين قسم كل منهما إلى وحدات تختلف عن الأخرى فقد قسم المقياس العلوى إلى سنتميترات وملليمترات وذكر ما يعادل كلا منها بالكيلومترات بينما قسم الخط السفلى إلى بوصات وأجزائها وذكر ما يقابل كلا منها بالميل مع ملاحظة أن نقطة بدء القياس (صفر المقياس) واحدة فى المقياس ليمكن أن نحدد عليه أيه مسافة بالكيلومترات وما يعادلها فى نفس الوقت بالأميال ولنفس المقياس ، وهذا هو الذى يعطى هذا المقياس صفة « المقارن » ٠


١ ٠ ١ ٢ ٣ ٤
كم ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠ ١
كم ٠ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ ٦٠
كم ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠ ١
متر ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ ٠ ١٠٠
٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ كم
٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ميل
نماذج لمقاييس الرسم الخطية

(شكل رقم ٢)

استخدام الخريطة فى الميدان :

كثيرا ما نكون فى رحلة أو فى دراسة ميدانية أو بصحبة أحد الأفواج السياحية ونحتاج إلى الخريطة لنستعين بها فى هذه الرحلة أو الدراسة الميدانية لنحدد بها خط سير الرحلة أو نحدد موقعنا على الخريطة ، فكيف يمكن استخدام الخرائط فى الميدان ؟ لابد لنا هنا من خطوات لتساعدنا على ذلك ، وهذه الخطوات هى :

١ - توجية الخريطة :

يعد توجيه الخريطة الخطوة الأولى لاستخدام الخريطة فى الميدان استخداما صحيحا ويقصد به أن توضع الخريطة فى وضع يطابق صورتها على الطبيعة بحيث يطابق كل مظهر من مظاهر الطبيعة نظيره الموجود على الخريطة اتجاها ويعنى ذلك بصورة أخرى تطابق الاتجاهات الرئيسية على الطبيعة مع نظيرتها على الخريطة ويعد تحديد أحد هذه الاتجاهات على كل من الخريطة والطبيعة أسهل طرق توجيه الخريطة لأنه مع تحديد ذلك تحدد تلقائيا بقية الاتجاهات (كيف ؟) .

٢ - تحديد اتجاه الشمال على الطبيعة :

سبقت الإشارة إلى كيفية ظهور اتجاه الشمال على الخريطة ، فكيف يمكن تحديد اتجاه الشمال على الطبيعة لكى يتم توجيه الخريطة ، هناك العديد من الطرق التى يمكن بها تحديد هذا الاتجاه فى الطبيعة لعل من أهمها الآتى :

(أ) استخدام البوصلة المغناطسية :

من المعروف أن إبرة البوصلة المغناطيسية تشير إلى اتجاه الشمال ، ومع وجود اتجاه الشمال على الخريطة فإنه يمكن إجراء توجيه الخريطة بوضعها على لوحة مستوية فى وضع أفقى ثم نضع البوصلة فوق الخريطة بحيث تكون إبرتها فى اتجاه

شمالى جنوبى مسامتة لسهم الشمال على الخريطة ولا يتم ذلك إلا بتحريك الخريطة تحت البوصلة حتى تأخذ الإبرة المغناطيسية اتجاه خط الشمال الموقع على الخريطة .

(ب) استخدام الشمس والنجوم :

يمكن استخدام الشمس وأشعتها الساقطة على سطح الأرض فى تحديد اتجاه الشمال نهارا فمن المعروف أن قرص الشمس عند شروقها يشير إلى اتجاه الشرق وعند غروبها يشير إلى اتجاه الغرب أما فى منتصف النهار (وقت الزوال) فإنه يلاحظ أن ظل الأشياء الواقع عليها أشعة الشمس يكون أقصر ما يمكن فى هذا الوقت ويتجه فى نفس الوقت نحو الشمال فى نصف الكرة الشمالى ونحو الجنوب فى نصف الكرة الجنوبى .

أما ليلا فإنه يمكن الاهتداء بالنجوم لتحديد اتجاه الشمال وذلك عن طريق مجموعة الدب الأكبر النجمية التى تظهر فى السماء عبارة عن مجموعة من النجوم تنتظم فى شكل يشبه المغرفة أو الدب تتكون من سبعة نجوم ويتكون ذيل الدب أو يد المغرفة من ثلاثة نجوم بينما جسم الدب أو المغرفة من أربعة نجوم يعرف النجمان الأخيران منهما باسم الدليلين ، فإذا أوصلنا بينهما بخط من قاع المغرفة إلى أعلاها ثم مد هذا الخط على استقامته إلى مسافة تعادل خمسة أمثال المسافة بين الدليلين تقريبا ، فإن هذا الامتداد يصل إلى نجم لامع عما سواه من النجوم المحيطة به هو النجم القطبى الذى يحدد موقعه بالنسبة للراصد اتجاه الشمال .

٣ - اذا لم نتمكن من تحديد اتجاه الشمال أو غيره من الاتجاهات الأصلية على الطبيعة فإنه يمكن الاستعانة بالخريطة والمعالم الموجودة عليها ومحاولة تطبيقها مع مثليتها على الطبيعة ويمكن أن يتم ذلك بعدة طرق منها البحث عن ظاهرة ذات امتداد طولى مثل طريق أو مجموعة أعمدة على خط مستقيم أو تقاطع طريق مع آخر ونحدد موقعنا منه ثم نطابق بين الخريطة والطبيعة كما يمكن

إجراء هذا التطابق وبالتالى توجه الخريطة بالبحث عن ثلاث ظاهرات يمكن أن تكون معا رؤوس مثلث يسهل تحديد موقعنا منه على الخريطة والطبيعة معا .

تحديد الموقع على الخريطة :

فى كثير من الأحيان يتطلب استخدام الخريطة فى الميدان تحديد موقعنا عليها ويتم ذلك عن طريق عدد من الطرق لعل من أبسطها أن نبدا بتوجيه الخريطة أولا بحيث نطابق الظاهرات الموجودة على الطبيعة حولنا مع مثيلتها على الخريطة ثم نبحث بعد ذلك عن ظاهرتين على الطبيعة نستطيع تحديدهما على الخريطة ويفضل أن تكون إحداهما عن يمين الراصد والأخرى عن يساره وبواسطة مسطرة أو شريط من الورق المقوى (الكرتون) نرسم خطا يسير فى اتجاه الظاهرة الأولى وما يمثلها على الخريطة وكذلك بالنسبة للظاهرة الثانية ونمد الخطين على استقامتهما ويحدد تقاطعهما على الخريطة الموقع الذى نقف عليه تماما .

الخريطة والعمل السياحى :

أصبحت للخريطة أهمية كبيرة فى العمل السياحى ، سواء كان ذلك بالنسبة للسائح الذى يريد أن يتعرف على الأماكن أو أن يقوم بنفسه بعمل خطة سياحية ينتقل فيها من مكان لآخر ، أو للشركات والمؤسسات العاملة فى السياحة والتى تهتم بتقديم أفضل خدمة ممكنة للسائحين الذين يتعاملون معها ، وفى هذا الصدد فإن الخريطة السياحية يمكن أن تشمل ما يلى :

١ - خرائط الأماكن والمزارات السياحية ، مثل عمل خريطة مفصلة نسبيا لأحد الأماكن الهامة مثل متحف توبكاباى Topkapi فى اسطنبول ، وهو القصر الذى كان مقرا للسلطان العثمانى ثم حول بعد ذلك إلى متحف ضخم ، يضم كنوز الامبراطورية العثمانية إلى جانب المطابخ ومقر الحريم ومقر السلطان ، ويمكن الاعتماد على الخريطة المفصلة فى ترتيب الزيارة ، ومن أمثلة ذلك أيضا الخريطة

التوضيحية لزيارة متحف اللوفر Louvre فى باريس بأجنحته المختلفة دون إهمال لأى قسم أو صالة من صالات العرض .

وقد تشمل هذه الخرائط مدينة مثل الأقصر وتوضح المناطق الأثرية فى شرق النيل وهى معبد الكرنك فى الشمال ومعبد الأقصر فى الجنوب وهى المناطق التى يتم فيها عبور النيل بالسفن حيث توجد المراسى إلى الضفة الغربية والطريق إلى كل من مدينة هابو ومعبد الرمسيوم ومعبد حتشبسوت والدير البحرى ثم وادى الملوك ووادى الملكات .

٢ - الخرائط السياحية الخاصة بالمدن الضخمة مثل القاهرة أو باريس أو مدريد أو لندن أو اسطمبول ، وهذه الخرائط توضح المعالم الهامة وشبكة الطرق والشوارع ، وقد توجد هذه الخرائط فى شكل كتاب يضم أطلسا للمدينة وهو ما حدث بالنسبة لكل من باريس ولندن والقاهرة التى توجد كتب لكل واحدة منها مثل كتاب Cairo A to Z وكذلك لمدينة لندن أو غيرها من المدن المذكورة .

٣ - الخرائط السياحية العامة لقطر من الأقطار ويشمل المناطق والأماكن السياحية وشبكات طرق النقل وأطوالها ، مثل خريطة مصر السياحية ، وقد توجد أحيانا على شكل أطالس مثل اسبانيا التى يوجد لها أكثر من أطلس سياحى يضم خرائط تفصيلية للأقاليم وللمدن ولشبكة الشوارع وأهم المعالم الرئيسية .

ويلاحظ أن شركات السياحة والطيران والمؤسسات والشركات الكبرى والفنادق قد تصور بعضا من هذه الخرائط السياحية التى تشكل لونا من الدعاية والإعلان من ناحية ومصدرا للمعلومات التى يهتدى بها السائح من ناحية أخرى ، وعلى دارس السياحة أن يجيد التعامل مع كل هذه الخرائط والأطالس تمهيدا لعمله فى المجال السياحى .

* * *

الفصل الثالث

المعالم الطبيعية للأرض

الأرض هى إحدى الكواكب التى تدور حول الشمس فى مدارات دائرية بتأثير تفاعل كل من قوة الجاذبية وقوة الطرد المركزية ، والأرض أقرب ما يكون شكلها إلى الكرة ، وإن لم تكن كاملة الكروية ، وذلك لأن محورها الاستوائى أطول من محورها القطبى ، فقطر الأرض عند خط الاستواء يصل إلى ١٢٧٥٧ كيلو مترا (٧٩٢٩ ميلا) على حين يصل قطرها بين القطبين إلى ١٢٧١٤ كيلو مترا (٧٩٠٠ ميل) وبذلك فإن قطرها الاستوائى يزيد ٤٣ كيلو مترا عن قطرها القطبى ، ولذلك يقال أحيانا إن الأرض مفلطحة .

وإذا كانت الشمس تمثل إحدى النجوم متوسطة الحجم ، فإن الأرض بدورها تمثل كوكبا متوسط الحجم بالنسبة لبقية الكواكب التى تدور فى فلك الشمس ، فالأرض أكبر حجما من كل من عطارد والزهرة والمريخ وبلوتو ولكنها أصغر من بقية الكواكب وهى المشترى وزحل وأورانوس ونبتون ، غير أن مقارنة الأرض بالشمس توضح لنا مدى ضخامة الشمس بالنسبة للأرض ، فبينما يصل قطر الشمس إلى ١,٤٠٠,٠٠٠ كيلومترا وتصل درجة حرارة قلبها إلى ١٥ مليون درجة مئوية وحرارة سطحها إلى ٥٥٠٠ درجة مئوية فإن قطر الأرض لا يتعدى ١٢,٧٥٧ كيلومترا كما سبق ومتوسط درجة حرارة سطحها ١٥ درجة مئوية فقط ، والشمس هى مصدر الحرارة السطحية للأرض وتبعد الأرض عن الشمس بمسافة ١٤٩,٦٠٠,٠٠٠ كيلومترا .

دوائـر العرض وخطوط الطول :

قسم العلماء سطح الأرض إلى مجموعة وهمية من الخطوط التى تشكل شبكة تحيط بالأرض ، وهذه الشبكة تمثل خطوطا طولية هى خطوط الطول التى يصل كل منها بين القطبين الشمالى والجنوبى وتتقاطع معها خطوط عرضية على شكل دوائر تحيط بالكرة الأرضية ، وتستخدم خطوط هذه الشبكة الوهمية فى تحديد مواقع الأماكن على سطح الكرة الأرضية كما أن لها استخدامات أخرى كما سنرى .

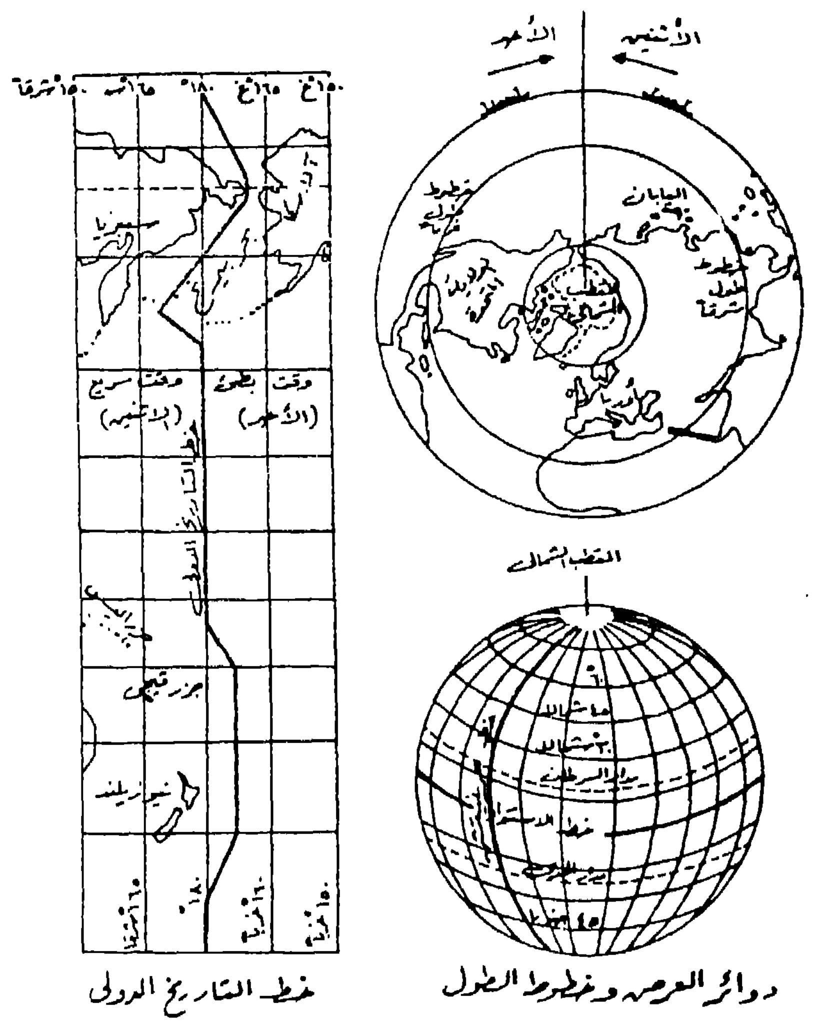
أما بالنسبة لخطوط الطول ، فعددها ٣٦٠ خطا ويعتبر خط جرينتش هو خط الطول الرئيسى بعد أن اتفقت دول العالم على ذلك وأصبح خط جرينتش الذى يقع عليه مرصد جرينتش الفلكى هو خط صفر وتقاس بالنسبة له بقية خطوط الطول حيث يقع نصفها إلى الشرق منه ونصفها الآخر إلى الغرب منه أى أن ١٨٠ خطا تقع شرق جرينتش ويقع مثلها إلى الغرب منه .

ولما كان محيط الكرة الأرضية عند خط الاستواء يصل إلى ٤٠٠٧٥ كيلومترا فإن قسمة هذا العدد على ٣٦٠ خطا يمثل كل خط منها درجة فى الدائرة يعطى المسافة بين كل خطين من خطوط الطول أى أن هذه المسافة تساوى عند خط الاستواء ما يلى

$$\frac{\text{٤٠٠٧٥ كم}}{\text{٣٦٠ درجة}} = \text{١١١ كيلومترا}$$

ولما كانت هذه الأقواس التى تمثل خطوط الطول تتقارب كلما اتجهنا نحو القطبين فإن المسافة بين كل خط وآخر تقل بالبعيد عن خط الاستواء شمالا أو جنوبا بحيث لا تزيد عن ٥٥,٨ كيلومترا عند دائرة عرض ٦٠ شمالا أو جنوبا وتقل اكثر كلما قربنا من القطب حيث يصل البعد بين الخطوط صفرا لانها تتلاقى عند القطبين .

ويقابل خط جرينتش على الناحية الأخرى خط ١٨٠ درجة « شرقا وغربا فى الوقت نفسه)وهو الذى يطلق عليه خط التاريخ الدولى International Date Line أما السبب فى ذلك فهو أن كل خط من خطوط الطول يوجد بينه وبين الخط الذى يليه فارق فى التوقيت يصل إلى ٤ دقائق بمعنى أن الفارق بين كل ١٥ خطا يمثل ساعة (حيث أن دوران الأرض حول محورها يتم فى حوالى ٢٤ ساعة تقطع فيها ٣٦٠ خطا) ومن الطبيعى أن يكون نصف الكرة الأرضية نهارا بينما يشهد نصفها الثانى ليلا ، ولما كانت الشمس تشرق من الشرق فإن التوقيت فى أى مكان شرقى يسبق التوقيت فى أى مكان غربى ، واتخذ خط جرينتش ليكون بمثابة فاصل فى التوقيت ، ولما كان التوقيت أو اليوم يبدأ بعد انتصاف الليل فإنه عندما تكون الساعة فى جرينتش هى الواحدة من صباح يوم ما ، وليكن الخميس اول توفمبر فى سنة ما ،فإن الساعة تكون فى القاهرة التى تقع على خط ٣٠ درجة شرقا تقريبا تسبق توقيت جرينتش بساعتين فتكون الساعة فيها الثالثة صباحا ، أما فى العاصمة الامريكية واشنطن فإن الساعة لا تزال الثامنة مساءا (لأن واشنطن تقع على خط طول ٧٥ درجة غربا) وبذلك يصل الفارق فى التوقيت بين القاهرة وواشنطن إلى سبع ساعات ، أما عند خط التاريخ الدولى فإن الأمر يتعدى التوقيت إلى التاريخ ، حيث يسبق التاريخ فى شرق هذا الخط الأماكن التى تقع فى غربه بيوم ، وعندما يكون التاريخ فى شرقه هو الجمعة ٢ / ١١ فإن غربه يكون تاريخه الخميس ١ / ١١ ، ويمر معظم هذا الخط فى مسطحات مائية تمثل جزءا من المحيط الهادى وعندما يقطع هذا الخط بعض الجزر الصغيرة يجرى تعديل الخط بحيث يرسم اقواسا تمنع تعدد التواريخ فى تلك الجزر وهى جزر الوشيان Aleutian فى غربه ، أما فيجى Fiji وتونجا Tonga وساموا الغربية فيكون التوقيت فيها متفقا مع استراليا ونيوزيلند لأنها تقع فى شرق هذا الخط (الشرق والغرب هنا نسبيان) .



الرسم الأعلى في اليمين يوضح عبور خط التاريخ الدولي

(شكل رقم ٣ ـ ٥)

وأما دوائر العرض فعددها ١٨٠ دائرة وهى تتقاطع مع خطوط الطول بزوايا قائمة ، وتسير دوائر العرض فى اتجاه من الشرق إلى الغرب ، ونظرا لأن هذه الدوائر تختلف فى محيطها بالبعد عن الدائرة الرئيسية وهى خط الاستواء فإن المحيط الذى يمر بالكرة الأرضية عند دائرة خط الاستواء يصل طوله إلى أكثر من ٤٠,٠٠٠ كيلومترا كما سبق ، أما كلما بعدنا عن خط الاستواء فيصغر محيط الدائرة والتى تتشكل من دوائر العرض حتى تصل إلى نقطة القطبين الشمالى والجنوبى اى دائرة ٩٠ فى شمال الكرة الارضية وجنوبها .

وأهم الدوائر العرضية هى خط الاستواء Equator ومدار السرطان Tropic of Cancer (٢٣,٥ درجة شمالا) ومدار الجدى Tropic of Copricorn (٢٣,٥ درجة جنوبا) ثم الدائرة القطبية الشمالية Arctic Cirle (٦٦,٥ درجة شمالا) والدائرة القطبية الجنوبية Antarctic Circle (وتقع عند ٦٦,٥ درجة جنوبا) .

وإذا كانت خطوط الطول تفيد فى معرفة التوقيت فإن دوائر العرض تفيد فى معرفة الأقاليم المناخية والنباتية ، حيث توجد فروق واضحة فى المناخ والنبات تبعا لموقع الأقاليم من خط الاستواء أو القطب ، فكلما قربنا من خط الاستواء تزيد الحرارة وتصبح مرتفعة طول العام بينما تقل درجات الحرارة بالاتجاه شمالا أو جنوبا من خط الاستواء ، كما تختلف صورة الغابات والغطاء النباتى تبعا لذلك ، كما أن الأمطار تكون أقل طول العام باليعد عن خط الاستواء . كما يختلف طول الليل والنهار ومعنى الفصول المناخية بالبعد عن خط الأستواء ، فعند خط الاستواء يتساوى طول كل من الليل والنهار (١٢ ساعة لكل منهما) ولكن باليعد عن خط الاستواء يظهر معنى الفصول المناخية ويزيد طول النهار فى الصيف الذى قد يستغرق ستة شهور عند الدائرة القطبية الشمالية بينما يقصر نهار الشتاء فى تلك المناطق ويزيد طول الليل والسؤال الآن هو : ما الذى يفيده دارس السياحة من هذه

الجوانب الجغرافية ؟ أمثلة : توقيت وصول أو رحيل الأفواج السياحية ، الملابس المناسبة ، وماذا أيضا ؟

الغلاف الحيوى :

الغلاف الحيوى Biosphere هو الذى توجد فيه مختلف صور الحياة ، ويمكن أن يوجد عند أقصى عمق تصل إليه أعماق المحيطات وهو ١١ كيلومترا تحت مستوى سطح البحر ويصل ارتفاعه إلى عشرة كيلومترات فوق مستوى سطح البحر ، حيث توجد بعض خلايا البكتريا والفطر فى حالة حركة حرة فى الغلاف الغازى ، ولكن معظم الكائنات الحية تعتمد على الطاقة الشمسية إما بطريقة مباشرة وإما بطريقة غير مباشرة ولذلك فإن هذه الكائنات توجد فى النطاق الذى تنفذ إليه أشعة الشمس والضوء فى مياه المحيطات الصافية على أعماق تقل عن ٢٠٠ مترا من السطح ، وتمتد حتى ارتفاع يصل إلى ستة كيلومترات فى المناطق الجبلية المدارية ، ويلاحظ أن قمة جبل إفرست Everest ترتفع ٨٩٠٠ مترا فوق مستوى سطح البحر .

وسمك الغلاف الحيوى بالنسبة للكرة الأرضية لا يتعدى شريحة رقيقة مثل النتوءات الصغيرة التى تظهر على قشرة برتقالة ، ويتأثر الغلاف الحيوى بالعمليات الطبيعية التى تحدث خارجه مثل الطاقة الشمسية ، كما يتأثر بحركات المد والجزر التى تحدث نتيجة لموقع كل من الأرض والشمس والقمر ، وكذلك بعض الغازات التى توجد على ارتفاعات تتفاوت بين ٢٠ - ٤٠٠ كيلومترا فى الغلاف الجوى ، وفيها يتم التغلب على آثار الجزيئات الضارة الناتجة عن الطاقة الشمسية أما عن الطبقات الأرضية التى توجد بها المعادن التى استخدمها الانسان فى مراحل تطوره الحضارى المختلفة فتوجد خاماتها على أعماق قد تصل إلى ٤٠ كيلومترا .

أما الطبقة المنصهرة من باطن الارض فتوجد على أعماق تصل إلى ما بين ٢٩٠٠ – ٥٢٠٠ كيلومترا ، وهى التى يوجد بها المجال المغناطيسى للأرض والذى يعمل على حماية الأرض من آثار الجزيئات المشعة والشحنات المكهربة التى توجد فى الفضاء .

وتبلغ المساحة الاجمالية للكرة الأرضية ٥١٠ مليون كيلومتر مربع منهـا ٧١ ٪ يشكله الماء أو البحار والمحيطات بينما يشكل اليابس ٢٩٪ من مساحة الكرة الأرضية ، ويتوزع ذلك على النحو التالى :

(أ) المحيطات والبحار :

وتبلغ مساحتها ٣٦١ مليون كيلومترا مربعا يشغل المحيط الهادى ٤٦ ٪ من مساحتها والمحيط الاطلنطي ٢٣ ٪ والمحيط الهندى ١٨ ٪ والمحيط القطبى الشمالى ٤ ٪ كما تغطى الركامات الجليدية والثلوج ٧ ٪ من المحيطات فى شمال الكرة الارضية وجنوبها .

(ب) اليابسة :

وتبلغ مساحتها ١٤٩ مليون كيلو متر مربع تشغل أوراسيا ٣٦ ٪ منها وافريقيا ٢٠ ٪ وأمريكا الشمالية والوسطى ١٦ ٪ وأمريكا الجنوبية ١٢ ٪ والاقيانوسية (استراليا وما حولها من جزر) ٦ ٪ وأما القارة القطبية الجنوبية Antarctica فتمثل ١٠ ٪ من مساحة اليابسة ، كما يغطى الجليد مساحات تصل إلى ١٠ ٪ من اليابسة وتغطى البحيرات والانهار ١ ٪ وأما مساحة مختلف القارات فهى كما يلى مقدرة بملايين الكيلومترات المربعة : آسيا ٤٤,٥١٨ كم٢ ، افريقيا ٣٠,٣١٩ كم٢ ، أمريكا الشمالية ٢٤,٣٨٦ كم٢ وأمريكا الجنوبية ١٧,٨٣٤ كم٢ والقارة القطبية الجنوبية ١٥,٥٤٠ كم٢ وأوربا ٩,٩٣٣ كم٢ ، والاقيانوسية ٨,٩٤٢ كم٢ ويلاحظ فى المساحات والنسب السابقة أن الجزر المقابلة للقارات تتبعها ، وأن البحار تتبع المحيطات التى تتصل بها .

تصنيف اشكال الارض :

تتباين مظاهر سطح الارض فى ارتفاعها عن سطح البحر أو انخفاضها عنه ،

وكذلك فى انحدارها ومدى امتداد كل منها ، وحتى يمكن التوصل إلى تصنيف وترتيب لأشكال سطح الأرض وضعت مجموعة من المقاييس التى تقسم أشكال سطح الأرض تبعا لها ، وهذه الخصائص أو المقاييس هى الانحدار Slope والمواد السطحية Surface materials والنمط Pattern والأبعاد Dimentions .

الانحدار :

يعبر عنه عادة بنسبة أو علاقة ما بين الارتفاع أو ما يطلق عليه الفاصل الرأسى والامتداد أو ما يطلق عليه المسافة الأفقية ، وعادة ما يستخدم لذلك تعبير وصفى كأن نقول إن الانحدار شديد أو متوسط أو ضعيف ، وفى المناطق الجبلية التى تجاورها سهول يوجد انحدار فى السفوح يمكن تمييزه بسهولة كما أن مناطق الحافات الجبلية تكون شديدة الانحدار ، وفى مناطق السهول أو الصحارى المكشوفة تكون الانحدارات خفيفة للغاية أو غير ملموسة أحيانا مثل دلتاوات الأنهار أو حتى على سطوح الهضاب .

ويقاس الانحدار عادة بالدرجات أو الزوايا بالنسبة لسطح مستوٍ هو سطح البحر .

الرواسب السطحية :

تختلف السطوح من حيث تركيب المواد الصخرية التى تعلوها أو تظهر فيها ، فقد تظهر التربة أحيانا على شكل صخور دقيقة متجانسة الذرات تختلط بها المواد العضوية المتحللة مثل مناطق السهول الفيضية أو المناطق المزروعة ، وفى أحيان أخرى تكون التربة عبارة عن صخور عارية ملساء لا يوجد عليها أية رواسب ، وفى أحيان ثالثة توجد تكوينات حصوية أو رملية أو جلاميد متخلفة عن إرسابات الجليد أو المياة الجارية ، وتوجد فروق واضحة بين مظهر السطح فى الصحارى عنه فى السهول أو المناطق ذات الطبيعية المتضرسة .

النمط :

وهو يرتبط بتوصيف الظاهرة وتتبع توزيعها فى مناطق مختلفة ، فشبكات

الأنهار مثلا مكونة من نمط واضح تقسم فيه الأنهار إلى ثلاثة اقسام أساسية هى المنبع أو المجرى الاعلى ، والمجرى الاوسط ثم المجرى الأدنى أو المصب ، والكثبان الرملية إما أن تكون هلالية أو طولية ، ويرتبط توزيعها بظاهرات أخرى مثل الرياح ، ويمكن أن تتميز الأقاليم عن بعضها البعض بتباين ما عليها من الأنماط ، فالمناطق الجافة تختلف أنماط السطح فيها عن المناطق الممطرة ، وتختلف المناطق الجبلية عن السهلية وهكذا .

الأبعاد :

وهى ترتبط بمدى الضخامة أو الصغر ، أى الامتداد الأرضى للظاهرات ، وقد تكون هذه الأبعاد رأسية تهتم بالارتفاع ، حيث تختلف الجبال فى ارتفاعها عن التلال ، وقد تكون هذه الأبعاد أفقيه ، حيث تختلف الأحواض النهرية أو المنخفضات عن البحيرات أو المستنقعات أو الكثبان الرملية واذا أخذت هذه الأبعاد شكل الوحدات الصغيرة التى لا يتعدى ارتفاعها ٥٠ مترا تعرف عندئذ بالتضاريس المحلية ، ولكن الأمر يختلف عن ذلك فى حالة المرتفعات الكبيرة أو الجبال العالية التى قد يصل ارتفاعها إلى عدة كيلومترات كما أنها قد تمتد أفقيا لتشغل مساحات كبيرة تظهر على الخرائط العامة للعالم أو القارات ، أما التضاريس المحلية فلا تظهر إلا على الخرائط التفصيلية ذات مقياس الرسم الكبير .

الاشكال الرئيسية لسطح الأرض :

توجد عديد من الاشكال التى تغطى سطح الارض ، والتى تكون بينها اختلافات كثيرة ، ولكنها طبقا للتصنيف السابق يمكن أن تندرج تحت عدد من الأشكال الرئيسية هى السهول والتلال والجبال والهضاب كمناطق قارية والبحار والمحيطات كمسطحات مائية وهى أشكال الغلاف المائى . والجدول التالى يوضح أهم الفئات التى تشكل سطوح القارات :

جدول النسب المئوية لأشكال سطح الأرض

الشكل	أوراسيا	إفريقيا	أمريكا الشمالية	أمريكا الجنوبية	استراليا ونيوزيلند	القطبية الجنوبية	العالم
السهول الفيضية	٢	١	٧	١٨	٤	صفر	٥
السهول المموجة	٣٠	٤٤	٣٠	٢٩	٥١	صفر	٣١
الهضاب	٣	٥	٦	١٤	١	صفر	٥
السهول المرتفعة	١٠	٢٢	٩	٧	١٩	صفر	١١
التلال	١١	١١	١٥	٨	١٢	صفر	١٠
جبال صغيرة	٢١	١٣	٩	١٣	١٢	١	١٤
جبال مرتفعة	٢٣	٤	١٦	١١	١	١	١٣
غطاءات جليدية	صفر	صفر	٨	صفر	صفر	٩٨	١١
٪ من العالم	٣٦	٢٠	١٦	١٢	٦	١٠	١٠٠

ويتضح من الجدول أن فئات أشكال السطح المختلفة ليست متساوية فى نسب وجودها أو توزيعها على سطح الأرض ككل ، أو على مختلف القارات ، ويرجع هذا التباين فى نسبة كل شكل من أشكال السطح ، وفى توزيع هذه الأشكال على الأرض إلى اختلاف التكوين الصخرى والتاريخ الجيولوجى الذى مرت به الأرض ، ومدى انتشار الرواسب أو التكوينات الصخرية لكل عصر من العصور الجيولوجية ، وحدوث الحركات الأرضية العنيفة من زلازل وانكسارات وثورانات بركانية ، أو الحركات الأرضية البطيئة الناتجة عن عوامل التعرية والنحت من ناحية والإرساب من ناحية أخرى ، وتتأثر هذه العمليات بفعل كل من الجليد والمياة الجارية والرياح واختلاف درجات الحرارة اليومى والفصلى والسنوى .

ويظهر من الجدول أن السهول بأنواعها المختلفة تشكل أعلى نسبة من المساحة على مستوى العالم كله ، وتلى ذلك المناطق الجبلية المرتفعة ومتوسطة الارتفاع ، وتأتى المناطق التى يغطيها الجليد فى المرتبة الثالثة ثم مناطق التلال ،

بينما تشغل المناطق التى تشغلها الهضاب كشكل تضاريسى أقل نسبة من الأشكال السطح على المناطق القارية أو اليابسة .

وبينما تغطى التكوينات الجليدية الكثيفة ٩٨ ٪ من سطح القارة القطبية الجنوبية فإن هذه الغطاءات. الجليدية لا تشغل أى مساحات تقريبا فى كل من أوراسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية ، واستراليا ونيوزيلند . أما على مستوى العالم فإن هذه الغطاءات الجليدية تغطى ١١ ٪ من مساحة اليابسة فى العالم ، ولما كانت القارة القطبية الجنوبية تمثل ١٠ ٪ من مساحة اليابسة ، فإن الغطاءات الجليدية التى تغطى ٨ ٪ من مساحة أمريكا الشمالية لا تمثل سوى ١ ٪ من الغطاءات الجليدية فى العالم وهكذا يمكن أن نخرج من الجدول بمجموعة من المقارنات بين مختلف القارات ومدى انتشار أشكال السطح المختلفة على كل قارة منها .

وفيما يلى دراسة لكل شكل من أشكال السطح

أولا : السهول Plains

السهول هى مناطق ذات سطوح مستوية أو ذات انحدارات لطيفة وتمتاز بتضاريسها المحلية المنخفضة ، ومع ذلك فإنه توجد اختلافات واضحة بين الأنواع الكثيرة من السهول فبعضها يكون السطح فيه أقرب ما يكون إلى الاستواء الذى لا تتخلله أى مرتفعات بينما بعضها الآخر قد يقترب فى بعض ملامحه من التلال المتجاورة وإن كانت الارتفاعات أقل فى تلك السهول ذات الشبه بالتلال ، وبعضها توجد به مستنقعات دائمة أو مؤقتة ، على حين يكون بعضها الآخر جافا وتكون تربته صخرية أو رملية أو حصوية ، كما أن بعضها قد يغطيه الثلج أو الجليد بصورة دائمة وبعض السهول يكون منسوب أرتفاعها مقاربا لمستوى سطح البحر بينما يكون بعضها الآخر مرتفعا لعدة مئات من الأمتار ، ولكن الذى يجمع ذلك

كله هو أنهار ذات انحدارات لطيفة وأن الاختلافات فى منسوب السطح تكون قليلة جدا فى مختلف أنواع السهول .

ومهما كانت أنواع السهول ودرجات انحدارها فإن أهم خصائصها هى أنه يمكن القول بأنها تشكل أكثر مظاهر السطح اجتذابا لسكنى الإنسان واستقراره وقيام حضارته منذ أقدم العصور ، ولذلك فإنه يوجد ارتباط قوى بين توزيع السهول فى العالم وتوزيع السكان ، وفيما عدا بعض الاستثناءات فى المناطق التى تسودها المستنقعات أو المناطق الصخرية أو الجليدية فإن السهول تغطيها عادة شبكة من طرق النقل وهى غالبا ما تشكل أهم مناطق الإنتاج الزراعى فى العالم .

ويرجع أصل السهول إما إلى أنها قد تأثرت بعوامل طبيعية فى الماضى أدت إلى استواء سطحها وازالة ما كان يوجد على هذا السطح فى الماضى من مرتفعات أو أنها قد جلبت اليها رواسب غطت المنخفضات وسوتها بالمرتفعات فأصبح السطح متجانسا ، وقد يكون استقرار الأرض وعدم حدوث حركات أرضية عنيفة كالالتواءات والانكسارات وحركات هبوط الأرض أو ارتفاعها سببا فى وجود السهول ذات السطوح المستوية ، أو أن تكون تلك السهول عبارة عن إرسابات حديثة لم تتأثر بعد بالعوامل التى تؤدى إلى اختلاف المناسيب على السطح .


مظاهر السطح فى آسيا
مناطق جبلية ومرتفعات
أحواض نهرية
هضاب
منخفضات
سلاسل جبلية

شكل رقم (٦)

توزيع السهول على قارات العالم :

١ - السهول الآسيوية :

يوجد فى آسيا عدد كبير من السهول ، لعل أعظم هذه السهول اتساعا هو سهل سيبريا الذى يمكن أن نميز فيه بين قسمين سهل سيبريا الغربى وسهل سيبريا الشرقى ويمتد سهل سيبريا بصفة عامة بين حدود آسيا الغربية ممثلة فى جبال أورال شمالا وأما من الجنوب فإن حدود هذا السهل العظيم توجد عند أقدام المرتفعات التى تمتد فى آسيا الوسطى حتى كل من بحر قزوين وبحر أرال . وفى الشرق تمثل مرتفعات شمال شرق آسيا حدود هذا السهل الضخم .

ويمتد القسم الغربى من سهل سيبريا إلى الشرق مباشرة من جبال أورال وتجرى فيه بعض الأنهار التى تصب فى المحيط المتجمد الشمالى وهى أنهار أوب وينسى Ob and Yenisev ويمتاز هذا القسم الغربى بالاستواء وعدم وجود مرتفعات أو تلال تتخلله وإلى الشرق من نهر ينسى يوجد القسم الشرقى من سهل سيبريا ويمتد ليشمل نهر لينا Lena ، وتوجد فى هذا القسم بعض المرتفعات التى تجعله أقل استواء من القسم الغربى ، ويلاحظ أن جزءا من شمال هذا السهل العظيم الامتداد قد يغطيه الجليد طول العام ، كما أن بعض الأجزاء فى جنوب هذا السهل تشغلها الصحارى القارية الجافة وخاصة فى القسم الشرقى من السهل ، ومع ذلك فإن المناطق الجنوبية من سهل سيبريا تمثل أهم مناطق الانتاج الزراعى فى القسم الآسيوى من روسيا ، وبعد أن تم مد خط سكة حديد سيبريا (فى عام ١٩٠٥) أصبحت كثير فى مناطق سهل سيبريا الغربية ذات أهمية كبيرة فى الانتاج الاقتصادى ونشأت بها عديد من المدن والمراكز الصناعية .

ومن السهول الآسيوية الهامة السهول الساحلية والنهرية فى الصين وهى تبدأ من نهر آمور Amur شمالا ثم نهر هوانج Hwangho ويانجتسى Yangze وسيكيانج

Si-kiang وتوجد فى الهند سهول كل من نهرى السند Indus الذى يمتد معظمه فى دولة باكستان حاليا كما توجد سهول وسط وشرق القسم الشمالى من شبه القارة الهندية عند اقدام المرتفعات الجبلية وتشغلها انهار الجانج Gange وبراهما بواترا Brahma Putraوتوجد فى أحواض هذه الأنهار كثير من حضارات الصين والهند ، كما أن جزءا كبيرا من الأراضى الزراعية لكل من الصين والهند وباكستان وبنجلاديش يوجد فى السهول النهرية السابقة كما يوجد فى أسيا سهول آخرى فى كل من بورما وتايلاند وفيتنام وكمبوديا وفى بعض أجزاء الجزر الإندونيسية هذا إلى جانب سهول العراق أو أرض الرافدين (دجلة والفرات) وسهول الهلال الخصيب التى تمتد بين كل من العراق وسورية وفلسطين . وهى أيضا مواطن لحضارات قديمة تركت كثيرا من الآثار الرائعة ولا تزال هذه السهول تمثل أهم مناطق تركز السكان فى القارة الأسيوية وذلك لأنها أكثر مناطق القارة خصوبة فى التربة ووفرة فى المياة والإنتاج الزراعى .

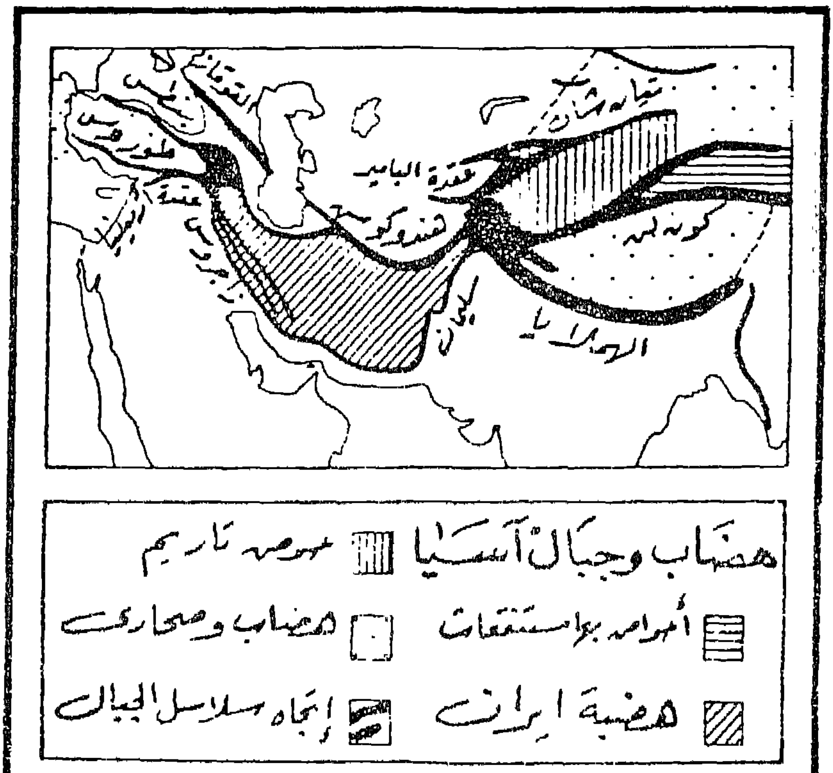
٢ - السهول الافريقية :

إفريقيا من أقل القارات حظا من السهول ، نظرا لأن معظم أجزاء القارة عبارة عن هضاب مرتفعة . ومع ذلك فإنه يوجد بها سهول حوض الكونغو (زائير) وهو سهل واسع يقسمه خط الاستواء إلى قسمين شمالى وجنوبى وتكثر فيه الأنهار والمجارى المائية التى تعتبر روافد لنهر الكونغو الذى يجرى وسط سهل تحيط به المرتفعات من كل جانب كما توجد بعض السهول فى غرب إفريقيا وخاصة فى موريتانيا والسنغال غير أن سهول موريتانيا صحراوية بينما سهول السنغال تجرى فيها أنهار السنغال وغمبيا مما يجعلها صالحة للزراعة ، كما توجد بعض السهول فى حوض النيجر وخاصة فى مالى ونيجريا وكذلك سهول نهر الفولتا فى غانا ، ويمثل السهل الفيضى لنهر النيل واحداً من أهم السهول فى افريقيا حيث نشأت فى مصر واحدة من اقدم حضارات البشرية .

كما توجد بعض السهول الضيقة فى المناطق الساحلية بشرق افريقيا فى كل من الصومال وكينيا وتنزانيا وموزمبيق وكذلك فى شمال افريقيا فى كل من ليبيا وتونس .

٣ - سهول امريكا الشمالية :

تعتبر امريكا الشمالية من أغنى القارات بالسهول ، حيث تمتد هذه السهول من خليج المكسيك جنوبا حتى المحيط المتحمد الشمالى شمالا ويكاد القسم الشرقى من القارة الذى يشغل



شكل رقم (٧)

اكثر من نصف مساحتها يغطى بالسهول التى تجرى فيها الأنهار أو تتخللها البحيرات ولا يقطع ذلك سوى مرتفعات الأبلاش والهضبة اللورنسية ، وتمتد سهول أمريكا الشمالية بطول يصل إلى حوالى خمسة آلاف كيلو متر فى كل من الولايات المتحدة وكندا ، وتجرى فى هذه السهول أنهار المسيسبى وسانت لورنس وتشرشل وماكنزى كما توجد البحيرات الخمس العظمى وعدة آلاف أخرى من البحيرات التى تخلفت عن ذوبان الجليد .

وتوجد عدة سهول أخرى ثانوية فى أمريكا الشمالية مثل وادي يوكون فى ألاسكا أو بعض السهول الساحلية الضيقة فى غرب مرتفعات الروكى فى أحواض الأنهار مثل كولومبيا وكلورادو .

والسهول العظمى فى أمريكا الشمالية هى أكبر مناطق العالم انتاجا للغلات والحاصلات الغذائية والزراعية وفيها تصدر كثير من المنتجات الزراعية والحيوانية إلى العالم كله سواء فى ذلك القمح أو الذرة أو اللحوم ومنتجات الألبان أو المواد الخام الزراعية وخاصة القطن ، وتسد هذه السهول جزءا كبيرا من استهلاك العالم .

٤ - سهول امريكا الجنوبية :

توجد سهول واسعة الامتداد فى هذه القارة تقارب ما يوجد فى أمريكا الشمالية وهى تمتد فى نفس الاتجاه من الشمال إلى الجنوب ، ونظرا لشكل القارة فإن السهول تكون أكثر اتساعا فى القسم الشمالى حيث توجد بين هضبة البرازيل وهضبة جيانا سهول الأمزون الواسعة . ونهر الامزون هو أكبر أنهار العالم من حيث كمية المياه التى تجرى فيه ، وهو يشق واديه الواسع من مرتفعات الانديز فى الغرب حتى مصبه فى شمال أمريكا الجنوبية ويتصل فى غربه بنهر الأورينوكو حيث يفصلهما مرتفعات جيانا ، ولابد هنا من المقارنة بين سهول أنهار أمريكا

الجنوبية وسهول المسيسبى فى أمريكا الشمالية ، حيث أن المستنقعات وكثافة الغطاء النباتى الطبيعى فى أمريكا الجنوبية يحولان دون غنى سهول أمريكا الجنوبية كمصادر لإمداد العالم بالطعام والمواد الخام كما هو الحال فى سهول أمريكا الشمالية . وفى السنوات الأخيرة أصبحت موارد الغابات فى أمريكا الجنوبية مهددة ، نظرا للاستغلال الهدمى الذى يؤدى إلى قطع الغابات دون أن تحل مكانها أشجار جديدة ، وقد أدى ذلك بدوره إلى جرف التربة الذى أسفر عن كثير من المشكلات البيئية التى لم يقف أثرها على منطقة صغيرة ، بل شمل التأثير فى مناخ العالم ، خاصة بالنسبة لانخفاض كميات الأمطار وتهديد حياة الحيوان البرى .

ومن المناطق السهلية الاخرى فى أمريكا الجنوبية سهول لابلاتا La Plata التى تجرى فيها أنهار بارانا Parana وأوراجواى Uruguay ، ورغم أن هذه السهول أقل امتدادا من سهول نهر الأمزون فإنها أكثر غنى فى إنتاجها الزراعى والحيوانى نظرا لاختفاء جزء كبير من الغطاء النباتى الطبيعى وانتشار الزراعة كما أنه لا توجد مستنقعات في سهول لابلاتا يمكن مقارنتها بما يوجد فى حوض الأمزون .

٥ - السهول الاوربية :

يعتبر السهل الروسى الأوربى أكبر سهول القارة وهو يمتد بين البحر الأسود وبحر قزوين جنوبا ويمتد شمالا حتى المحيط المتجمد الشمالى وتحده من الشرق جبال أورال ولكنه فى جنوب هذه الجبال يتصل بسهول التركستان وغرب سيبريا فى آسيا ، وهذا السهل الواسع تغطيه فى شماله مستنقعات ومناطق يغطيها الجليد وأما فى جنوبه وشرقه فتوجد مناطق شبه صحراوية ، غير أن معظم هذا السهل الأوربى الروسى يعتبر أهم مناطق الزراعة فى روسيا .

ويمتد السهل الروسى غربا ليتصل بوسط أوربا وغربها فى سهول ألمانيا

وفرنسا ، كما توجد عدة سهول صغيرة منفصلة عن بعضها البعض فى أوربا مثل سهل البو Po فى أيطاليا وحوض الدانوب Danube فى كل من المجر ورومانيا ويوغوسلافيا السابقة وسهل الأندلس فى جنوب اسبانيا . وبعض السهول الاصغر مساحة فى شبه جزيرة البلقان فى كل من بلغاريا واليونان وقد قامت بعض الحضارات القديمة فى هذه السهول الأوربية وخاصة فى كل من إيطاليا واليونان حيث سادت الحضارات الاغريقية والرومانية التى لعبت دورا هاما فى تطور الحضارات البشرية فى العالم القديم .

٦ - سهول أستراليا :

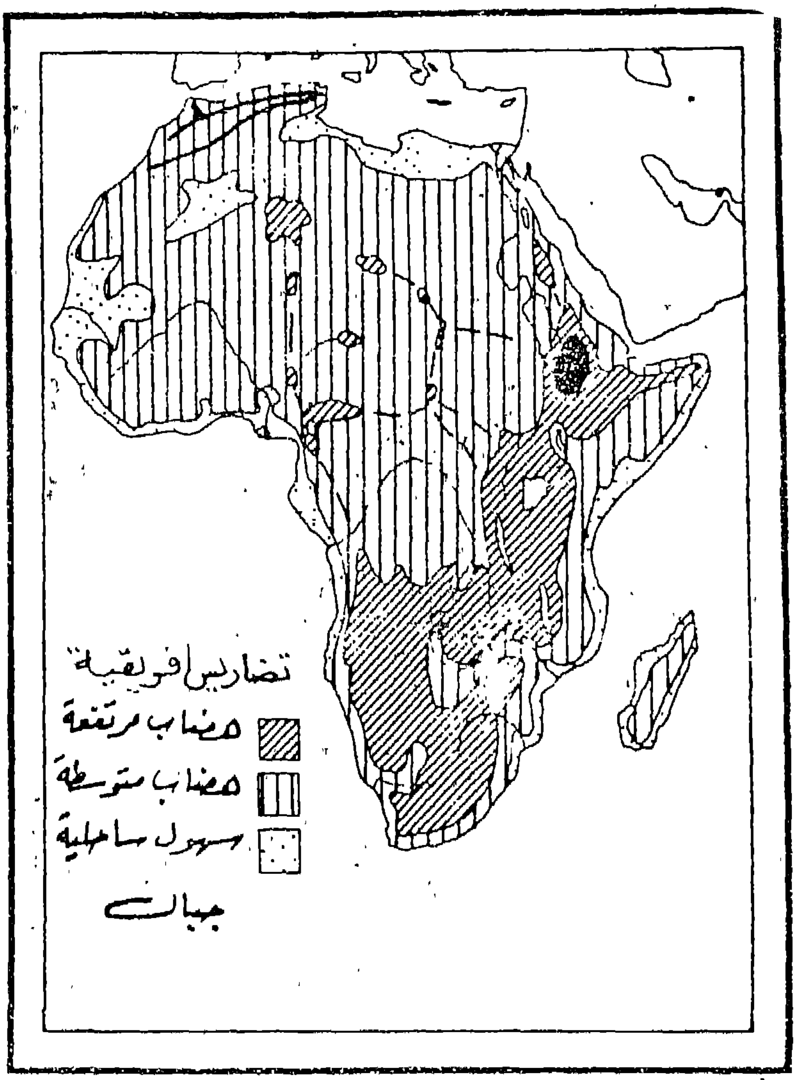
رغم أن استراليا هى أصغر القارات إلا أنه توجد بها سهول واسعة نسبيا غير أن بعض هذه السهول ليست سوى صحارى جافة لا توجد بها حياة نباتية ، أو حيوانية وتكاد تخلو من السكان سوى من بعض الجماعات الاسترالية الأصلية قليلة العدد . وأهم سهول استراليا هى التى توجد فى جنوبها والتى تجرى بها انهار مرى ودارلينج Murray and Darling وتضم أهم مناطق الإنتاج الزراعى فى أستراليا .

كما توجد سهول ساحلية فى كل من سواحل أستراليا الشمالية والغربية والجنوبية ولكنها أقل امتداد وأهمية من سهول مرى ودارلنج .

وأما بالنسبة للجزر المحيطة باستراليا فتوجد بها سهول محدودة وخاصة فى جزيرة نيوغينيا وجزر نيوزيلند وجزيرة تسمانيا .

ثانيا : الجبال Mountains

تغطى الجبال العالية جزءا كبيرا من سطح الأرض يقدر بحوالى ١٣ ٪ من مساحة اليابسة ومنها ٥ ٪ من الجبال التى يزيد ارتفاعها عن ثلاثة آلاف متر فوق مستوى سطح البحر ، وتظهر المناطق الجبليـــة على الخرائط ذات ألوان داكنة من



شكل رقم (٨)

البنى بدرجاته المختلفة ، غير أن قارات العالم تختلف من حيث اتساع الاقاليم الجبلية فى كل منها ، أو ظهور السلاسل الجبلية بوضوح على خرائطها ، فقارة آسيا أو كل من أمريكا الشمالية والجنوبية وأوربا توجد بها أنظمة جبلية واضحة وتشغل مساحات ظاهرة نظرا لأنها تظهر على شكل مرتفعات تنظمها سلاسل واسعة الامتداد ، بينما كل من افريقيا وأستراليا تخلوان من نظم جبلية واضحة وإن كانت معظم اجزاء القارتين الأخيرتين ترتفع كثيرا عن مستوى سطح البحر ، إلا أن الهضاب فيهما أكثر انتشارا من الجبال ، راجع نسب الجبال فى كل قارة من الجدول السابق .



شكل رقم (٩)

والجبال هي أراض مرتفعة تتعدد فيها القمم التي تفصلها عن بعضها البعض منحدرات ومناطق منخفضة وتفصل بين المرتفعات والمنخفضات آلاف الأمتار أحيانا ، وقد سبقت الإشارة إلى أن ما يقل عن ٥٠ مترا يدخل في التضاريس المحلية أو التلال ، بينما المناطق أو الأقاليم الجبلية الكبرى قد تصل إلى ثلاثة آلاف مترا أو أربعة الاف متر ، وبصفة عامة فإن الجبال هي المناطق التي يزيد ارتفاعها عن الف متر .

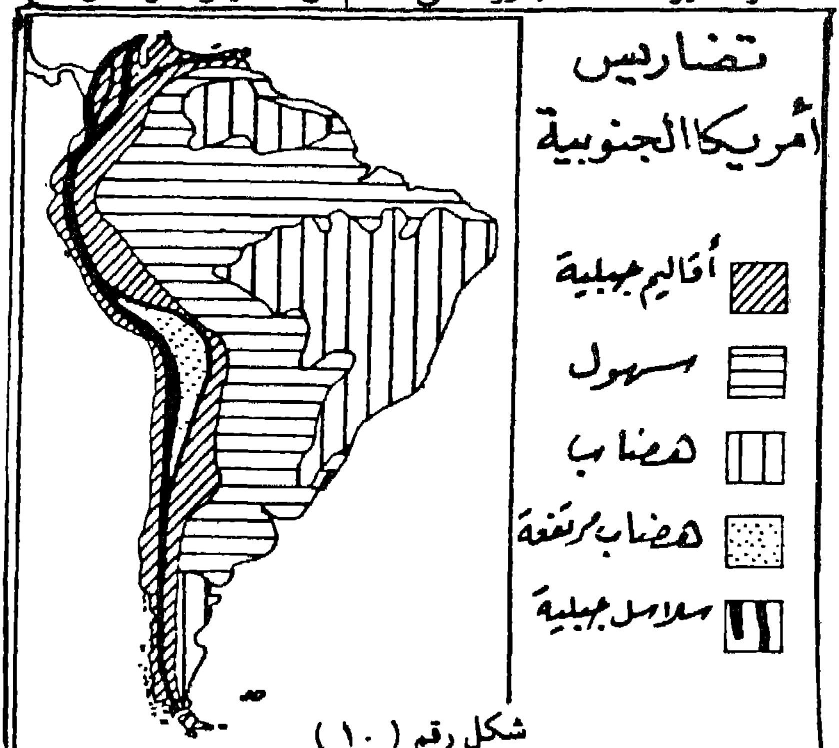
وتمتاز الجبال بارتفاع درجة الانحدار ، وفي بعض الأحيان تكون الانحدارات الجبلية على شكل حواف أو جروف قائمة او ذات ميول قد تصل إلى ٧٠ درجة . اذا كانت الجبال على شكل امتدادات متوازية تتخللها وديان الأنهار أو المنخفضات فانها تسمى في ذلك الوقت بالسلاسل الجبلية Ranges وغالبا ما تكون تلك السلاسل الجبلية متماثلة في تكويناتها الصخرية وتنتمي إلى عمر جيولوجي واحد وظروف بنائية متقاربة ، أما اذا كانت السلاسل الجبلية ممتدة في عديد من الاتجاهات التي تتفرع من عقدة شبه دائرية فإنها تعرف عندئذ بالنظام الجبلي System ومنها جبال الروكي والأنديز والهيمالايا والألب .

أما أهم المجموعات الجبلية العظمى فهي :

١ - المرتفعات الجبلية حول المحيط الهادي .

يوجد حول المحيط الهادي نطاق من المرتفعات تظهر بوضوح في غرب الامريكتين ، وذلك لأنه يظهر كمجموعة من السلاسل الجبلية التي تأخذ امتدادا عاما من الشمال إلى الجنوب بصفة عامة ممثلة في مرتفعات الروكي Rocky Mts. في أمريكا الشمالية والتي تمتد من الاسكا في الشمال مرورا بكل من كندا والولايات المتحدة والمكسيك ، وهذه السلاسل الجبلية تضيق في كل من الشمال والجنوب ولكنها تتسع في الوسط عند خط ٤٠° شمالاً في وسط الولايات المتحدة

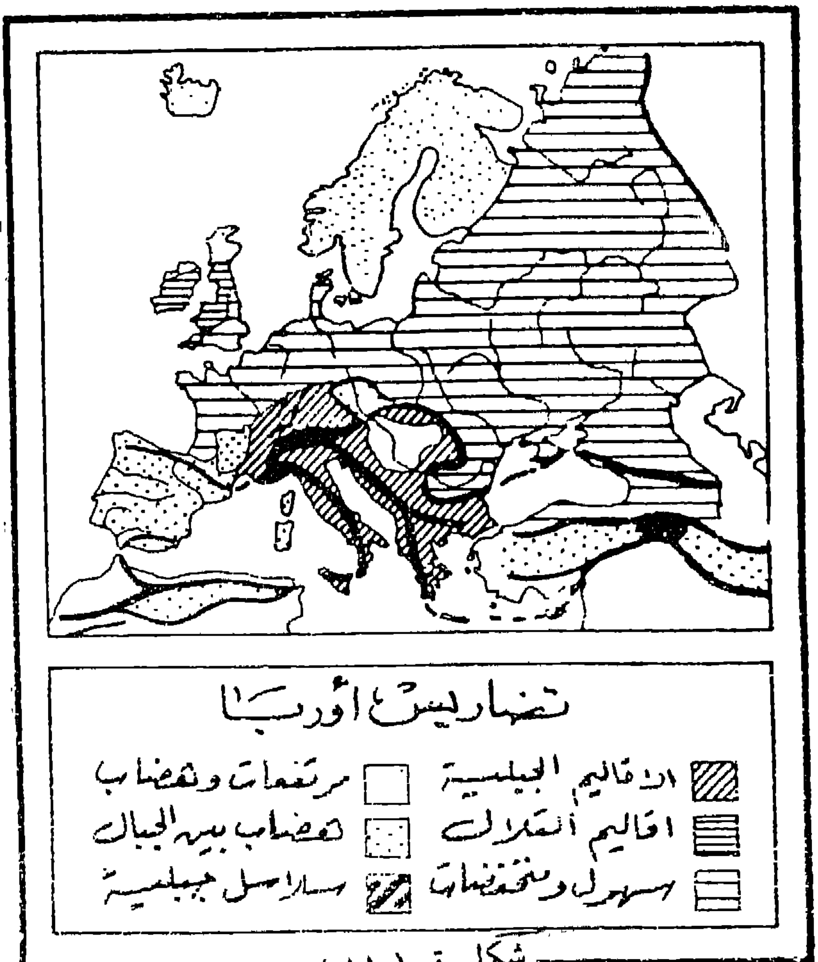
الامريكية ، وهذه المرتفعات الجبنية تشكل حاجزا قويا أمام المؤثرات البحرية تحول بينها وبين الوصول إلى وسط القارة وخاصة عندما تتسع أو ترتفع ، وتبلغ اقصى ارتفاعات الروكى فى ألاسكا فى كل من جبل ماكنلى Mckinley وجبل لوجان Logan وجبل سانت الياس St. Elias ويبلغ ارتفاع كل منها حوالى ستة كيلومترات وأكثر ، ولكن بالاتجاه جنوبا تقل الارتفاعات وإن كان الامتداد الجبلى يتسع فى الوسط كما ذكرنا غير أنه لا تتجاوز أعلي القمم أربعة كيلو مترات ونصف فى



شكل رقم (١٠)

قمة Elbert Pikes ثم يقل الارتفاع بدرجة اكثر وضوحا فى المكسيك ، ومع ذلك فقد تظهر بعض القمم المرتفعة التى يتجاوز ارتفاعها خمسة كيلومترات مثل جبل أوريزابا Orizaba وتستمر السلسلة فى أمريكا الوسطى ثم فى امريكا الجنوبية حيث يزداد ارتفاع بعض قمم الأنديز عما وجدنا بالروكى فى أمريكا الشمالية وإن كان امتداد الأنديز الأفقى أقل من الروكى ، ومن أعلى قمم الانديز أو يخوس ديل سالادو Ojos del Salado ويزيد ارتفاعه عن ٦٧٠٠ مترا ويزيد عنه فى الارتفاع

جبل أكونكانجوا Aconcagua الذى يتجاوز ارتفاعه ٦٨٠٠ مترا ، غير ان الإرتفاعات فى أقصى جنـــوب أمريكا الجنوبية ما تلبث أن تضيق فى امتدادها وتقـــل فى ارتفاعاتهـــا وان كانت تســـتمر حتى جزيرة تيرا دلفويجو Tierra del Fuego ، وتقوم جبـــال الأنديز بنفس الدور الذى تقوم به جبال الروكى فى حجز المؤثرات البحرية من المحيط الهادى إلى ما يقع شرق هذه الجبال ، كما أن هذه المرتفعات تشكل عقبة ضخمة أمام وسائل النقل والاتصال ، ولولا شق قناة بناما فى أمريكا الوسطى وتقدم الطيران لظلت هذه الجبال تمثل مشكلة أمام تلك الوسائل ، ومع ذلك فإن هذه السلاسل الجبلية تتخللها بعض الأحواض المرتفعة والسهول المرتفعة والهضاب .



شكل رقم (١١)

Pamirs هي مركز هذا النطاق الجبلي الضخم وهي تقع في شمال غرب باكستان عند منطقة التقاء الحدود بين كل من باكستان وأفغانستان وروسيا والصين ويتفرع منها مجموعات من السلاسل الجبلية في الشمال الشرقي جبال تيان شان Tien Shan وإلى جنوبها جبال كون لن شان Kun Lun Shan ثم كراكورم Karakoram وفي هذه الجبال توجد قمة إفرست وهي توجد شمال هضبة التبت ، ويوجد فرع جنوبي هو الذي يعرف باسم الهملايا وهو يقع إلى الشمال من النطاق السهلي الشمالي للهند وتمتد هذه السلاسل الشرقية حتى الصين غير أنها تنحرف إلى الجنوب في برما فيصبح اتجاهها من الشمال إلى الجنوب في سلسلة أركان يوما Arkan Yoma وتاليانج شان Taliang Shan .

أما إلى الغرب من عقدة البامير فتوجد مرتفعات هندوكوش وسليمان والبرز وزاجروس وهي تحصر بينها هضبة إيران وتختفي هذه الجبال تحت بحر قزوين لتظهر بعد ذلك جبال القوقاز بين بحر قزوين والبحر الأسود ثم مرتفعات بنطس Pontic وطوروس Taures وتحصران بينهما هضبة الأناضول ، وتعتبر عقدة أرمنيا عقدة ثانوية هامة لتفرع الجبال إلى الغرب من بحر قزوين وبينه وبين البحر الاسود .

أما إلى الغرب من البحر الأسود فتوجد سلاسل الجبال الأوربية وتمثل جبال الألب مركزها الرئيسي وهي توجد في شمال إيطاليا وتمتد في اتجاه عام من الغرب إلى الشرق ثم تتفرع منها جبال الألب الدينارية في كل من ألبانيا ويوغوسلافيا السابقة وجبال البلقان التي توجد في شبه جزيرة البلقان وينحصر سهل المجر بين كل من مرتفعات الكربات التي تحيط به من الشمال والشرق بينما تحصره جبال الألب والألب الدينارية من الغرب والجنوب الغربي كما توجد جبال البرانس بين فرنسا واسبانيا وتمتد في شمال اسبانيا جبال كنتبريان وبينما توجد مرتفعات أبنين Apennine في شبه جزيرة إيطاليا كأنها العمود الفقري لشبه الجزيرة فإن الجبال تختفي تحت مياة البحر المتوسط لتظهر في صقلية وتختفي لتظهر بعد ذلك في

سلسلة مرتفعات أطلس فى شمال افريقيا ، وتعتبر مرتفعات سيرانيفادا فى جنوب إسبانيا امتدادا لها فى شبه جزيرة ايبيريا .



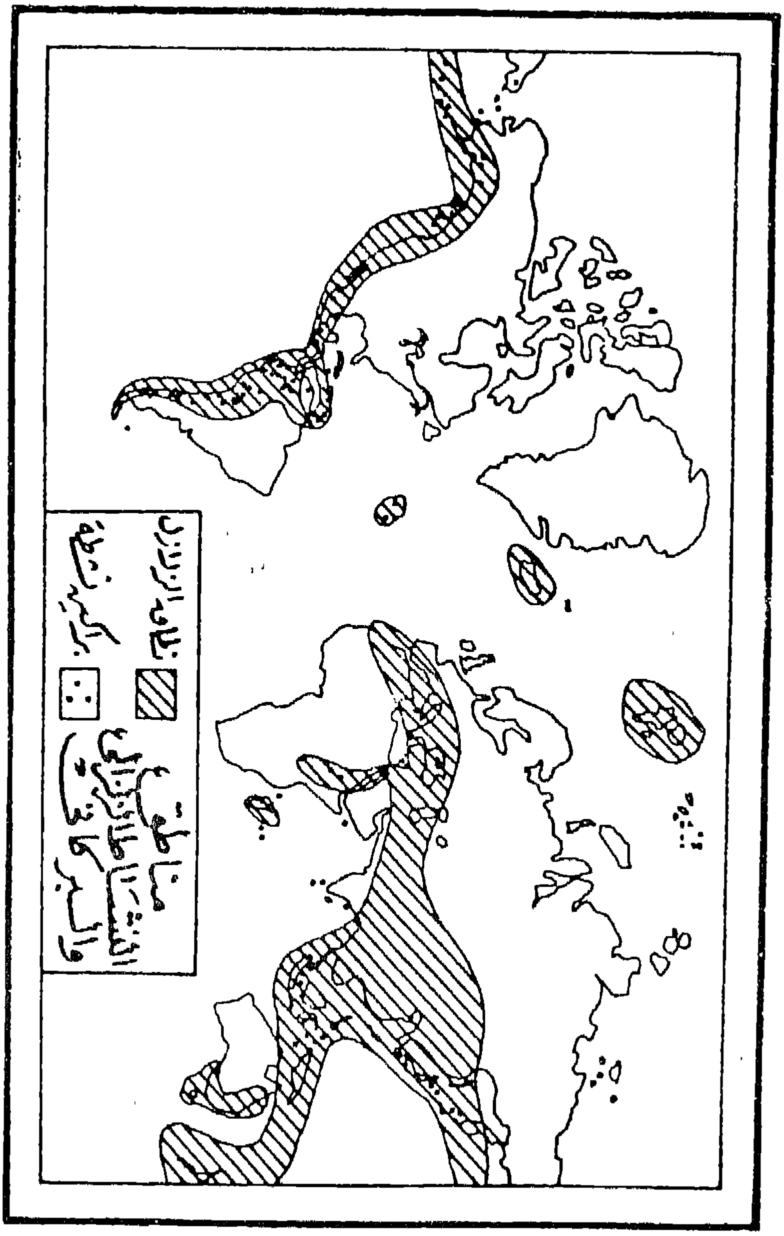
شكل رقم (١٣)

اما النطاقات الجبلية أو السلاسل غير المرتبطة بسلسلة جبال الألب فى أوربا فهى مرتفعات اسكنديناوة فى الغرب وجبال أورال التى تتخذ فاصلا بين آسيا ، وأوربا ويقع إلى غربها سهل شمال اوربا .

وفى كثير من هذه الجبال الأوربية تنتشر رياضات التزلج على الجليد كما تنتشر فى آسيا رياضات تسلق القمم العالية ، وخاصة قمة إفرست ، وفى جبال إفريقيا توجد رحلات السفارى ورياضات الصيد .

٣ - المناطق الجبلية الاخرى :

إلى جانب السلاسل الجبلية العظيمة التى سبقت الإشارة إليها حول المحيط الهادى وفى أوراسيا توجد مجموعة أخرى من المناطق الجبلية التى قد تأخذ شكل



شكل رقم (١٤)

سلاســـل ولكنها أقل امتـــداد: وارتفــاعا من السلاسل السابقة ، ومن هذه المناطق :

(أ) جبال الأبلاش والمرتفعات اللورنسية فى شرق امريكا الشمالية .

(ب) مرتفعات جيانا وشرق البرازيل فى أمريكا الجنوبية .

(جـ) مرتفعات النرويج فى أوربا ومرتفعات جزيرة أيسلندا .

(د) مرتفعات جنوب شرق استراليا .

(هـ) موتفعات فوتاجالون فى غرب افريقيا وبعض المرتفعات الجبلية فى الصحراء الكبرى .

ثالثا : الهضاب :

توجد عدة أوجه شبه بين الهضاب وكل من السهول والجبال ، كما توجد أوجه اختلاف ظاهرة بين الهضاب من ناحية والسهول أو الجبال من ناحية أخرى فالهضاب تشبه السهول فى استواء سطحها ولكنها تشبه الجبال فى ارتفاعها ، وهى تختلف عن السهول في وجود بعض المرتفعات التى تعلو سطحها أحيانا ، إلى جانب وجود انحدارات وميول حادة عند أطراف الهضاب ونهاياتها ، ولكن الهضاب تختلف عن الجبال فى أن تضاريسها المحلية قد تتباين فى ارتفاعاتها بمئات الامتار بينما ترتفع هذه الفروق فى المناطق الجبلية إلى ما يصل إلى عدة آلاف من الأمتار أحيانا .

وقد يرجع استواء أسطح الهضاب إلى أن الصخور التى تشكلها عبارة عن صخور فى وضع أفقى أو لأن عوامل النحت والتعرية سوت تلك السطوح سواء بواسطة المياة الجارية كالأنهار أو الرياح فى المناطق الجافة .

واما عن توزيع الهضاب على قارات العالم فهو كما يلى :

١ - القارة الآسيوية :

توجد ثلاث هضاب كبرى فى القارة الآسيوية هى شبه الجزيرة العربية وهضبة إيران وهضبة الأناضول ، وتحيط بهذه الهضاب سلاسل جبلية إما التوائية حديثة فى معظم الأحيان أو انكسارية قديمة .

كما توجد فى آسيا الوسطى الشرقية مجموعة أخرى من الهضاب المحصورة بين السلاسل الجبلية الالتوائية فى آسيا الوسطى ومنها صحراء جوبى وحوض تاريم وتقع إلى الجنوب منه هضبة التبت وهى أكثر هضاب العالم ارتفاعا ويطلق عليها أحيانا اسم سقف العالم وتتراوح فيها الارتفاعات بين ٣٠٠٠ - ٤٥٠٠ مترا مما يؤدى إلى انخفاض درجات الحرارة فيها حتى أنها لا تختلف كثيرا عن المناخ ودرجات الحرارة فى المناطق القطبية .

كما توجد فى الهند هضبة الدكن وإلى شرقها هضبة يونان فى جنوب غرب الصين .

٢ - الهضاب الإفريقية :

تتعدد الهضاب الافريقية وتختلف عن بعضها البعض ، حيث توجد هضاب إفريقية تسودها الحرارة والجفاف وتنتشر عليها فرشات وتكوينات الرمال وتلعب التعرية الهوائية فيها دورا بارزا ، ومن أمثلة ذلك هضاب الصحراء الكبرى ، وصحراء كلهارى فى جنوب القارة ، ومن الهضاب الإفريقية ما يسوده ظروف مختلفة حيث يوجد فى عروض استوائية مطرها طول العام وعليها غطاء نباتى كثيف من الغابات الاستوائية . مثل ما يوجد فى كل من كينيا وأوغندا وبعض مناطق الهضبة الإفريقية الجنوبية ، وفى بعض الهضاب الافريقية يوجد مطر فى فصل الصيف وجفاف فى فصل الشتاء ونجد ذلك فى بعض أجزاء وسط القارة وجنوبها .

ومن أهم الهضاب الافريقية ذات النشاط السياحي الهام ما يوجد في كل من كينيا وتنزانيا في منطقة هضبة البحيرات حيث الطبيعة الخلابة من بحيرات وغابات وأنهار توجد بها الشلالات وبها حدائق حيوان مفتوحة تنظم لها رحلات سياحية من أوربا والعالم الجديد وخاصة إلى كينيا ، وتوجد فوق هذه الهضاب بعض المرتفعات والجبال البركانية التى تغطيها الثلوج مما يضفى جمالا فريدا على هذه المناطق الجبلية التى تكسوها الثلوج رغم وجودها على خط الاستواء .

كما توجد في جمهورية جنوب افريقيا وزامبيا وزيمبابوى وناميبيا بعض الهضاب التى تختلف في غناها النباتى والحيوانى ، وان كانت توجد بها أهم مناطق الثروة المعدنية في جنوب القارة حيث مناجم النحاس والذهب والماس وغير ذلك من المعادن التى تشكل أهم الموارد الاقتصادية في القسم الجنوبى من القارة .

٣ - الهضاب الأوربية :

تقل الهضاب في القارة الأوربية وذلك نظرا لأن الجليد والمياة الجارية في شكل أنهار قد أدت إلى تقطيع سطح القارة في معظم الأحيان إلى مناطق تلال توجد مجاورة لنطاق المرتفعات الجبلية الضخمة التى تشكل العمود الفقرى لجنوب القارة الأوربية خاصة ، وأهم الهضاب الاوربية هى هضبة المزيتا في اسبانيا Mese-ta وهى تشغل قلب شبه جزيرة أيبريا وتقع في وسطها العاصمة مدريد ، وتحيط بها الجبال والتلال من كل ناحية ، ويلاحظ أن المنطقة الوسطى من الهضبة يسودها الجفاف برغم ارتفاعها وذلك لبعدها عن المؤثرات البحرية كما توجد هضبة فرنسا الوسطى وهضبة بوهيميا ولكنهما تعرضتا لكثير من عوامل التعرية التى أدت إلى انقسام كل منها إلى تلال متجاورة .

٤ - الهضاب الامريكية :

وهى تشغل جزءا كبيرا من قارتى أمريكا الشمالية والجنوبية ، ففى أمريكا الشمالية توجد مجموعة من الهضاب فى كندا والأسكا ، هى هضاب إما مغطاة بالجليد أو تحيط بها مناطق جبلية تعزلها عما حولها ومن أمثلة ذلك منطقة يوكون Yukon فى الاسكا ثم تمتد الهضاب فى الجنوب وتشغلها بعض الاحواض النهرية مثل نهر فريزر Fraser وغيره من الأنهار التى تقطع الهضبة الغربية من كندا .

أما فى شرق كندا فتوجد هضبة لبرادور Lanrador ، والهضاب الكندية مسرح لكثير من العمليات السياحية نظرا لوجود الثلج والحيوانات القطبية التى يمثل فراؤها صيدا ثمينا مرتفع القيمة .

أما هضاب الولايات المتحدة فهى فى معظمها جافة ومحصورة بين المناطق الجبلية وليس لها قيمة كبيرة من الناحية الاقتصادية ومن أهمها هضاب كولرمبيا وهضبة كولوراد فى الجنوب وبينهما هضبة الحوض العظيم وهى تقع كلها محصورة بين سلاسل مرتفعات الروكى . ثم توجد إلى الجنوب من ذلك هضبة المكسيك التى نشأت عليها حضارة الأزتك .

وفى امريكا الجنوبية توجد أهم الهضاب فى كل من البرازيل والارجنتين ، وما يطلق عليه مرتفعات البرازيل هو فى الواقع عدد من الهضاب التى تتصل ببعضها وهى توجد فى شرق البرازيل ، ونظرا للمناخ المدارى فإن هذه الهضاب تمثل مناطق التركز السكانى فى البرازيل على العكس من مناطق السهول النهرية وخاصة نهر الأمزون الذى تشغله الغابات والمستنقعات التى لا تزال حتى الآن تشكل عقبة تحول دون انتشار السكان .

أما فى الارجنتين فتوجد هضبة بتاجونيا Patagonia التى تمتد من أطراف مرتفعات الأنديز فى الغرب حتى المحيط الأطلنطى شرقا وهى صحراء باردة ذات أهمية اقتصادية محدودة .

وإلى جانب ذلك توجد بعض المناطق ذات المساحات الصغيرة التى تشغلها الهضاب وسط مرتفعات الأنديز وهذه الهضاب الصغيرة كانت مواطن حضارات أمريكا الجنوبية قبل كشف العالم الجديد ومن أهمها حضارة الإنكا فى بيرو ، وتمثل مناطق هذه الحضارات القديمة ، سواء فى المكسيك أو فى بيرو مناطق جذب سياحى لما يوجد فيها من آثار وتراث حضارى .

٥ - هضاب استراليا :

وهى تشغل معظم قارة استراليا ولكنها هضاب صحراوية جافة محدودة الأهمية من حيث السكان إلا حيث توجد بعض المناجم التى تجتذب إليها أعدادا قليلة من السكان .

رابعا : التلال :

التلال من أكثر أشكال السطح انتشارا على اليابس ، وكما سبق فإن الفارق بين التلال والجبال يتمثل فى درجة الارتفاع ومستواه فالتلال لا تتعدى ألف متر فى الارتفاع بينما تزيد الجبال عن ذلك .

أما من حيث توزيع التلال على القارات فإن ذلك يتمثل بإيجاز فيما يلى :

١ - فى القارة الآسيوية :

توجد مساحات كبيرة تشغلها التلال فى معظم أجزاء شبه القارة الهندية (شبه جزيرة الدكن) وفى كل من بورما والصين وجنوب شرق آسيا وخاصة فى مجموعة جزر إندونيسيا ، ثم تمتد بعد ذلك إلى مجموعة أقواس الجزر التى تصل بين إندونيسيا وقارة أستراليا .

وفى كثير من أجزاء التلال فى القارة الآسيوية يوجد تركز للسكان ، وخاصة حيث استطاع الإنسان أن يمهد التلال لزراعة المدرجات نظرا لأن السهول الآسيوية

اقت بسكانها غير أنه فى أقصى شمال القارة الآسيوية توجد تلال يغطيها الجليد شبه ... مأهولة بالسكان وإن كانت تمثل بيئة صالحة للحيوان البرى كالدب برى وغيره من حيوانات الفراء .

٢ - فى القارة الافريقية :

في التلال مساحة كبيرة من القسم الجنوبى للقارة ، وتتصل تلك التلال بالهضاب الجنوبية فى كل من هضبة البحيرات والهضبة الافريقية الجنوبية ، وتوجد مناطق التلال فى افريقيا مرتبطة اما بالمناطق الجبلية أو الهضبية ، وهى تظهر فى بعض الاحيان على شكل أطراف للهضاب الافريقية ، وتوجد الجبال فى شمال افريقيا على أطراف جبال اطلس ، كما توجد فى الصحراء الكبرى وتمتد شرقا حتى تظهر على أطراف حوض النيل فى كل من مصر والسودان ، وهى توجد أيضا عند سفوح مرتفعات البحر الاحمر ، وتظهر بعض التلال فى اقليم القاهرة عند حافة الهضبة الشرقية حيث تعرف بتلال المقطم .

كما تظهر كثير من التلال فى جنوب القارة الافريقية ، وبخاصة فى الطرف الجنوبى ، حيث توجد تلال الراند Rand التى توجد بها كثير من المعادن الهامة فى جنوب افريقيا وخاصة الذهب .

٣ - فى القارة الاوربية :

تشغل التلال مساحات كبيرة من أوربا ، ومعظم التلال الأوربية فى مناطق ذات كثافات سكانية مرتفعة نظرا لاعتدال مناخها ، ومن أمثلة ذلك تلال الجزر ... فى كل من سكتلندا وإنجلند وويلز وفى بعض أجزاء أيرلندا فى كل من ... وب ، كما توجد التلال فى كل من إيطاليا وإسبانيا وألمانيا ... اليونان وبلغاريا وجمهوريتى التشيك وسلوفاكيا ، وتوجد ... فى كل من السويد والنرويج .

وفي كثير من أجزاء التلال الأوربية توجد أنهار تولد من مساقطها الكهرباء . هذا إلى جانب وجود المناجم التى قامت عليها الصناعة ولذلك يوجد عدد من المدن الأوربية الكبرى فى مناطق التلال ، كما توجد على بعضها الآخر مناطق للمراعي وفى أحيان أخرى مدرجات تشغلها الأراضى الزراعية .

٤ - التلال فى الأمريكتين

توجد التلال فى كل من أمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية فى مناطق الهوامش أو أطراف المناطق الجبلية ، وهي ترتبط فى أمريكا الشمالية بحواف مرتفعات الروكى فى الغرب والأبلاش فى الشرق ، وقد يغطى الجليد بعض التلال ، كما هو الحال فى ألاسكا ، أما فى أمريكا الوسطى فتوجد التلال فى المكسيك ، وعلى أطراف المناطق الجبلية ، ثم تمتد إلي أمريكا الجنوبية وخاصة شرق جبال الأنديز ، حيث تنتشر محيطة بمرتفعات بتاجونيا فى الارجنتين وتمتد شمالا إلى شرق البرازيل .

٥ - اما فى قارة استراليا :

فتوجد التلال فى نطاق واسع من الصحراء الاسترالية الكبرى وكذلك فى مجمرعات الجزر المحيطة بالقارة مثل جزر نيوزيلند وتسمانيا ، وبينما تكون التلال فى مناطق الجزر المحيطة باستراليا مناطق للمراعى فإنها فى القارة نفسها تكون مناطق جافة لبعدها عن المؤثرات البحرية .

الغلاف المائى :

يشغل الماء كما سبق ٧١ ٪ من مساحة الكرة الأرضية ، ويتألف الماء من كل من المياة الملحة فى شكل محيطات وبحار وبحيرات ملحة ، ومن الماء العذب فى شكل أنهار وبحيرات عذبة ومجارى مائية ، كما توجد كميات من المياة الباطنية تحت صخور اليابس وتخرج هذه المياة الباطنية أحيانا بصورة طبيعية على شكل ينابيع وأحيانا بصورة صناعية عندما تحفر آبار للحصول عليها .

وقد أفاد الإنسان من كل أشكال المياة منذ أقدم العصور فاستخدم مياة البحار والمحيطات والأنهار في الانتقال عليها بواسطة السفن ، كما استخرج بعض الأملاح من مياة البحار واستخرج الأسماك وبعض المعادن من مياة البحار ومن مياة الأنهار أيضا .

وللبحار والمحيطات أهمية كبرى فى حياة السكان وإن كنا لا نحس بها مباشرة ، وذلك لأنها هى السبب فى تلطيف درجة حرارة بعض أجزاء اليابسة وهى بذلك تؤدى إلى نشأة المصايف والمنتجعات والمناطق السياحية ، وخاصة حين يتفق المناخ الطيب مع غنى المنطقة وجمال الشواطىء كما أن المياه التى تسقط على اليابسة على شكل أمطار بعد ذلك مصدرها الأساسى هو مياه البحار والمحيطات .

والمحيطات هى مسطحات مائية هائلة أكبرها مساحة المحيط الهادى ثم الأطلنطى والهندى أما البحار فهى فى معظمها متصلة بالمحيطات وتختلف فى مساحاتها ومن أكبر البحار البحر المتوسط ثم البحر البلطى ، وللبحر المتوسط عدد من البحار الفرعية مثل البحر الأسود والبحر الأدرياتى .

والمحيطات عادة أعمق من البحار ، وتتحرك فيها المياة على شكل تيارات مائية تأخذ اتجاهات خاصة تؤثر في الملاحة وفى مصايد الأسماك ، فمن حيث تأثيرها فى الملاحة قد تسهل الملاحة فى اتجاهات معينة كما هو الحال بالنسبة للمحيط الهندى أو المحيط الأطلنطى ، كما أن التقاء التيارات البحرية الدفيئة والباردة قد تؤدى إلى حدوث الضباب ويؤثر فى حركة الملاحة من ناحية إلا أنه يؤدى إلى غنى الحياة النباتية فى المناطق البحرية فتوجد مصايد الأسماك مثل منطقة المحيط الاطلنطى الشمالى أو الجزر اليابانية فى المحيط الهادي فهذه المناطق تلتقى فيها تيارات بحرية دفيئة واخرى باردة ، وقد نشأت مشكلات

عديدة بين الدول التى يتوفر أمام شواطئها كميات كبيرة من الأسماك ، وخاصة بين الدول الكبرى صاحبة أساطيل الصيد التى تجوب إساطيلها المياة الإقليمية لدول أخرى .

وتوجد بعض البحيرات المالحة ذات الأحجام الكبيرة على اليابس وهى تحمل اسم البحار مثل بحر قزوين والبحر الميت ، وهذه البحار المقفلة لا تتصل بالبحار المفتوحة ولهذا فإن منسوب مستوى سطح هذه البحار لا يتفق مع مستوى سطح البحر المفتوح (وهو الذى تنسب إليه الارتفاعات ويمثل نقطة الصفر) .

وفى بعض العروض المرتفعة قد تنخفض درجة الحرارة فتتكون على اليابس ثلاجات جبلية تمثل كتلا هائلة من الجليد فوق اليابس ، أما على البحر فقد تتجمد مياه البحر وتصبح الملاحة مستحيلة تقريبا ، كما قد توجد جبال جليدية متحركة فى نصف الكرة الشمالى فى منطقة شمال المحيطين الهادى والاطلنطى ، وقد ادت بعض هذه الجبال الجليدية فى عام ١٩١٢ إلى غرق السفينة تيتانيك Titanic ولذلك توجد الآن محطات إنذار فى هذه المناطق لتنبيه السفن إلى أخطار هذه الجبال الجليدية المتحركة ذات الأثر التدميرى والتى قد يصل حجم الواحد منها إلى عدة كيلو مترات فى الطول وترتفع فوق مستوى مياة البحر بما يصل إلى ٤٠ مترا أحيانا ، أما فى نصف الكرة الجنوبى فالجبال الجليدية أكبر حجما وأكثر خطورة وهى تندفع نحو الشمال فى كل من المحيطين الأطلنطى والهادى فى أجزائهما الجنوبية وافريقيا واستراليا فى اتجاه الجنوب .

وللبحار والمحيطات والبحيرات اثار سياحية هائلة فى كل الدول التى تطل على هذه المسطحات المائية ، وبعض البحار قد توجد بها رياضات مائية كالغوص والتصوير تحت البحر مثل البحر الاحمر وبخاصة فى منطقة خليج العقبة فى ساحل شبة جزيرة سيناء .

الفصل الرابع

الســـــكان

تحتل دراسة السكان مكانة متميزة فى الجغرافيا ، وإذا كانت الجغرافيا الطبيعية لا تحتكر دراسة الأرض من الناحية الطبيعية ، حيث تشاركها علوم أخرى مثل الجيولوجيا وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم التربة وغيرها من علوم الأرض ، فإن الذى يكسب الجغرافيا أهميتها وتفردها هو أنها العلم الذى يدرس الأرض من الناحية الطبيعية كموطن للإنسان ومسرح لنشاطه ، وتأخذ الجغرافيا فى عرضها لمختلف الجزئيات التى تتناولها أثر الجوانب الطبيعية فى حياة الإنسان ، كما تأخذ بعين الاعتبار ما أدخله الانسان من تعديلات على العناصر الطبيعية ، ذلك أن الإنسان منذ ظهوره على سطح الأرض يعدل فى بيئته ويجرى تغييرا مستمرا على عناصر هذه البيئة ومكوناتها :

والأرض – أو أى جزء منها – لا قيمة لمواردها بدون السكان ، فقيمة الموارد تكتسب طبقا لحاجات الانسان واستثماره للمصادر الطبيعية التى يحولها إلى موارد ذات قيمة بجهده .

ولما كانت الجغرافيا تعنى بدراسة التباين الأرضى ، أى أوجه الاختلاف أو التشابه بين أجزاء الأرض ، فإن هذا التباين لا يمكن أن يصدق أو ينصرف إلى الجوانب الطبيعية فحسب ، ولكنه يتعدى هذه الجوانب إلى الجوانب البشرية التى ترتبط بالإنسان من حيث تطوره الحضارى ومدى إسهامه فى تعمير البيئة وتغييرها ، والدور الذى يلعبه فى تطور الحضارة البشرية ككل ، ويدخل فى ذلك

توزيع السكان ومدى المهارات والخبرات التى تتوفر لهم ، والمستوى الاجتماعى والاقتصادى والسياسى والتنظيمى الذى وصل إليه ومدى تفاعله مع الموارد محليا وعالميا .

وتشكل الدراسات السكانية ركيزة أساسية فى فهم صورة العالم المعاصر ولكثير من المشكلات جذورها السكانية ، وإن بدت بعيدة نسبيا عن ذلك فى بعض الأحيان ، فمشكلات الحرب والسلام ، ومشكلات الطاقة والتلوث ، والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية ، وما يواجهه العالم أو بعض اقاليمه الكبرى من أزمة فى الغذاء وموارد الطعام ، ومشكلات النقل ، والمشكلات المرتبطة بالديموقراطية وحرية الفرد ونظام الحكم ، لكل تلك المشاكل جذور يمكن أن ترتبط على نحو أو آخر بالفهم الواعى العميق للجوانب السكانية ، ولذلك لم يعد غريبا أن أصبحت دراسة السكان تشكل منهجا مشتركا لكثير من المتخصصين فى الدراسات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها .وفى هذا الفصل سنتناول السكان من حيث أبعاد ثلاثة هى النمو والتوزيع والخصائص ، وستكون المعالجة على أساس عرض الإطار النظرى لكل بعد من هذه الأبعاد ، ثم عرض الواقع الجغرافى لهذا البعد فى عالمنا المعاصر مع عدم إغفال البعد التاريخى أو النظرة إلى المستقبل .

أولا : نمو السكان :

هذا البعد فى الدراسة السكانية هو عادة أكثرها سهولة على الفهم ، وفى بعض الأحيان يشار إليه على أنه تطور السكان ، أو التغير السكانى ، وذلك حتى لا يكون ثمة إيحاء حتمى بالنمو الموجب ، فقد يتعرض السكان فى مرحلة تطورية ما للنقصان وليس للزيادة ، وإن كان ذلك يشكل فى العادة مرحلة مؤقتة فى الزمان والمكان .

ويؤثر فى نمو السكان وتطورهم مجموعة من العوامل بعضها حيوى أو

بيولوجى ، وهى المواليد والوفيات ، وبعضها اجتماعى كالزواج والطلاق ، وبعضها يضم خليطا من العناصر الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ويشمل ذلك حركة السكان فى المكان أو الهجرة بنوعيها : الداخلية والخارجية .

١ - المواليد Births

يشكل عدد المواليد فى مجتمع ما اضافة لعدد السكان فى لحظة ولادتهم ولما كان حجم المجتمعات مختلفا من دولة لأخرى ، فان المقارنة بين عدد المواليد فى مختلف الدول لا تعطى دلالة كبيرة عن مدى سرعة النمو أو التجدد فى تلك الدول ، ولذلك يحسب التغير السكانى لكل من المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية اعتمادا على معدلات النمو وهى تاخذ فى اعتبارها ما يزيده كل الف من السكان خلال عام ، وبذلك تحسب معدلات المواليد كما يلى :

$$\text{معدل المواليد} = \frac{\text{عدد المواليد فى سنة ما}}{\text{جملة عدد السكان فى نفس السنة}} \times ١٠٠٠$$

ولما كان عدد سكان مصر فى عام ١٩٩٠ يقدر بحوالى ٥٥,٥٨٦,٠٠٠ نسمة وبلغ عدد المواليد فى السنة نفسها ١,٧١٧,٠٠٠ مولود فإن هذا يعنى أن معدل المواليد فى مصر فى تلك السنة بلغ ٣٠,٩ فى الألف ، ويقدر أن هذا المعدل وصل فى عام ١٩٩١ إلى ٣١ فى الألف ثم فى ١٩٩٢ إلى ٢٨,٢ فى الألف وفى ١٩٩٣ إلى ٢٨,٢ فى الألف .

ويعرف المعدل السابق بمعدل المواليد الخام Crude Birth Rate لأننا ننسب عدد المواليد إلى جملة السكان على الرغم من أن إنجاب المواليد لا يرتبط بالسكان جميعا ولكن بالنساء فى سن الإنجاب فقط ، ومن التعديلات التى تعطى دلالة أكبر ما يعرف بمعدل الخصوبة العام General Fertility Rate أو معدل الإنجاب

أحيانا وفيه ينسب المواليد إلى عدد النساء فى سن الحمل وهى التى تمتد ما بين الخامسة عشرة والتاسعة والأربعين ، ومعادلته أذن هى :

$$\text{معدل الخصوبة العام (معدل الانجاب)} = \frac{\text{عدد المواليد}}{\text{عدد النساء فى سن الحمل (١٥-٤٩ عاما)}} \times ١٠٠٠$$

وطبقا لتعداد السكان فى عام ١٩٨٦ فإن جملة عدد النساء فى فئات العمر بين ١٥ - ٤٩ عاما كانت ٨,٥٨١,٩٣٦ وبذلك فإن معدل الخصوبة العام يصل إلى ٢٢٤,٦ أى أن كل ألف من النساء فى ذلك العام أنجبن ٢٢٥ مولودا تقريبا وهو من المعدلات المرتفعة جدا بالمقياس العالمى ، ويمكن أيضا حساب معدل الخصوبة الكلى Total Fertility Rate وهو ينسب عدد الأطفال المولودين أحياء للمراة خلال سنوات حملها المكتملة ، ويصل معدل الخصوبة الكلى فى جمهورية كوريا خلال الفترة ١٩٦٠ - ١٩٧٠ إلى ما بين ٦,٣ طفلا إلى ٤,٥ طفلا واستمر هذا الاتجاه نحو تناقص الخصوبة فى كوريا حتى وصل إلى ٢,٨ طفلا لكل امرأة اكتمل الانجاب لديها فى عام ١٩٧٥ ، وفى الهند كان هذا المتوسط يتراوح بين ٥,٣ طفلا و ٥,٧ طفلا فى الفترة بين اعوام ١٩٦٨ إلى ١٩٧٢ .

ومن المعدلات الأخرى فى الخصوبة أن ينسب عدد المواليد إلى عدد النساء المتزوجات فعلا ويسمى معدل الخصوبة العام للمتزوجات General Marital Fertiliy Rate على اعتبار أنهن يمثلن الأمهات الفعليات للمواليد ، وإن كان ذلك لا يعنى دقة مطلقة فى الحساب نظرا لأن جزءا من النساء المتزوجات قد يكن عقيمات لا ينجبن أو انهن يمارسن وسائل لمنع الحمل .

ويؤثر فى الخصوبة عديد من العوامل ، منها القيم المرتبطة بالزواج ونظرة المجتمع إلى الأسرة وعملية الانجاب ، وكذلك موقف الدين من الزواج والطلاق والانجاب وعمليات تنظيم الأسرة ومدى انتشارها فى المجتمع وقبوله لها ، وتؤثر

كثير من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية فى حجم الأسرة ، مثل سكن الريف أو المدن والحرفة أو المهنة التى يمارسها الزوج وسدى انتشار التعليم وخاصة فوق المتوسط بين الزوجين والأنماط الغذائية السائدة فى المجتمع ولوحظ أيضا أن للإرضاع الطبيعى للأطفال أثره فى خفض الخصوبة لدى المرأة .

٢ - الوفيات Mortality :

تشكل الوفيات متغيرا هاما فى التغير السكانى ، وذلك لأنها تخفض عدد السكان ولولا الإضافة عن طريق المواليد لتناقض عدد السكان نتيجة للوفيات ، ودراسة الوفيات يمكن أن تتم أيضا عن طريق الأرقام المطلقة لعدد الوفيات أو عن طريق دراسة معدلات الوفيات بنفس الطريقة التى درست معدلات المواليد الخام أى بنسبة عدد الوفيات فى سنة ما إلى جملة عدد السكان فى منتصف العام نفسه ، وفى عام ١٩٩٠ بلغ عدد الوفيات فى مصر ٣٩٥,٠٠٠ حالة بما يعنى أن المعدل ٧,١ فى الألف ، وقد ارتفع المعدل قليلا فى عام ١٩٩١ إلى ٧,٦ فى الألف ثم عاود الإنخفاض فى عام ١٩٩٢ إلى ٧,٣ فى الألف وفى عام ١٩٩٣ إلى ٦,٩ فى الألف .

ومن المعدلات الهامة فى حساب الوفيات أن ندرس معدلات الوفيات تبعا للفئات العمرية ، ومن أهم تلك المعدلات معدل وفيات الأطفال الرضع وفيه ننسب عدد الوفيات من الأطفال الرضع (أى الأطفال الذين يتوفون إما بعد ولادتهم مباشرة أو قبل أن يجتازوا سنة كاملة من العمر) إلى جملة عدد المواليد فى السنة ذاتها ، ويعتبر معدل وفيات الأطفال الرضع واحدا من أهم المؤشرات لقياس المستوى الاجتماعى والاقتصادى والصحى فى المجتمع وخاصة ما يتصل برعاية الطفولة والأمومة ، ومن الطبيعى أن يكون ثمة قدر كبير من التوافق بين معدل الوفيات العامة ومعدل وفيات الاطفال الرضع فى المجتمع الواحد ، كما أن

انخفاض معدلات وفيات الأطفال الرضع فى مجتمع ما يعنى اتجاه هذا المجتمع إلى التقدم والرعاية الصحية وفى عام ١٩٢٠ كان معدل الوفيات للأطفال الرضع فى كل من بريطانيا واليابان وسيلان على التوالى هو ٦٧,٢ فى الألف و ١٥٢,٧ فى الألف و ١٨٣,١ فى الألف ، ولكن فى عام ١٩٥٠ أصبحت هذه المعدلات ٢٦,٤ و ٤٥,٢ و ٧١,٢ فى الألف وفى الفترة بين ١٩٨١ - ١٩٨٥ أصبحت ١٠,٢ ، ٦,٢ و ٣٤,٤ فى الألف ولعل ذلك يعنى اتجاه معدلات وفيات الأطفال الرضع فى الدول الثلاث نحو الانخفاض ولكن بدرجات متفاوتة ، أما فى مصر فبعد ان كان معدل وفيات الأطفال الرضع فى حدود ١١٦ الألف فى عام ١٩٧٠ انخفض إلى ٧٤ فى الألف فى عام ١٩٨٥ ثم إلى ٥٧ فى الألف فى الفترة ١٩٩٠ - ١٩٩٥ .

وللمقارنة فإن الفترة ١٩٩٠ - ١٩٩٥ شهدت انخفاض معدلات وفيات الأطفال الرضع على مستوى العالم إلى ٦٢ فى الألف وفى الدول المتقدمة ١٢ فى الألف فقط فى مقابل ٦٩ فى الألف للدول النامية ، وعلى مستوى أقاليم العالم وقاراته بلغ المعدل فى إفريقيا ٩٥ وفى آسيا ٦٢ وفى أوربا ١٠ وفى أمريكا اللاتينية ٤٧ وفى أمريكا الوسطى ٣٩ وفى أمريكا الجنوبية ٥١ وفى أمريكا الشمالية ٨ وفى الاقيانوسية ٢٢ فى الألف .

٣ - الزيادة الطبيعية Natural Increase :

وهى الفارق بين المواليد والوفيات ، والقاعدة هى أن تكون أعداد المواليد ومعدلاتهم أكبر من أعداد الوفيات ومعدلاتهم ، وبذلك يكون ثمة زيادة طبيعية موجبة فى كل من الأعداد المطلقة والمعدلات ، غير أنه يحدث فى بعض الاحيان (فى بعض المجتمعات ولفترات محدودة غالبا) أن يزيد عدد الوفيات ومعدلها عن عدد المواليد ومعدلها ، وهنا يحدث تناقص للسكان Depopulation ومن أسباب ذلك أحيانا الحروب التى تزيد فيها أعداد الوفيات بصورة غير عادية ،

وكذلك حالات الأوبئة التى تزيد فى أعداد الوفيات بصورة واضحة ، ولكن استمرار ذلك لفترة طويلة أمر نادر الحدوث .

وثمة بعض النظريات التى ترى أن المجتمعات البشرية فى تطورها السكانى تمر بعدد من المراحل ، ومن أهم هذه النظريات ما يعرف بالنموذج الانتقالى أو النظرية الديموجرافية الانتقالية وترى هذه النظرية أن المجتمعات البشرية تمر فى تطورها السكانى بمراحل ثلاث على النحو التالى :

(أ) المرحلة البدائية :

وهى التى مرت بها المجتمعات الأولية ذات الاقتصاديات الهشة واستمرت إلى مرحلة ما قبل الصناعة ، وفى هذه المرحلة ترتفع كل من معدلات المواليد والوفيات معا مما يؤدى إلى انخفاض معدلات الزيادة الطبيعية ، ولا توجد مجتمعات كاملة تمر الآن بهذه المرحلة سوى بعض المجموعات البدائية كالاستراليين الأصليين وبعض الجماعات المنعزلة فى افريقيا أو أمريكا الجنوبية وهى جماعات تعيش فى الغابات الكثيفة أو الصحارى الجافة .

(ب) المرحلة الانتقالية :

وفيها تظل معدلات المواليد مرتفعة ، بينما يؤدى التقدم فى الخدمات الصحية والرعاية الطبية وخاصة بالنسبة لظهور الأمصال والطعوم التى تقدم للأطفال الرضع مما يؤدى إلى تقليل الوفيات بصورة واضحة وتكون نتيجة ذلك هى ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية ، وتمر بهذه المرحلة حاليا معظم شعوب الدول النامية فى قارات آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، ومن تلك الدول بطبيعة الحال دول العالم العربى .

(جـ) المرحلة الاستقرارية :

وهى التى تنخفض فيها معدلات المواليد إلى جانب انخفاض معدلات

الوفيات التى تكون قد تحققت فى المرحلة السابقة ، والدول التى تمر بهذه المرحلة هى الدول المتقدمة فى كل من أمريكا الشمالية وأوربا واليابان ، وهى شعوب متقدمة أخذت منذ فترة تعمل علي خفض معدلات المواليد والإقبال على تنظيم الأسرة .

الانماط العامة للزيادة الطبيعية فى العالم :

يمكن تقسيم العالم إلى ثلاثة أنماط تتفق مع النظرية الديموجرافية الانتقالية وذلك على النحو التالى :

(أ) نمط الاقطار البدائية :

وترتفع فيها معدلات وفيات الأطفال الرضع إلى ٢٠٠ فى الألف وربما اكثر ، كما ترتفع بها معدلات الوفيات العامة وترتفع بها ايضا معدلات المواليد إلى ٤٠ فى الألف أو اكثر بينما تنخفض فيها معدلات الزيادة الطبيعية إلى ١٠ فى الألف أو أقل ولا تشمل اقطار هذا النمط سوى ما يقرب من ١٠٠ مليون نسمة فقط من سكان العالم حاليا فى بعض أجزاء من شبه جزيرة الملايو حيث جماعات السيمانج Semang أو بعض أجزاء البرازيل حث تعيش جماعات الزيتا Xeta أو البوشمن والهوتنتوت فى ناميبيا وجنوب افريقية .

(ب) نمط الاقطار الشابة :

وهى تشمل ما يقرب من ٧٥ ٪ من جملة سكان العالم ومن هذه الدول الصين والهند وجنوب شرق اسيا بدوله المختلفة وأمريكا الوسطى والجنوبية ومعظم أجزاء القارة الافريقية وتتراوح الزيادة الطبيعية فى هذه الاقطار بين ١٥ إلى ٢٥ فى الألف وقد تزيد عن ذلك فى عدد محدود من الاقطار التى قد يتضاعف السكان فيها خلال ربع قرن ، وسكان هذه المجموعة تمثل مشكلة فى كثير من الأحيان وذلك لأن معظم هذه الدول من الدول النامية التى حققت تقدما صحيا وخدميا أدى إلى

انحسار الوفيات بينما لا تزال معدلات المواليد بها مرتفعة مما يلقى عبئا ثقيلا على اقتصاديات تلك الدول .

(حـ) نمط الاقطار الناضجة :

وهى لا تضم سوى ٢٥ ٪ أو أقل من جملة سكان العالم وتضم الدول الاوربية والولايات المتحدة وكندا ودول الكمنولث الروسى واستراليا ونيوزيلندا واليابان ، وفى هذه الأقطار تنخفض معدلات الزيادة الطبيعية إلى ما يتراوح بين ٥ فى الألف و ١٠ فى الألف وهى تقل أحيانا عن ذلك بحيث لا يتضاعف السكان أحيانا إلا بعد أكثر من قرن كامل أو اكثر كما هو الحال فى كل من السويد والمانيا وفرنسا والنمسا .

٤ - الهجرة :

تعنى بالهجرة انتقال السكان من منطقة جغرافية إلى منطقة أخرى بما يعنى تغييرا فى محل الإقامة ولو لفترة قصيرة ، وفى دراسة الهجرة لابد من التعرف على بعض الأنواع والتقسيمات ومن حيث اتجاه الهجرة يمكن التفرقة بين الهجرة الداخلية Internal Migration وهى التى تحدث داخل حدود الدولة من إقليم بها إلى إقليم آخر ، وأما الهجرة الخارجية أو الهجرة الدولية International Migration فهى التى يعبر فيها المهاجر خط الحدود السياسية لدولة أو أكثر .

وفى الهجرة الداخلية نفرق بين الهجرة الداخلة إلى إقليم ما ويسمى فيها المهاجر قادما In - migrant والهجرة التى تخرج من الإقليم ويطلق فيها على المهاجر مغادراً Out -migrant وأما فى الهجرة الدولية فيطلق على المهاجر القادم من دولة أخـــرى وافداً Immigrant وعلى الخـــارج المتـجة لدولة أجنبية نازحا Emigrant .

كما يمكن التفرقة بين الهجرة المؤقته أو الموسمية والهجرة الدائمة فالهجرة المؤقتة Temporary أو الموسيمة Seasonal هي التى تمتد لفترة قصيرة قد تصل إلى أقل من عام ثم يعود المهاجر إلى محل إقامته المعتاد مثل هجرات العمل المؤقت ، وأما الهجرة الدائمة Permanent فهى التى يترك فيها المهاجر وطنه الأصلى أو محل إقامته ليستقر فى مكان آخر بصفة دائمة ٠

وفى حساب عمليات الهجرة نفرق بين الهجرة الكلية أو الإجمالية وهى التى نجمع فيها القادمين والمغادرين لمكان ما ويطلق عليها عندئذ الهجرة الإجمالية Gross Migration أما إذا حسب الفرق بين الهجرة الداخلة إلى مكان ما والمغادرة له فنحصل على الهجرة الصافية Net - Migration وهى قد تكون موجبة إذا كسب المكان أو سالبة إذا اتضح أن المكان قد فقد سكانا أكثر من أولئك الذين دخلوه ٠

ويمكن للهجرة أن تكون اختيارية Voluntary أى باختيار الأفراد وإرادتهم الحرة وقد تكون إجبارية Compulsory وهنا قد تسمى تهجيرا وذلك إذا تمت طبقا لعمليات التنمية والتخطيط فى إقليم ما مما يؤدى إلى ضرورة إجلاء سكانه كما حدث لسكان النوبة عند إنشاء السد العالى فى مصر ، وذلك لأن أوطانهم ستتعرض للغرق بعد اكتمال المشروع وهو ما حدث عندما ظهرت بحيرة ناصر ٠ أما إذا فر السكان من قطر ما نظرا لخشيتهم على حياتهم من الخطر سواء بسبب الاضطهاد أو الحرب فعندئذ يسمى أولئك لاجئين Refugees مثل فرار السكان فى أوربا من ممارسات الجيش النازى أو فرار العرب من فلسطين إزاء الإرهاب الصهيونى أو كما حدث فى كل من الهند وباكستان وفيتنام نتيجة للحروب ، وكما يحدث فى أفغانستان ، وفى يوغوسلافيا السابقة وخاصة فى البوسنة والهرسك ، حيث يفر المسلمون من الإرهاب والمذابح التى يقوم بها الصرب ضدهم ٠

أسباب الهجرة ونتائجها :

ترجع معظم الهجرات سواء كانت داخلية أو دولية إلى تفاوت بين عناصر الجذب Pull Factors وعناصر الطرد أو الدفع Push Factors ، فعناصر الجذب تعنى أن مكانا ما يتصف ببعض المزايا التى تؤدى إلى اتجاه السكان إليه على العكس من عناصر الطرد التى تجعل بعض السكان ينفرون من المكان ويتركونه إلى غيره .

وأما أسباب الهجرات البشرية فهى متعددة ، ومن النادر أن يكون ثمة سبب واحد يؤدى للهجرة ، حيث القاعدة أن عددا من العوامل تتفاعل مسببة قرار الهجرة ، ويمكن بصفة عامة أن نميز بين ثلاثة متغيرات تشكل أسباب الهجرة : الاسباب الاجتماعية الاقتصادية وفيها يسعى الفرد إما إلى تحسين أحواله ومستوى معيشته وإما إلى استقرار أحواله الاجتماعية ، والمجموعة الثانية هى الأسباب المرتبطة بالتغيير فى الحال مثل الدراسة العليا أو الجامعية والزواج والعمل وأحيانا الكوارث الطبيعية ، والمجموعة الثالثة هى التكلفة الاقتصادية والاجتماعية للهجرة أو اختيار المقر الجديد Destination ويدخل فى ذلك تكلفة الانتقال والمسافة ووجود معارف أو أقارب أو فرص جديدة للعمل أو الترقى .

أما نتائج الهجرة فهى كثيرة ويهتم بها عادة الباحثون فى العلوم الاجتماعة والسياسية وصانعو القرار بالنسبة للأماكن المتاثرة بالهجرة ، وذلك لأن الهجرة يكون لها أثر على كل من المكان الذى يتركه المهاجرون وإلى غيره من الأماكن التى يتجه إليها المهاجرون كما أنها تؤثر فى المهاجرين أنفسهم ويمكن أن يكون هذا الأثر اقتصاديا أو اجتماعيا أو ثقافيا وحضاريا أو سياسيا أو سكانيا أو هذه الأسباب مجتمعة .

وعلى الباحث أن يسعى للتنبؤ باكبر قدر من الحيطة والحيدة بالنتائج

المحتملة للهجرة ليفيد منها رجال السياسة والمخططون فى اتخاذ قرارات مناسبة ، ومن أهم النتائج المترتبة على الهجرة أنها تعمل على إعادة توزيع السكان بصفة دائمة [1]. ويمكن الإفادة من ذلك جدا فى عمليات نشر السكان والحد من تركزهم فى بعض الأقطار مثل مصر التى يعيش معظم سكانها فى مساحة محدودة .

وقد أدت الهجرات الدولية إلى إعادة توزيع سكان العالم ، فقد انتقل عدة ملايين من العالم القديم إلى العالم الجديد بتأثير الفرص الواعدة التى توجد به ، وترجع أصول معظم سكان الأمريكتين وأستراليا إلى أصول أوربية ، بالإضافة إلى بعض المهاجرين من كل من آسيا وإفريقيا ، وفى قطر مثل كندا يعيش حاليا ٢٥,٧ ٪ من السكان من ذوى الأصول التى هاجرت من فرنسا ويشكلون الكنديين المتحدثين بالفرنسية ، فى مقابل ٣٤,٤ ٪ من السكان ذوى الأصول البريطانية ، ويوجد ٣,٦ ٪ من السكان الكنديين ذوى الأصول الألمانية و٢,٨ ٪ من ذوى الأصل الإيطالى ، و ١,٧ ٪ من السكان من أكرانيا إلى جانب ١,٤ ٪ من الصين و ١,٤ ٪ من هولندا بينما يشكل السكان من ذوى الأصول الهندية الأمريكية ١,٥ ٪ فقط من سكان كندا .

وعلى مستوى الهجرة الداخلية فإن الهجرات من الريف إلى المدن تمثل أهم تيارات الهجرات الداخلية فى العالم ، وهى تعمل بصفة مستمرة على إعادة توزيع سكان الاقطار التى تحدث فيها تلك الهجرة ، ويقدران ٢٠ ٪ من سكان الولايات

المتحدة يغيرون محل إقامتهم سنويا ، كما أن المدن الكبرى فى الدول النامية تجتذب باستمرار سكانا من المدن الصغيرة ومن الريف مما يؤدى إلى زيادة الحجم السكانى لتلك المدن الكبرى مثل القاهرة التى يقدر أن نصف الزيادة السكانية

---

(1) Kosinski, L.A. and Prothero, R.M. , eds. , People on The Move , Studies on Internal Migration , Methuen , London , 1975 , PP. 12 - 14 .

فيها تحدث نتيجة للهجرة الداخلية نظرا لعنصر الجذب القوى الذى يتمثل فى فرص العمل ومستوى الخدمات بها وهى صورة متكررة فى الدول النامية التى تزداد حركة الهجرة الداخلية فيها إلى المدن الكبرى على حين أصبحت الهجرة فى عدد كبير من الدول المتقدمة فى اتجاه الضواحى والمدن الصغيرة ·

التغير السكانى والتنمية:

يشكل السكان المحرك الرئيسى لكل من عمليتى الإنتاج والاستهلاك وتمثل التنمية هدفا أساسيا لمختلف المجتمعات البشرية التى تسعى لرفع مستوى السكان بحيث تتناسب برامج التنمية مع معدلات التغير السكانى ، وفى بعض المجتمعات يمكن تحقيق مستوى أفضل من التنمية الاقتصادية والاجتماعية بحيث يتوالى ارتفاع مستوى معيشة السكان ، أما اذا أخفقت بعض المجتمعات فى تحقيق توازن بين نمو السكان وتنمية الموارد الاقتصادية فإن ذلك قد يؤدى إلى انخفاض مستوى المعيشة ، ولفهم العلاقة المتشابكة لكل من السكان والموارد الاقتصادية وتنميتها ظهرت ثلاثة مصطلحات هى الافتقار السكانى والاكتظاظ السكانى وأنسب السكان ، وإن لم يكن وصف مجتمع ما بأحد هذه المصطلحات يمثل علاقة أبدية فقد تنتقل المجتمعات المختلفة من طور لآخر تبعا لما يحدث بها من متغيرات ·

أنسب السكان Optimum Population

ويقصد به أن العلاقة بين السكان والموارد متناسبة ، بمعنى أن عدد السكان فى المجتمع كاف لعملية التنمية واستثمار الموارد بما يحقق للأفراد أعلى مستوى ممكن وما يحقق للموارد أفضل استخدام ، وأن أى زيادة فى عدد السكان تقابلها زيادة فى فرص العمل ومحاولات استثمار الموارد والمثال الذى نضربه هنا هو عدد سكان بريطانيا فهم فى حدود ٥٥ مليون نسمة وهو عدد مناسب للظروف الحالية ،

ولو تصورنا مثلا أن هذا العدد انخفض إلى عشرة ملايين أو ارتفع إلى مائة مليون لحدثت مشكلات ، ففى الحالة الأولى يتعطل الإنتاج وتنخفض مستويات الحياة ولا يكون لبريطانيا قوتها الاقتصادية والعسكرية الحالية ، وأما إذا ارتفع السكان فان هذا يعنى أيضا مشكلات اذ أن الموارد لن تكون كافية ليعيش السكان فى مستوى حياتهم الحالى .

ويؤدى التقدم التكنولوجى واكتشاف موارد جديدة وأساليب عمل جديدة إلى أن يصبح أنسب السكان متغيرا بنفس القدر ، وعلى سبيل المثال فإن الدول البترولية مثل ليبيا أو الامارات العربية المتحدة أو المملكة العربية السعودية كانت تعيش فى مستويات اقتصادية ومعيشية منخفضة قبل تدفق البترول وبعد استغلاله ارتفع مستوى السكان برغم أن هذه الدول أصبحت هدفا لهجرات كثيرة تدفقت عليها .

الافتقار السكانى Under Poplation

وفيه يكون عدد السكان قليلا بحيث لا يمكن استثمار الموارد الاقتصادية بكامل طاقتها فيبقى جزء منها معطلا عن الإنتاج وبذلك تكون فرص العمل ومستويات المعيشة أقل من الامكانات التى تسمح بها الموارد ، وفى بعض الأقطار يمكن التغلب على ذلك بفتح باب الهجرة الدولية لاستثمار الموارد ورفع مستوى المعيشة أما فى المجتمعات البدائية المنعزلة فقد تظل الموارد دون استثمار لعدم تناسب السكان مع الموارد ويؤدى ذلك إلى خفض مستويات المعيشة كما هو الحال فى مناطق الزراعة البدائية فى جنوب شرق آسيا أو فى بعض أجزاء إفريقيا المدارية أو حوض الأمزون فى أمريكا الجنوبية .

وقد يوجد الافتقار السكانى فى بعض الاقاليم داخل الدولة مما يعطل فرص

تطورها الاقتصادى إلا بالاعتماد على الهجرة الداخلية للعمال ففى مرحلة بناء السد العالى فى أسوان تطلب الأمر هجرة عشرات الآلاف من العمال إلى أسوان لإنجاز المشروع حيث كان الإقليم يعانى مؤقتا من الافتقار السكانى ، والأمر نفسه يصدق على بعض أقاليم غرب الولايات المتحدة التى اتجهت إليها الهجرات من الشرق لتعميرها واستثمار مواردها .

الاكتظاظ السكانى Over Population

ويحدث حين يكون التغير السكانى نحو الزيادة بمعدلات أسرع كثيرا من التنمية الاقتصادية وقد يحدث ذلك نتيجة لعدم التوازن بين نمو كل من السكان والموارد وفى معظم مجتمعات الدول النامية قد تكون الفجوة كبيرة بين نمو السكان ونمو الغذاء مما يؤدى إلى مشكلات متفاقمة ، وكثير من هذه المجتمعات تتفشى فيها البطالة نظرا لعدم وجود فرص عمل كافية لقطاعات كبيرة من السكان وفى هذه المجتمعات قد تستثمر الموارد بالكامل ومع ذلك تبقى مستويات المعيشة منخفضة .

وقد تؤدى بعض التطورات فى وسائل الإنتاج إلى البطالة ، فإدخال الآلة فى عمليات الانتاج الزراعى أدى إلى وجود فائض من عمال الزراعة الذين أصبحوا متعطلين ، واذا رغب بعضهم فى التحول إلى الصناعة فإلى جانب ضرورة وجود فرصة العمل بها فان من الضرورى توفر التدريب المناسب لنجاح عملية التحول ويلاحظ بصفة عامة بأن تغير المستوى التكنولوجى يكون ذا أثر حاسم فى التغلب على كثير من مشكلات عدم التوازن بين السكان والموارد ، ونجد أمثلة على ذلك فى كل من سويسرا واليابان ، فبرغم أن الموارد الاقتصادية فيهما غير غنية إلا أن التقدم التكنولوجى وفر للسكان فيهما مستوى اقتصاديا واجتماعيا مرتفعا .

هذا وقد أصبح من أهداف التنمية لكل من الموارد والسكان أن تكون تنمية شاملة ، أى أن يكون لها بعد اجتماعى إلى جانب البعد الاقتصادى كما أصبح من الضرورى أن تكون التنمية مستمرة أو متواصلة ؛ ويطلق عليها أحيانا التنمية المستدامة Sustainable Development بمعنى أنها لا تنقطع وترتبط بالنمو السكانى وبتحقيق مستويات أفضل دائما وتأخذ فى اعتبارها عدم تهديد الموارد بالنسبة للأجيال المقبلة .

نمو سكان العالم :

منذ عام ١٩٧٥ أصبح السكان فى العالم يحدث بمعدل ١,٧٪ سنويا ، وقد لوحظ أن معدلات الخصوبة آخذة فى الانخفاض تدريجيا بنسبة ضئيلة حيث أصبحت ٣,٣ فى الفترة ١٩٩٠ - ١٩٩٥ بعد أن كانت ٣,٨ فى الفترة من ١٩٧٥ - ١٩٨٠ ، ومع ذلك فإن الأعداد التى تضاف للسكان سنويا فى تزايد ، ففى عام ١٩٧٥ كان يضاف للنمو السكانى سنويا ٧٢ مليون نسمة ، وفى عام ١٩٩٢ أصبحت الإضافة ٩٣ مليون نسمة ، ويقدر أنه خلال الفترة بين عامى ١٩٩٥ ، ٢٠٠٠ سوف تزداد إلى حوالى ٩٨ مليون نسمة يضافون سنويا .

ومعنى ذلك أن الزيادة السكانية السريعة لا تزال تشكل معلما واضحا للنمو السكانى على مستوى العالم ، وينتظر أن يستمر الحال كذلك خلال العقود الثلاثة القادمة . وفى عام ١٩٩٣ كانت جملة سكان العالم ٥,٥٧ بليون نسمة وارتفع العدد فى سبتمبر ١٩٩٥ إلى ٥,٧٨ بليون نسمة ، وتوضح عمليات الاسقاط السكانى المستقبلى أن السكان فى عام ٢٠٠٠ سيصلون إلى ٦,٢٥ بليون نسمة ويرتفع عدد سكان العالم إلى ٨,٥ بليون نسمة فى عام ٢٠٢٥ ثم إلى عشرة

بلايين فى عام ٢٠٥٠ ، وأن النمو السكانى قد يصل بعدد السكان فى العالم عام ٢١٥٠ إلى حوالى ١١,٦ بليون نسمة ·

والجدول التالى يوضح نمو السكان خلال الفترة ١٩٥٠ حتى ١٩٩٠ ثم اسقاطات السكان المتوقعة حتى عام ٢٠٢٥ على مستوى العالم وأقاليمه وقاراته·

جدول النمو السكانى الفعلى والمتوقع ١٩٥٠ - ٢٠٢٥

الاقليم	عدد السكان بالملايين ونسبتهم المئوية فى السنوات									
	١٩٥٠		١٩٧٠		١٩٩٠		٢٠٠٠		٢٠٢٥	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
العالم	٢٥١٦	١٠٠	٣٦٩٨	١٠٠	٥٢٩٢	١٠٠	٦٢٦١	١٠٠	٨٥٠٤	١٠٠
الدول الصناعية	٨٣٢	٣٣,١	١٠٤٩	٢٨,٤	١٢٠٧	٢٢,٨	١٢٦٤	٢٠,٢	١٣٥٤	١٥,٩
الدول النامية	١٦٨٤	٦٦,٩	٢٦٤٩	٧١,٦	٤٠٨٦	٧٧,٢	٤٩٩٧	٧٩,٨	٧١٥٠	٨٤,١
آسيا	١٣٧٧	٥٤,٧	٢١٠٢	٥٦,٨	٣١١٣	٥٨,٨	٣٧١٣	٥٩,٣	٤٩١٢	٥٧,٨
افريقيا	٢٢٢	٨,٨	٣٦٢	٩,٨	٦٤٢	١٢,١	٨٦٧	١٣,٨	١٥٩٧	١٨,٨
امريكا الشمالية	١٦٦	٦,٦	٢٢٦	٦,١	٢٧٦	٥,٢	٢٩٥	٤,٧	٣٣٢	٣,٩
أمريكا اللاتينية	١٦٦	٦,٦	٢٨٦	٧,٧	٤٤٨	٨,٥	٥٣٨	٨,٦	٧٥٧	٨,٩
أوربا	٣٩٣	١٥,٦	٤٦٠	١٢,٤	٤٩٨	٩,٤	٥١٠	٨,١	٥١٥	٦,١
الانيانوسية	١٣	٠,٥	١٩	٠,٥	٢٦	٠,٥	٣٠	٠,٥	٣٨	,٤
الاتحاد الروسى	١٨٠	٧,٢	٢٤٣	٦,٦	٢٨٩	٥,٥	٣٠٨	٤,٩	٣٥٢	٤,١

مصدر الجدول : UNFPA , The State of World Population 1993 , U.N. , 1993 , p.l.

ويلاحظ من الجدول أن تباين النمو السكانى بين قارات العالم ، أو بمعنى أدق بين الدول الصناعية المتقدمة والدول النامية والفقيرة ، ينعكس أثره فى أن معظم نمو سكان العالم يحدث نتيجة لسرعة النمو فى الدول النامية والتى تتزايد نسبة سكانها إلى جملة سكان العالم على حين تتناقص نسبة سكان الدول الصناعية المتقدمة من جملة سكان العالم ، وفى عام ١٩٥٠ كانت الدول النامية تسهم بنسبة ٧٧ ٪ من نمو السكان على مستوى العالم ولكن النسبة ارتفعت إلى ٩٣ ٪ فى عام ١٩٩٠ ، وينتظر حتى نهاية القرن العشرين أن يكون إسهام الدول النامية فى نمو سكان العالم بنسبة ٩٥ ٪ فى مقابل ٥ ٪ فقط تسهم به الدول الصناعية المتقدمة ، وأما على مستوى الأقاليم فإن كلا من القارة الافريقية وجنوب القارة الآسيوية سيسهمان معا بنسبة ٥٣ ٪ من هذا النمو السكانى .

وفى منتصف عام ١٩٩٣ كان عدد سكان القارة الآسيوية ٣,٣ بليون نسمة وسوف يرتفع هذا العدد فى عام ٢٠٢٥ إلى ٤,٩ بليون نسمة أى بما يساوى جملة عدد سكان العالم فى عام ١٩٨٦ ، أما إفريقيا فكان عدد سكانها عام ١٩٩٣ فى حدود ٧٠٠ مليون نسمة وسيصبحون فى حدود ١,٦ بليون نسمة فى عام ٢٠٢٥ ، وفى مقابل هذه الزيادة السكانية السريعة فإن سكان أمريكا الشمالية الذين كانوا فى عام ١٩٩٠ يشكلون ٥,٢ ٪ من سكان العالم ستتناقص نسبتهم إلى ٣,٩ ٪ فقط من جملة سكان العالم برغم أنهم سيزيدون من ٢٧٦ مليون نسمة إلى ٣٣٢ مليون نسمة ، وكذلك الحال بالنسبة لقارة أوربا التى ستنخفض نسبة سكانها إلى جملة سكان العالم من ٩,٤ ٪ فى عام ١٩٩٠ إلى ٦,١ ٪ فقط فى عام ٢٠٢٥ وينطبق الأمر نفسه على كل من الاقيانوسية والدول التى كانت تشكل الاتحاد السوفيتى سابقا ، وذلك كله ناتج عن اختلاف معدلات النمو السكانى .

ويلاحظ أنه خلال الفترة ١٩٩٠ - ١٩٩٥ كانت معدلات النمو السكانى فى إفريقيا ٣ ٪ بينما انخفضت النسبة فى آسيا إلى ١,٩ ٪ وهذا ناتج فى معظمه عن تطبيق برامج سكانية تهدف إلى خفض معدلات النمو السكانى فى كل من الصين

والهند وهما أكبر أقطار آسيا والعالم سكانا ، هذا بالإضافة إلى دول آسيوية أخرى تطبق برامج لتنظيم الأسرة وتحد من معدلات النمو السكانى ، أما أمريكا اللاتينية فإن معدلات النمو السكاني السنوى بها تصل إلى ٢,١ ٪ ، وبصفه عامة فإن أكثر دول العالم فقرا هى أكثرها سرعة فى معدلات النمو السكانى ، ويقابل ذلك أن أكثر دول العالم تقدما - وغنى نتيجة التقدم - هى أقلها من حيث معدلات النمو السكاني ، وطبقا لتصنيف الأمم المتحدة فإن الدول الأقل تطورا« least developed » وعددها ٤٧ دولة كانت تسهم بنسبة ٧ ٪ من نمو سكان العالم فى عام ١٩٥٠ ولكن نسبتها ارتفعت إلى ١٣ ٪ فى عام ١٩٩٠ وهذا ناتج عن ارتفاع الرعاية الصحية بها مما قلل من معدلات الوفيات وخاصة وفيات الأطفال الرضع على حين لا تزال معدلات المواليد مرتفعة بها ، كما أن معدلات وفيات الأمومة قد انخفضت إلى النصف فى شرق آسيا وإن كانت لا تزال دون تغير فى جنوب آسيا وفى القارة الافريقية .

ويوجد أكبر قدر من التباين فى النمو السكاني بين كل من الدول الصناعية فى أوربا وأمريكا الشمالية من ناحية وبقية العالم من ناحية ثانية ، فقد أصبح النمو بطيئا وربما توقف تقريبا ، وأصبحت الخصوبة أقل من معدلات التعويض أو الإحلال فى المجموعة الأولى التى حدثت زيادة سكانية بنسبة ٤٣ ٪ لسكانها بين أعوام ١٩٥٠ و ١٩٩٠ ، على حين كانت الزيادة السكانية خلال نفس الفترة بنسبة ١٦٢ ٪ فى الدول الأقل تطورا و ١٤٠ ٪ فى بقية الدول النامية ، وينتظر أن يرتفع هذا الفارق ويتزايد ، فقد كان سكان القارة الأوربية وإفريقيا جنوب الصحراء متقاربين أو متساويين فى عام ١٩٨٥ وفى حدود ٤٨٠ مليون نسمة لكل منهما ، غير أنه فى عام ٢٠٢٥ سيصل سكان أوربا إلى ٥٠٠ مليون فقط بينما سيصل سكان إفريقيا جنوب الصحراء إلى ١٥٠٠ مليون أى ثلاثة أمثال ما سيصل إليه عدد سكان القارة الأوربية .

وسوف تؤدى بعض البرامج السكانية إلى تباين فى عدد سكان الاقطار

الكبرى أيضا ، فنسبة عدد سكان القارة الآسيوية حاليا فى حدود ٣٧ ٪ وسوف تنخفض هذه النسبة إلى ٣١ ٪ فى عام ٢٠٢٥ ، أما الهند فيقدر أن سكانها سوف ترتفع نسبتهم من ٢٧ ٪ من سكان آسيا حاليا إلى ٢٩ ٪ فى عام ٢٠٢٥ .

ثانيا : توزيع السكان وكثافتهم :

ترتبط أنماط توزيع السكان وكثافتهم بعدد من المتغيرات التى تختلف من قارة إلى أخرى ، ورغم أن التوزيع السكانى ليس ثابتا ، فإن حركة هذا التوزيع تبقى محكومة فى معظم تاريخ تعمير الإنسان للأرض بما يتوفر فيها من وسائل الحياة ، ويمكن التفرقة بين المناطق التى يسكنها الإنسان على سطح الأرض وهى التى تعرف بالمعمور Ecumene ، بينما يشكل غيرها مناطق مهجورة أو شبه خالية من السكان وهى مناطق اللامعمور أو الأجزاء السالبة من حيث العمران ، ويشغل المعمور مساحة محدودة من سطح الكرة الأرضية ، بما يؤدى إلى أن سكان العالم يتركزون على مساحة صغيرة من اليابسة ، ويقدر أن حوالى نصف سكان العالم يعيشون على ٥ ٪ فقط من مساحة الأرض .

والجدول التالى يبين توزيع السكان على مناطق العالم فى عام ١٩٩٢ .

جدول توزيع السكان وكثافتهم فى العالم (١٩٩٢) .

الاقليم	المساحة كم٢	السكان بالمليون	الكثافة نسمة / كم٢
العالم	١٣٥.٨٣٩.٤٢٠	٥.٤٣٦	٤٠.٠
إفريقيا	٣٠.٢٤٤.٣٨٠	٦٥٦	٢٧.١
أمريكا الشمالية	٢١.٦٧٥.٥٦٠	٢٨٣	١٣.١
أمريكا اللاتينية	٢٠.٥٣٣.١١٠	٤٥١	٢٢.٠
آسيا بدون روسيا	٣١.٩١٢.٣٥٠	٣.٢٩١	١٠٣.١
أوربا وروسيا	٢٢.٩٦٨.٩٢٠	٧٢٧	٣١.٧
روسيا	١٧.٠٧٥.٤٠٠	١٤٩	٨.٨
الاقيانوسية	٨.٥٠٥.١٠٠	٢٧	٣.٢

ويتضح من الجدول أن أقاليم العالم السكانية الكبرى وهى التى يتركز فيها السكان بأعداد كبيرة ونسب مرتفعة لا تزال مركزة فى العالم القديم وخاصة فى قارتى آسيا وأوربا ، مع وجود مناطق ثانوية فى كل من إفريقيا والعالم الجديد .

أمابالنسبة للقارة الآسيوية بدون روسيا فهى تضم ٦٠,٥ ٪ من جملة سكان العالم ، وتضم الصين وحدها ٢١,٤ ٪ من جملة سكان العالم والهند ١٦,٤ ٪ منهم كما يوجد فى اندونيسيا ١٨٥ مليون نسمة وفى اليابان ١٢٤ مليون نسمة وفى باكستان ١٣٠ مليون نسمة وفى بنجلاديش ١١١ مليون نسمة ، وبذلك فإن جملة سكان هذه الدول الآسيوية الست ٢٦٠٥ مليون نسمة يشكلون ٤٧,٩ ٪ من جملة سكان العالم ، بينما مساحة هذه الأقطار حوالى ١٦ مليون كيلو متر مربع فقط تمثل ١١,٨ ٪ من مساحة العالم .

فإذا أضفنا إلى تلك المجموعة من الأقطار الآسيوية دولا أخرى فى شرق وجنوب شرق آسيا مثل كوريا والفلبين وتايلند ولاوس وكمبوديا ، وهى دول ذات حضارات زراعية قديمة واستقرارات سكانية كثيفة ، فإن هذا يوضح مدى تركز السكان فى كل من شرق آسيا وجنوبها وجنوبها الشرقى ، حيث يعيش فى هذه الأقاليم الجغرافية الثلاثة حوالى ٣٠٢٥ مليون نسمة يمثلون ٥٥,٧ ٪ من جملة سكان العالم بينما يعيش فى جنوب غرب آسيا الذى يشمل شبه الجزيرة العربية وكلا من تركيا وإيران ودول شرقى البحر المتوسط العربية والجمهوريات الإسلامية الروسية ويبلغ سكانها مجتمعه ٢٦٥ مليون نسمة يمثلون أقل من ٥٪ من جملة سكان العالم .

وكما يتضح من الجدول فإن القارة الآسيوية تمثل أعلى قارات العالم من حيث كثافة السكان حيث ترتفع كثافتها عن كثافة العالم بما تزيد نسبته عن ٢٥٠ ٪ وتصل الكثافة فى آسيا أربعة أمثالها فى إفريقيا تقريبا .

أما القارة الأوربية وتضم روسيا فإنها تأتى فى المرتبة الثانية من حيث عدد السكان بعد قارة آسيا ، وتضم دول أوربا الغربية ٣٧٩ مليون نسمة وترتفع فيها الكثافة إلى ١٠٢,٣ نسمة فى الكيلو متر المربع بينما تضم دول أوربا الشرقية ٣٤٨ مليون نسمة وتنخفض فيها الكثافة إلى ١٨,١ نسمة / كم٢ ، وأما روسيا فهى أكبر دول العالم مساحة ، حيث تصل مساحتها إلى أكثر من ١٧ مليون كيلو متر مربع ويعيش بها حوالى ١٥٠ مليون نسمة يمثلون ٢,٧ ٪ من جملة سكان العالم بينما تشغل أكثر من ١٢,٥ ٪ من مساحة العالم ، وهذا هو الذى يؤدى إلى انخفاض الكثافة السكانية فيها إلى أقل من ٩ نسمة لكل كيلو متر مربع ، ومن الطبيعى أن القسم الآسيوى الضخم فى مساحته والأقل فى سكانه هو سبب انخفاض الكثافة العامة فى روسيا ، أما القسم الأوربى من روسيا فهو أعلى كثافة .

أما القارة الإفريقية ، فقد ظلت حتى مطلع القرن العشرين ذات وزن نسبى منخفض من الناحية السكانية ، حيث كانت تنتشر بها الأمراض التى تفتك بسكانها وتؤدى إلى انخفاض كل من النمو السكانى والكثافة السكانية معا ، إلا أن تقدم العلوم الطبية أدى إلى نمو سكانى سريع فى إفريقيا وترتب على ذلك ارتفاع الكثافة السكانية فى الأقطار التى تزايد سكانها بسرعة كبيرة ، ويحتل شرق إفريقيا أعلى ماطق القارة فى كثافته السكانية ، حيث يتركز فى هذا الإقليم ٢٠٣ مليون نسمة وبكثافة تصل إلى ٣٢ نسمة / كم٢ تقريبا ، ويأتى غرب إفريقيا فى المرتبة الثانية ، حيث يعيش فيه حوالى ١٨٠ مليون نسمة وبكثافة سكانية تصل إلى ٣٠ نسمة / كم٢ تقريبا ثم شمال إفريقيا ويضم دول العالم العربى كلها فيما عدا الصومال وجيبوتى (ويدخلان فى شرق إفريقيا) ، وعدد سكان شمال إفريقيا حوالى ١٥٢ مليون نسمة وكثافتهم حوالى ١٨ نسمة / كم٢ ، أما دول وسط إفريقيا وتضم تشاد وافريقيا الوسطى والكونجو وزائير والكميرون

وانجولا فيعيش بها حوالى ٧٨ مليون نسمة وتصل الكثافة فيها إلى ١٢ نسمة / كم٢ ، وأخيرا جنوب إفريقيا ويشمل ناميبيا وبوتسرانا وجمهورية جنوب إفريقيا وبعض الدول الصغيرة الأخرى فإنه يضم ٤٤ مليون نسمة وتصل الكثافة فيه إلى ١٦ نسمة / كم٢ .

أما العالم الجديد فإن السكان يتركزون فيه فى بعض المناطق الغنية بمواردها فى كل من الأمريكتين واستراليا ، ويتركز السكان فى المناطق الساحلية فى شرقى الولايات المتحدة وكندا فى أمريكا الشمالية ، ثم فى كل من المكسيك والبرازيل فى أمريكا اللاتينية ، وأكبر الدول سكانا فى هذا النطاق هى الولايات المتحدة وسكانها فى حدود ٢٦٠ مليون نسمة وتليها البرازيل وسكانها أكثر من ١٥٠ مليون نسمة ، أما كل من كندا والاقيانوسية فسكان كل واحدة منهما فى حدود ٣٠ مليون نسمة فقط ، غير أن هذا الجزء من العالم لا يزال فى معظمه مفتوحا أمام الهجرات الدولية وبالتالى يستقبل أعداداً متزايدة من المهاجرين .

العوامل المؤثرة فى توزيع السكان

يؤثر فى توزيع السكان وكثافتهم عديد من العوامل الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والديموجرافية وذلك على النحو التالى :

١ - العوامل الجغرافية وأهمها :

(أ) **المناخ** : حيث يرى الكثيرون أنه من أهم العوامل الجغرافيا الطبيعية المؤثرة فى توزيع السكان ، ومعظم سكان العالم يتركزون فى المناطق ذات الحرارة المعتدلة أما الصحارى الحارة والمناطق الجليدية فهى ذات أعداد وكثافات سكانية منخفضة ، كما تلعب الأمطار دورا بالغ الأهمية فى توزيع السكان وثمة كثير من التطابق بين خريطة كثافة السكان ومتوسطات الأمطار السنوية المرتفعة ومن الطبيعى أن لذلك أثره فى الزراعة والرى .

(ب) **التربة** : ويلاحظ أن مناطق الحضارات القديمة ومناطق التركز السكانى والكثافات العالية ترتبط بخصوبة التربة وخاصة اذا اتفق ذلك مع وفرة مياة الأمطار أو وجود الأنهار كما هو الحال فى أودية النيل ودجلة والفرات والسند وهوانجهو فى قارتى إفريقيا وآسيا فوديان هذه الانهار ذات تربة خصبة ، وتوفر الأنهار والأمطار مصادر للرى ولذلك قامت الحضارات المصرية والبابلية والسومرية والهندية والصينية فى تلك المناطق .

(جـ) **السطح** : وهو يلعب دورا هاما فى توزيع السكان ، حيث يتركز معظم سكان العالم فى المناطق السهلية بينما ينفرون من المناطق الصخرية والجبلية أو ذات الارتفاعات العالية ، إلا حيث يكون الارتفاع مرتبطا بمناخ أفضل كما هو الحال فى المناطق الاستوائية ، ويقدر أن ٩٠ ٪ من سكان العالم يعيشون فى مناطق يقل ارتفاعها عن ٤٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر فى مناطق السهول فى قارات آسيا وإفريقيا والامريكتين واستراليا ، ولا يقبل السكان على سكنى المرتفعات إلا إذا توفرت بها خامات ورواسب معدنية ذات قيمة أو إذا كانت المناطق المنخفضة ذات مناخ حار ورطوبة مرتفعة ، أو إذا توفرت مناطق الجذب السياحى فى مناطق الارتفاعات العالية .

(د) وفرة الموارد المعدنية والطاقة : ويرتبط ذلك على نحو خاص بالعوامل الجيولوجية حيث توجد رواسب وخامات الفحم والحديد والبترول وغيرها من المعادن ومصادر الطاقة ، ويمكن ملاحظة أثر هذا العامل فى المقارنة بين توزيع السكان وكثافتهم فى منطقة شمال افريقيا وشبه الجزيرة العربية قبيل ظهور البترول ثم بعد ظهوره واستغلاله ، فقد كانت هذه المناطق فى معظمها صحراوية خالية من السكان ولكن سرعان ما شقت بها الطرق ونشأت فيها المدن بعد اكتشاف البترول كما يرتبط بوجود الفحم والبترول فى كل من غرب أوربا وشـمال شرق الولايات

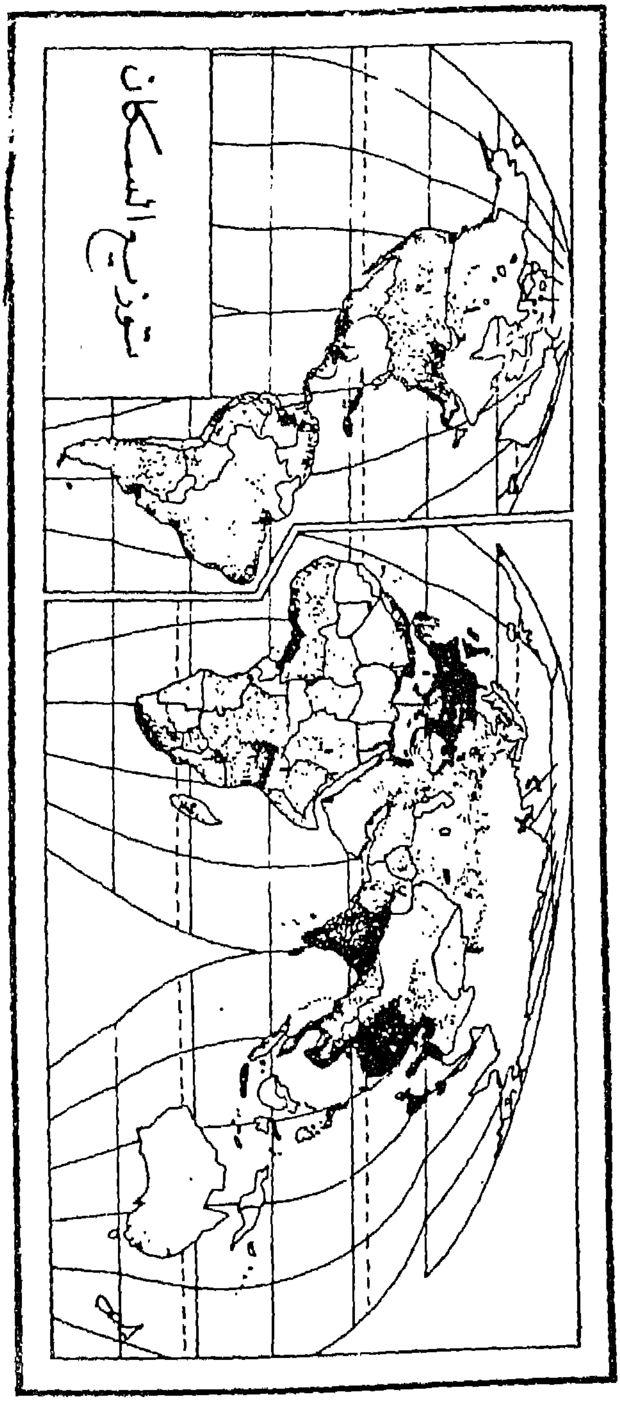
المتحدة ، وجود عدد من المدن الصناعية والمراكز العمرانية الكبرى فى كل من المانيا وبريطانيا والولايات المتحدة .

٢ - العوامل الاجتماعية والاقتصادية:

لعب التقدم الذى حققه الإنسان فى مجال النقل والتجارة الدولية أثره فى تطور الصناعة والخدمات وبالتالى فى انتشار السكان وتوزيعهم خلال القرنين الماضيين ، ويظهر أثر ذلك واضحا فى ظهور عديد من المدن الكبيرة التى تضم الواحدة منها عدة ملايين من السكان ، وقد ارتبط ذلك بتعدد الأنشطة الاقتصادية فى المجتمعات الحديثة وتقدم التقنية مما حرر الانسان من أثر العوامل الطبيعية التى كان لها الدور الأكبر فى انتشار الانسان وتوزيعه على سطح الأرض قبل ذلك

ولعل تحول المجتمعات إلى الصناعة قد أدى إلى تركز واضح فى المناطق الحضرية التى تقوم بها الصناعات الضخمة التى تحررت كثيرا من أثر البيئة الطبيعية ، وكان للتقدم فى التقنية أثره الواضح فى ذلك وخاصة بالنسبة لكل من الرى الذى تحولت بعض الصحارى نتيجة لتكنولوجيات جديدة فيه إلى مناطق زراعية واجتذبت سكانا ومدت اليها طرق النقل بحيث لم تعد معزولة عن مناطق العالم الأخرى ، ويدخل فى تلك التكنولوجيات وسائل الحصول على الماء الجوفى وأسلوب الرى نفسه ومعالجة تربة الصحارى والتقدم فى الهندسة الوراثية للنبات كما أن التنظيم الاجتماعى والسياسى والأخذ بأسلوب التنسية والتخطيط أدى إلى نشأة مجتمعات جديدة غيرت إلى حد ما فى نمط توزيع السكان .

أما عن كثافة السكان فهى العلاقة بين عدد السكان والمساحة التى يعيشون عليها ، وتوجد أنواع مختلفة من الكثافة فإذا نسب جملة السكان إلى جملة المساحة نحصل على الكثافة الحسابية أو العامة ، وفى مصر تبلغ هذه الكثافة ٥٨ نسمة / كم٢ تقريبا « جملة السكان ٥٨ مليونا والمساحة مليون كيلو متر مربع » أما إذا نسب عدد السكان إلى جملة المساحة المنتجة أو المعمورة فقط فإن هذا يعرف بالكثافة الصافية أو الكثافة الفزيولوجية Physiological Density



شكل رقم (١٥)

وهى ترتفع فى حالة مصر إلى ١٤٥٠ نسمة / كم٢ تقريبا تقريبا (حيث تنسب جملة السكان إلى المساحة المأهولة فقط حوالى وهى ٤٠,٠٠٠ كيلو متر مربع فقط) .

أما الكثافة الزراعية Agricultural Density فهى التى تنسب السكان الذين يعلمون فى أنشطة ترتبط بالزراعة إلى مساحة الأراضى الزراعية من ناحية ونسبة العاملين بها من ناحية أخرى ، ففى بريطانيا يعمل حوالى ٥ ٪ فقط من السكان بالزراعة بينما تصل النسبة إلى ٥٠ ٪ تقريبا فى مصر ، ولذلك فإن الكثافة الزراعية فى بريطانيا حوالى ٣٥ نسمة / كم٢ بينما هى فى مصر حوالى ٣٠٠ نسمة / كم٢ .

ومن المقاييس الأخرى المستخدمة فى الكثافة درجة التزاحم أى نسبة عدد السكان إلى عدد الغرف ، وهو مقياس يعطى كثيرا من المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية ، وطبقا لتعداد السكان فى مصر عام ١٩٨٦ كان متوسط عدد الأفراد للغرفة فى مصر عامة ١,٥ نسمة / الغرفة ، ولكن هذا المقياس يرتفع فى بور سعيد إلى ٢,١ نسمة / الغرفة وينخفض فى الوادى الجديد إلى ١,٢ نسمة / الغرفة ، ودراسة درجة التزاحم فى الأحياء المختلفة داخل المدينة الواحدة تفسر كثيرا من أوجه التباين الاجتماعى والاقتصادى فى هذه الاحياء .

سكان المدن وسكان الريف :

إذا كان الإنسان قد بدأ حياته على الأرض متجولا وباحثا عن الغذاء من مصادره الطبيعية ، بمعنى أنه عاش حياة البداوة والانتقال ، فإنه ما لبث أن استأنس النبات والحيوان وعاش حياة مستقرة فى مجتمعات راقية ، ارتبط فيها بالأرض والزراعة ، ثم تطورت حيلته وحرفته فعرف الصناعة والتجارة ، ومن ذلك كله نشأت القرى فى البداية ثم نشأت المدن بعد ذلك .

وطبقا لتطور الانسان وتقدمه فإنه يتجه أكثر إلى سكن المدن ، وفى عام ١٩٥٠ كان ٨٣ ٪ من سكان الدول النامية يعيشون فى مناطق ريفية ، ولكن فى عام ١٩٧٥ انخفضت هذه النسبة إلى ٧٥ ٪ ويقدر أنه مع نهاية القرن العشرين فإنه سكان الريف في الدول النامية سيشكون ٦٠ ٪ فقط من سكانها بينما سترتفع نسبة سكان المدن فى تلك الدول حتى أنه المتوقع أن يصبح نصف سكان الدول النامية خلال العقود الأولى من القرن القادم من ساكنى المدن . ولعله من الظاهرات التى شهدها عمران الأرض ، تزايد سكان المدن فى النسبة ، وتزايد المدن فى الضخامة ، وقد بدأ هذا الاتجاه فى الدول الصناعية المتقدمة ، وذلك لأن الصناعة التى تقوم على الإنتاج الواسع نشأت فى المدن وارتبطت بها ، ولكن الدول النامية سرعان ما نمت مدنها هى الأخرى نتيجة لوجود الخدمات فى مدنها بما يفوق كثيرا تلك الخدمات فى الريف ، ومن هنا فقد شهدت المدن نموا سكانيا هائلا نتيجة اجتذاب تيارات الهجرة الداخلية من الريف إلى المدن .

ويوجد في الدول النامية حاليا ١٢٥ مدينة مليونية ولكنها ستزيد إلى حوالى ٣٠٠ مدينة مع نهاية القرن العشرين ، وبينما لم يكن فى قارة إفريقيا من المدن المليونية فى عام ١٩٥٠ سوى مدينتين ، وكانت أقل قارات العالم من حيث نسبة سكان الحضر بها إلى جملة السكان ، إلا أن سرعة النمو فى المدن الإفريقية حيث تصل إلى ٦ ٪ سنويا ، تؤدى إلى أن يتضاعف عدد سكان هذه المدن كل ١٢ عاما تقريبا ، وقد ارتفع عدد المدن المليونية فى قارة إفريقيا إلى ١١ مدينة فى عام ١٩٨٥ وارتفع العدد إلى ٣٧ مدينة فى عام ١٩٩٥ ، ويضاف لذلك عشرات المدن التى يصل عدد سكان كل منها إلى أكثر من ٥٠٠٠٠ نسمة وحتى نصف مليون نسمة وهى التى تعرف بالمدن المتوسطة ، أما المدن الصغيرة التى يقل سكان كل منها عن ٥٠٠٠٠ نسمة فهى تضم مئات المدن .

وتعتبر مدينة القاهرة أكبر المدن الافريقية ، وكان عدد سكانها أقل من ستة

ملايين نسمة فى عام ١٩٧٠ ، ولكن فى عام ١٩٩٠ وصل عدد سكانها إلى ما يزيد عن تسعة ملايين ، ويقدر أن عدد سكانها فى نهاية القرن العشرين سيصل إلى ما يقرب من ١٢ مليون نسمة ، أما إذا أضيفت مكونات ما يعرف "القاهرة الكبرى" وخاصة مدينة الجيزة ومدينة شبرا الخيمة ، فإن عدد سكان القاهرة الكبرى سيصل فى نهاية القرن إلى ما يزيد عن ١٥ مليون نسمة .

وخلال عقد التسعينات من القرن العشرين ، يقدر أن ٨٣ ٪ من نمو سكان العالم سيحدث فى المدن بما يصل إلى أكثر من ٨٠ مليون نسمة سنويا ، ويقدر أن حوالى ثلث سكان المدن فى العالم يسكنون فى مدن مليونية كبرى ، وهى التى يطلق عليها أحيانا المدن العملاقة أو فوق المليونية ، وتتزايد أعداد هذه المدن فى الدول النامية ، وفى عام ١٩٥٠ كانت سبع من المدن العشر الكبرى فى العالم توجد فى الدول الصناعية المتقدمة ، ولم تكن أى مدينة فى العالم تصل فى عدد سكانها إلى ١٥ مليون نسمة ، ولكن مع نهاية هذا القرن فإن كثيرا من هذه المدن ستكون فى الدول النامية ، فمن بين أكبر عشرين مدينة فى العالم فى عام ٢٠٠٠ ستوجد مدينتان فى الولايات المتحدة وهما نيويورك ولوس انجيلوس ومدينة فى اليابان وهى طوكيو فى مقابل ثلاث مدن فى الصين وثلاث مدن فى الهند ، وأربع مدن فى أمريكا اللاتينية .

وفى كثير من المدن الكبرى فى الدول النامية لم تعد الخدمات والفرص الاقتصادية كافية أو متناسبة مع السرعة الكبيرة فى النمو السكانى ، واجتذاب المهاجرين من الريف والمدن الصغيرة ، وقد عمدت كثير من دول العالم إلى تبنى سياسات تهدف إلى التخطيط الاقليمى ، وخاصة لتنمية أقاليم المدن المتوسطة والصغيرة وكذلك إلى تنمية الريف من أجل وقف تيارات الهجرة إلى المدن الكبرى أو الحد منها .

ويرتبط بتوزيع السكان على كل من الريف والمدن ، مدى ونسبة الاشتغال بالزراعة وإسهامها فى الناتج القومى العام ، ويؤدى تطور الصناعة فى الدول النامية إلى انخفاض ملحوظ فى حصة الزراعة من الناتج القومى العام وإن ظلت أهم مصادر كسب العيش والحياة وخاصة فى أكثر الدول فقرا ، ففى عام ١٩٦٥ شكلت الزراعة نسبة ٤١ ٪ من الناتج القومى الإجمالى فى دول الدخل المنخفض ومثلت ٧٧ ٪ من القوى العاملة ، ولكن فى عام ١٩٨٥ انخفضت حصة الزراعة من الناتج القومى الإجمالى إلى ٣٢ ٪ على حين ظلت حصتها فى العمالة فى حدود ٧٢ ٪ . وفى الدول ذات الدخل المتوسط المنخفض لا تزال الزراعة تقدم ٥٥ ٪ من فرص العمل للسكان .

ورغم انخفاض إسهام الزراعة فى الناتج القومى العام ، فإن أعداد الذين يعتمدون عليها فى كسب معيشتهم تتزايد فى الدول النامية ، ففى الفترة بين ١٩٦٥ و١٩٨٥ ارتفعت هذه الأعداد فى إفريقيا جنوب الصحراء من ٢٢٠ مليون نسمة إلى ٣١٠ مليون نسمة وفى آسيا من ١٣٥٠ مليون نسمة إلى ١٦٧٥ مليون نسمة ، وإذا كانت هذه العملية آخذة فى الانحسار فى آسيا فإنها لا تزال تتزايد فى إفريقيا .

وخلال الفترة ١٩٨٥ - ١٩٩٠ كانت الزراعة تستوعب عمالة بنسبة ٧٩ ٪ فى الكميرون و ٨٧ ٪ فى مالاوى و٧١ ٪ فى زيمبابوى ، وأما بين دول أمريكا الوسطى فكانت الزراعة تستوعب ما يزيد على ٥٠ ٪ فى كل من هايتى وهندوراس وجامايكا ، وفى القارة الآسيوية كانت نفس هذه النسب قائمة فى كل من بنجلاديش وباكستان وسريلانكا ، وربما كانت فى هذه الحدود فى كل من الهند والصين .

ويؤدى الفقر فى المناطق الريفية ، خاصة إذا ارتبط بارتفاع الخصوبة وتدهور

أحوال البيئة إلى وجود طوفان يتدفق فى حركة هجرة داخلية من الريف إلى المدن ، ويقدر أن ما بين ٢٠ إلى ٣٠ مليون نسمة من فقراء العالم يتركون قراهم سنويا متجهين إلى المدن القريبة من مواطنهم ، ويقدر أنه مع نهاية القرن العشر سيكون ٩٠ ٪ من فقراء أمريكا اللاتينية من سكان المدن وتصل النسبة إلى ٤٠ ٪ فى إفريقيا وإلى ٤٥ ٪ فى آسيا ، ولكن أولئك الفقراء سيمثلون أفقر سكان المدن فى العالم كله بينما يوجد إلى جانبهم سكان آخرون يتمتعون بدخول عالية ومستويات راقية من الرفاهية ، وسيكون لذلك أثره فى موجات العنف والجريمة فى المدن ، وكذلك فى زيادة الأحياء العشوائية المتدهورة على أطراف المدن وبعض أجزائها الوسطى .

ثالثا : تركيب السكان Poplation Structure

يتضمن تركيب السكان عديدا من الصور التى يأخذها هذا التركيب ، والتى تدخل فى خصائص السكان وتؤدى إلى كثير من التباين من مجتمع لآخر أو من دولة لأخرى ، وسوف نتناول أهم جوانب تركيب السكان بإيجاز فيما يلى :

١ - التركيب النوعى للسكان Sex Structure

ويقسم فيه السكان إلى ذكور Males واناث Females وعادة ما يقاس أحد النوعين إلى الأخر أو إلى جملة السكان ، ومن أكثر المقاييس المستخدمة شيوعا أن تنسب ما يقابل كل مائة من أحد النوعين إلى النوع الآخر أو إلى ألف منهم ويعرف ذلك بالنسبة النوعية وتحسب كما يلى :

$$\text{النسبة النوعية} = \frac{\text{عدد الذكور}}{\text{عدد الاناث}} \times ١٠٠$$

فاذا حسبت لكل ألف قلل ذلك من الكسور وإن كان الحساب أكثر شيوعا بالنسبة لكل مائة وبصفة عامة فإن المجتمعات الطبيعية المستقرة تتقارب فيها

أعداد الذكور والإناث بحيث تتراوح النسبة النوعية بين ٩٠ , ١١٠ أنثى لكل مائة من الذكور غير أن التفاوت فى الخصوبة والوفيات والهجرة تؤدى إلى حدوث اختلافات فى النسبة النوعية كما أن الحروب تؤدى إلى تباين واضح فى ذلك أيضا حيث كثيراً ما ترتبط بارتفاع نسبة الذكور فى المناطق المتأثرة بها بينما تهاجر النساء إلى مناطق أخرى أكثر أمنا .

ويوجد مؤشر آخر فى دراسة التركيب وهو نسبة أحد النوعين إلى جملة السكان ، فاذا نسب عدد الذكور إلى جملة السكان نحصل على نسبة الذكور Masculinity Ratio، أما إذا نسب عدد الاناث إلى جملة السكان فنحصل على معدل الانوثة Feminity Ratio ، وتحسب نسبة الذكور كما يلى اذن :

$$\text{نسبة الذكور} = \frac{\text{عدد الذكور}}{\text{جملة عدد السكان}} \times ١٠٠$$

وبالمقارنة بين كل من النسبة النوعية وأى من نسبة الذكور أو نسبة الأنوثة يلاحظ أن النسبة النوعية تكون فى حدود ١٠٠ (أو كما سبق بين ٩٠ و ١١٠) فى المجتمعات الطبيعية المستقرة ، أما نسبة الذكورة أو الأنوثة فتكون فى حدود ٥٠ فى تلك المجتمعات ، وذلك لأننا فى الحالة الأولى ننتسب جزءا من السكان إلى الجزء الآخر أما فى الحالة الثانية فنحن ننسب جزءا من السكان إلى جملة السكان من النوعين معا ، أما انخفاض تلك النسب أو ارتفاعها عن المتوسطات السابقة فلابد أن نسعى إلى تفسيره وتوضيح أسبابه ، ففى مدن التعدين أو مدن الحاميات العسكرية ترتفع نسبة الذكورة كثيرا جدا ، وفى المجتمعات التى يقبل الذكور فيها على الهجرة للعمل تنخفض النسبة النوعية نظرا لبقاء الاناث بينما يقبل الذكور على الهجرة فى تلك المجتمعات ، والمناطق المتأثرة بتهديد الحرب أو الأعمال العسكرية ، أو التى تنتابها الكوارث الطبيعية ، تقل فيها أعداد النساء لاتجاههن للهجرة إلى مناطق آمنة .

٢ - التركيب العمرى للسكان Age Structure

وفيه يتم تقسيم كل من الذكور والإناث إلى فئات عمرية قد تكون تفصيلية أى أن يظهر عدد كل من النوعين فى فئات عمرية طول كل منها سنة واحدة ، غير أن الأكثر شيوعا هو الفئات العمرية الخمسية أو العشرية .

ومن ناحية أخرى يوجد التقسيم إلى الفئات العمرية الأساسية أى الصغار والبالغون النشطون والمسنون ، والفئة الأولى تعرف أحيانا بالاطفال والمراهقين وهى تشمل السكان فى فئات العمر التى تمتد بين الميلاد حتى أقل من ١٥ عاما ، أما الفئة الثانية فتضم السكان بين فئات العمر ١٥ - ٦٤ عاما (وفى أحيان قليلة حتى ٥٩ عاما فقط) وأما الفئة الثالثة فتضم السكان فى فئات العمر ٦٥ عاما فاكثر (أو ٦٠ عاما فاكثر فى حالة انتهاء الفئة الوسطى عند ٥٩ عاما) (١)

ولما كان السكان فى فئة العمر ١٥ - ٦٤ عاما يشكلون السكان المنتجين ومن هم فى سن العمل وبذل النشاط ، فإن السكان فى الفئة الأصغر عمرا (أى الأقل من ١٥ عاما) يطلق عليهم المعالون الصغار ، ويطلق على السكان فى فئة العمر ٦٥ عاما فأكثر ، المعالون الكبار ، ومن الناحية النظرية فإن السكان فى فئات العمر ١٥ - ٦٤ عاما يمثلون العائلين الذين يكفلون الفئتين الأصغر سنا والأكبر سنا .

ويمكن حساب بعض المعدلات كما يلى :

$$\text{معدل الاعالة :} \quad \frac{\text{السكان المعالون (صفر - ١٤ عاما + ٦٥ فاكثر)}}{\text{السكان العائلون (١٥ - ٦٤ عاما)}} \times ١٠٠$$

---

(١) يرتبط ذلك غالبا بسن الاحالة إلى المعاش وهى تختلف من قطر لأخر .

كما يمكن حساب النسبة بين كل من المعالين الصغار والمعالين الكبار فيما يعرف بمعدل التعمر [1] . أو مؤشر التعمر Index of Aging وهو يحسب كما يلى :

$$\text{معدل التعمر} = \frac{\text{السكان ٦٥ عاما فاكثر}}{\text{السكان ١٤ عاما فاقل}} \times ١٠٠$$

ويمكن الخروج بكثير من التحليلات السكانية عن المجتمعات باختلاف المعدلات السابقة ففى الدول النامية عموما يرتفع معدل الإعالة عن المجتمعات المتقدمة ، كما أن معدل التعمر يرتفع فى الدول المتقدمة عنه فى الدول النامية وذلك نتيجة لارتفاع ما يعرف بأمد الحياة أو توقع الحياة عند الميلاد فى المجتمعات المتقدمة لوجود أحوال صحية واقتصادية أفضل مما يتوفر فى مجتمعات الدول النامية .

٣ - أهرام السكان Population Pyramids

يمكن عمل أشكال بيانية توضح كلا من التركيب النوعى والعمرى معا وهى التى تعرف بأهرام السكان ، ويمكن أن توضح أهرام السكان إما الأعداد المطلقة أو الفعلية للسكان أو أن تعتمد على النسب المئوية للسكان فى الفئات العمرية المختلفة ، والأرقام النسبية أفضل نظرا لسهولة مقارنة الأهرام السكانية لمجتمعات مختلفة من حيث الحجم السكانى إذا اتبعت هذه الطريقة .

ويرتكز هرم السكان على قاعدة يوضح عليها غالبا مقياس الهرم سواء بالارقام المطلقة أو النسب ، وتمثل هذه القاعدة أدنى الفئات العمرية المستخدمة ثم تعلوها مختلف الفئات التى قد تكون الفواصل بينهما خمسة اعوام أو عشرة

---

(١) ويعرف أحيانا بمعدل الشيوخة .

اعوام، وإن كان ثمة أهرام تكون الفئة فيها مفصلة وطولهـــا عام واحد وتعرف بأهرام آحاد السن .

وتقسم قاعدة الهرم في منتصفها حيث يوجد صفر التدريج إلى قسـ ـين وعادة ما يكون الذكور في يمين الهرم والإناث في يساره وذلك لتسهيل المقارنات بين الأهرام المختلفة .

ويمكن أن يوضح الهرم السكاني كثيرا من الأحداث التي مرت بالمجتمع الذي يمثله ، وعلى الباحث أن يجد تفسيرا لذلك من خلال ما حدث في المجتمع من تطور تاريخي سواء في النواحي الاجتماعية أو الاقتصادية أو العسكرية ، وبصفة عامة فإن التغيرات في الهرم السكاني تكون محصلة لما يلي :

(أ) تغيرات ناتجة عن عوامل حيوية أو اجتماعية كالمواليد والوفيات والهجرة ، فحدوث ارتفاع مفاجيء سواء بالنسبة لمعدلات المواليد أو الوفيات وكذلك حدوث هجرة مفاجئة لفئة عمرية معينة أو ارتفاع لمعدلات الوفيات في تلك الفئة ، يظهر أثره في الهرم السكاني .

(ب) تغيرات طارئة وفجائية كالحروب والكوارث الطبيعية كالجفاف أو انتشار الأوبئة والمجاعات .

(جـ) الأخطاء الناتجة عن عدم الدقة في إعطاء بيانات العمر أو عدم التبليغ وشمول العد لأفراد في فئة عمرية معينة .

هذا ويمكن في بعض الأحيان عمل أهرام مقارنة من انواع مختلفة حيث يمكن عمل هرمين متداخلين لمجتمع واحد في تاريخين مختلفين لمعرفة ما طرأ من تطور على التركيب العمري والنوعي لسكان هذا المجتمع خلال الفترة بين التاريخين ، كما يمكن عمل أهرام مركبة أو متداخلة للمقارنة بين مجتمعين في تاريخ واحد .

وتمثل الأهرام السكانية للدول النامية اتساعا فى القاعدة نظرا لارتفاع معدلات المواليد ثم تأخذ درجات الهرم فى التقلص كلما اتجهنا إلى الأعمار الكبيرة حتى تصبح قمة الهرم مدببة فى أعلاه ، أما الدول التى تنخفض فيها معدلات المواليد وترتفع فيها نسبة المسنين فانها تمتاز بقاعدة ضيقة نوعا وبقمة عريضة نسبيا وغير مدببة .

٤ - حجم الأسرة Family Size

لحجم الاسرة الذى يقصد به عدد أفرادها أثر كبير فى فهم الجوانب الاجتماعية للسكان ، وكلما كان حجم الأسرة كبيرا كان معنى ذلك ارتفاع عبء الإعالة ويقدر عدد أفراد الأسرة على أساس الآباء والأبناء الذين يعيشون تحت سقف واحد ، وعندما يتزوج الأبناء وينفصلون عن آبائهم أو أسرهم فإنهم يشكلون أسرا جديدة .

ويوجد فرق بين الأسرة الممتـدة وهى التى تضم الآباء والأبناء والأحفاد جميعا ، وبين الأسرة النووية أو الصغيرة التى تضم الزوجين والأبناء فقط . ومن التعبيرات المستخدمة أيضا الاسرة المكتملة Completed Family التى أنجبت فيها الأم كل أطفالها ولم تعد قادرة على مزيد من الإنجاب أما الأسرة المفتوحة فمازالت الأم فيها فى سن الإنجاب ويمكن لها أن تلد أطفالا آخرين .

ولحجم الأسرة كثير من الدلالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وعادة ما تكون المجتمعات التى تعمل بالحرف الأولية كالزراعة والصيد مكونة من أسر ذات أحجام كبيرة ويصدق ذلك خاصة على مجتمعات الزراعة الثيفة التى يكون لليد العاملة فيها أهمية فى الزراعة والإنتاج ، بينما قد تكون الأسرة فى المجتمعات المتطورة التى تشكل الصناعة ركيزة أساسية بها ويعيش جزء كبير من سكانها فى المدن من نوع الأسر ذات الأحجام الصغيرة وفى التعداد العام للسكان

فى مصر عام ١٩٨٦ كان متوسط حجم الأسرة فى مصر عموما ٤,٩ فردا ولكنها قد تنخفض إلى ٤.٤ فردا فى محافظة القاهرة أو ترتفع إلى ٥,٥ فردا فى محافظات كفر الشيخ والبحيرة وإلى ٦.٣ فرد فى محافظة الوادى الجديد (١) .

٥ - الحالة الاجتماعية

ويقصد بها بيانات السكان من حيث الزواج أو الطلاق ، وأحيانا يشار إليها على أنها الحالة الزواجية Nuptiality or Marital Status وفيها يقسم السكان إلى الفئات التالية :

- المتزوجون
- المطلقون
- العزاب
- الأرامل

ومن الطبيعى أن يقتصر هذا التقسيم على السكان فى سن الزواج أى السكان فوق ١٥ أو ٢٠ عاما حسب سن الزواج فى المجتمع محل الدراسة (سن الزواج القانونى فى مصر ١٦ عاما للإناث و١٨ عاما للذكور) .

وثمة كثير من المقاييس التى تمكن من تصور المجتمع ومن هذه المقاييس معدلات الزواج الخام ومعدلات الطلاق الخام ، وهى مؤشرات تدل على كثير من القيم السائدة فى المجتمعات ، وتحسب هذه المعدلات كما يلى :

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء ، الكتاب الاحصائى السنوى ١٩٥٢ - ١٩٨٨ - القاهرة يونية ١٩٨٩ ، ص ص ٢٤ - ٢٥ .

$$\text{معدل الزواج الخام} = \frac{\text{عدد حالات الزواج خلال سنة ما}}{\text{عدد السكان فى منتصف السنة نفسها}} \times ١٠٠٠$$

$$\text{معدل الطلاق الخام} = \frac{\text{عدد حالات الطلاق فى سنة ما}}{\text{عدد السكان فى منتصف العام}} \times ١٠٠٠$$

ويلاحظ ان هذه المعدلات يمكن تعديلها اذا حسبت المعدلات المصححة وهى التى نأخذ فيها بالاعتبار عدد السكان فى سن الزواج فعلا وننسب إليها معدلات الزواج أو أن ننسب معدلات الطلاق بحساب عدد السكان المتزوجين فعلا .

وطبقا للتعداد العام للسكان فى مصر عام ١٩٨٦ كانت بيانات الحالة الزواجية كما يلى :

لم يتزوج ابدا	٣٢,١ ٪ ذكور	و٢٠ ٪ إناث
متزوج	٦٤,٨ ٪ ذكور	و٦٤,٨ اناث
عقد قران	١,١ ٪ ذكور	و ١,٢ ٪ اناث
مطلق / ارمل	٢,٠ ٪ ذكور	١٤ ٪ إناث

أما معدل الزواج الخام فى مصر عام ١٩٨٦ فقد بلغ ٩,١ كما بلغ معدل الطلاق الخام ١,٧ فى الألف ، أما معدل الزواج المصحح فيصل إلى ١٦ فى الألف .

هذا وتختلف المجتمعات فى بعض الجوانب المتعلقة بالزواج من حيث التعدد فمعظم المجتمعات يكون فيها الزواج مقصورا على زوجة واحدة للرجل Monogamy ولكن يوجد تعدد للزوجات Polygyny فى بعض المجتمعات ، كما يوجد تعدد للأزواج Polyandry فى قلة من المجتمعات التى تجمع فيها المرأة بين أكثر من

زوج ، وفي كثير من المجتمعات يزيد عدد الأرامل من النساء عن المترملين من الرجال نظرا لارتفاع امد الحياة لدى الإناث عنه لدى الذكور .

٦ - التركيب الاقتصادى للسكان

توجد كثير من المصطلحات المستخدمة في وصف التركيب الاقتصادى للسكان ومن هذه المصطلحات « القوى العاملة » Labour Force ومنها القوى البشرية Manpower ومنها أيضا « السكان المتكسبون » و « السكان العاملون » وفى أحيان أخرى « السكان ذوى النشاط الاقتصادى » وهم يعرفون بصفة عامة بأنهم الأفراد الذين يشتركون فى تقديم العمـــل لإنتاج السلع الاقتصادية والخدمات ، ولا يقتصر ذلك على السكان الذين يعملون فعلا وقت إجراء جمع البيانات ولكنه يضم أيضا السـكان المتعطلين الذين هم قادرون على العمـــل ويبحثون عنه (١) .

وحسب التعريف السابق فإن القوة البشرية تضم السكان الذين يعملون فعلا وأولئك الذين يمكن لهم أن يعملوا إذا وجدت فرصة لذلك ، وأما الأطفال والشيوخ المسنون غير القادرين على العمل أو الراغبين فيه فيعرفون بخارج القوة البشرية ، وبذلك فان السكان فى القوة البشرية ينقسمون إلى مجموعتين :

(أ) قوة العمل وهم السكان فى فئات العمر ١٥ - ٦٤ عاما (وفى أحيان اخرى حتى ٥٩ عاما فقط) سواء كانوا يعملون فعلا أو أنهم يرغبون فى العمل ويبحثون عنه ، وتجدر الإشارة إلى أن بعض الدول تاخذ فى بياناتها بحد أقل من العمر قد يكون العاشرة أو السادسة من العمر ولكن منظمـات الامم المتحدة تحظر

---

(١) المركز الديموجرافى لشمال افريقيا بالقاهرة ، والعوامـل الديموجرافية والقوة البشرية ، التقرير الاول ، ترجمة مدحت محمد على جاد ، القاهرة ، ١٩٦٧ . ص ص ٥ - ٦ .

تشغيل الصبية ، أما الاختلاف فى الحد الأعلى فيرتبط بسن التقاعد عن العمل رسميا .

(ب) قوة خارج العمل وهم الذين يدخلون من حيث السن فى القوة البشرية غير أنهم لا يعملون فى مهن منتجة مثل طلاب المدارس والجامعات والمرضى ونزلاء السجون ، أو الذين يعيشون اعتمادا على دخول غير ناتجة من العمل وأحيانا تضم هذه الفئة ربات البيوت .

وثمة تقسيمات للسكان ذوى النشاط الاقتصادى منها :

- الذين يعملون لدى الأسرة بدون أجر أو فى مشروعات خاصة بهم .
- أفراد القوات المسلحة والعاملون فيها من المدنيين .
- الذين يبحثون عن العمل لأول مرة
- الذين يعملون لبعض الوقت .
- الخدم

أما من حيث التصنيفات الدولية التى تبنتها الأمم المتحدة لأوجه الأنشطة الاقتصادية للسكان فهى كما يلى :

١ - الزراعة وأعمال الغابات والصيد والقنص
٢ - التعدين وأعمال المناجم والمحاجر .
٣ - الصناعة
٤ - البناء والتشييد .
٥ - الكهرباء والغاز والمياة والخدمات الصحية .
٦ - التجارة

٧ - النقل والمواصلات والتخزين

٨ - الخدمات

٩ - أى اعمال اخرى غير واردة فى التصنيف السابق

ولكن ثمة تقسيما أبسط وأكثر سهولة وهو الذى يقوم على تقسيم الأنشطة الاقتصادية للسكان إلى الأنشطة الأولية Primary وهى تضم ما يستثمر فيه الإنسان الموارد الطبيعية مباشرة كالزراعة وأعمال الغابات والصيد والقنص والمجموعة الثانية هى الأنشطة الثانوية Secondary وتشغل التعدين وأعمال المحاجر والصناعة وإنتاج الغاز والكهرباء والبناء وأما المجموعة الثالثة من الأنشطة الاقتصادية فهى الأنشطة الثلاثية Tertiary وهى تشمل أعمال التجارة والنقل والمواصلات والخدمات بأنواعها المختلفة .

والواقع أن أى تصنيف لوظائف السكان أو انشطتهم الاقتصادية لا يخلو من مشكلات ، وذلك نظرا لأن بعض الأنشطة تدخل تحت فئة واحدة رغم تباينها فمثلا تضم الخدمات كلا من الخدمات العامة التى تشمل كبار العاملين فى أجهزة الدولة الإدارية والخدمية والبنوك ولكنها قد تضم أيضا الخدمات الشخصية مثل خدم المنازل برغم الفارق الكبير فى المستوى والأداء والناتج ، كما أن الزراعة تضم الزراعة الراقية المتقدمة والزراعة البدائية ، وكذلك الصناعة تضم كبار رجال الصناعة من فئة المديرين أو ما يطلق عليهم أحيانا ذوى الياقات البيضاء White Collars وإلى جانبهم العمال أو ذوى الياقات الزرقاء Blue Collars وللمقارنة بين بعض الدول فى تركيب القوى العاملة انظر الجدول ،

جدول تركيب القوى العاملة لبعض دول العالم

الدولة	النسبة المئوية للسكان في قوة العمل (١٥ - ٦٤) عاما	النسب المئوية للعاملين في أنشطة: الزراعة	الصناعة	الخدمات
الهند	٥٧	٧١	١٣	١٦
الصين	٦٣	٦٩	١٩	١٢
مصر	٥٧	٥٠	٣٠	٢٠
المغرب	٥١	٥٢	٢١	٢٧
جنوب افريقيا	٥٥	٣٠	٢٩	٤١
المملكة المتحدة	٦٤	٢	٤٢	٥٦
فرنسا	٦٤	٨	٣٩	٥٣
الولايات المتحدة	٦٦	٢	٣٢	٦٦
اليابان	٦٨	١٢	٣٩	٤٩

مصدر الجدول : البنك الدولى تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٨٤ الترجمة العربية ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

ويمكن من الجدول الخروج بكثير من المقارنات بين هذه الدول التى تنتمى إلى مجموعات مختلفة من الدول النامية والمتقدمة والتي يظهر فيها بوضوح التباين بين نسبة قوة العمل إلى جملة السكان من ناحية ودور كل من الصناعة والزراعة والخدمات فى قوة العمل من ناحية ثانية .

٧ - صور اخرى من تركيب السكان

(أ) التركيب الدينى للسكان

وهو يقوم على تحديد أعداد ونسب أتباع كل ديانة من الديانات التى يتبعها السكان فى قطر ما أو فى إقليم ما ، ويكون لهذا التركيب أثره الهام أحيانا فى

تفسير بعض المشكلات التى تتعرض لها بعض المجتمعات التى تتعدد فيها الديانات مثل الهند فى آسيا أو نيجريا فى افريقيا وأحيانا لا يكون للدين فقط أثره بل قد يكون للمذهب الدينى أثره كما هو الحال فى لبنان حيث يكون للمذاهب الدينية فى كل من المسيحية أو الإسلام أثرهما فى فهم بعض المشكلات ، وكذلك الحال بالنسبة لأيرلندا الشمالية حيث توجد مشكلات بين كل من البروتستانت والكاثوليك ، وللتركيب الدينى أثره فى المشكلات التى ظهرت بعد تفكك الاتحاد السوفيتى السابق أو يوغوسلافيا .

أما فى الأقطار التى يميزها التجانس الدينى ، أو يسودها التسامح فإن أثر الدين فى المشكلات قد يكون محدودا ومن ثمة لا يكون هناك داع لدراسة التركيب الدينى دراسة مفصلة .

(ب) التركيب العرقى (السلالى) للسكان

وهو يقوم على أساس تصنيف السكان إلى السلالات الرئيسية ، ورغم أن وجود سلالات بشرية نقية لم تختلط بغيرها أمر نادر الحدوث فى العالم المعاصر ، إلا أن بعض المشكلات العرقية قد تفسر التطور التاريخى للمجتمعات البشرية ، كما تفسر بعض مشكلات الصراع القائم على اللون والسلالة كما كان عليه الأمر فى الولايات المتحدة قبل الغاء الرق أو فى جنوب افريقية حيث كان نظام التفرقة العنصرية أو الأبارتهايد Apartheid سببا فى كثير جدا من المشكلات ، حتى انتهى الأمر بتولى الأغلبية الإفريقية للحكم بعد مفاوضات شاقة مع البيض .

كما أن الصهيونية تحاول أن تصور اليهود كسلالة رغم أن ذلك ليس صحيحا حيث يوجد بينهم يهود الخزر من المغول واليهود السود (الفلاشا) فى اليمن وأثيوبيا واليهود الهنود الذين يطلقون على أنفسهم لقب بنى إسرائيل ، وإلى جانب ذلك كله يوجد اليهود الغربيون من القوقازيين ومع ذلك كله تستخدم

إسرائيل مصطلح العداء للسامية كما لو أنهم هم وحدهم الذين يتكلمون لغة سامية مع أن العربية لغة سامية أيضا مثل اللغة العبرية التى كانت ميتة قبل قيام إسرائيل وتفرق اسرائيل فى المعاملة بين السكان العرب واليهود الذين يعيشون فيها على أساس دينى .

ويرتبط بالسلالة أحيانا التركيب اللغوى للسكان ففى بعض المجتمعات توجد لغة واحدة كوسيلة للتفاهم ، وفى مجتمعات أخرى قد تتعدد اللغات بدرجة تحدث كثيرا من المشكلات ، ففى كل من الهند ونيجيريا توجد عدة مئات من اللغات مما أدى إلى أن أصبحت اللغة الانجليزية هى وسيلة التفاهم بين أبناء البلدين ، كما أن وجود اقلية تتحدث الفرنسية فى اقليم كويبك فى كندا له أثره فى بعض المشكلات السياسية التى تهدد وحدة كندا أحيانا .

(ب) المواطنة أو الرعوية Nationality

ويعرف ذلك أحيانا بالجنسية ، ويكون لذلك التركيب أهميته فى التمييز بين المجتمعات ، فبعض المجتمعات مفتوحة للهجرة الخارجية وتشجع عليها ، ومن ثمة تكون هذه المجتمعات من التى تتعدد بها الجنسيات وتوصف بأنها مجتمعات عالمية Cosmopolitian وهو ما نجده فى الأقطار التى تحتاج إلى سكان لتعميرها كالولايات المتحدة فى فترة الهجرات الكبرى اليها ، وكذلك الحال فى كثير من الموانى التى تضم جنسيات متعددة .

وفى بعض المجتمعات قد تتعدد الجنسيات الوافدة بحيث يصبح المواطنون اقلية فيها مثل مجتمعات إمارات الخليج العربى وهى قطر والإمارات العربية المتحدة والكويت ، حيث يشكل الوافدون أكثر من ٥٠ ٪ من جملة سكان تلك الاقطار ، حيث تصل النسب فى عام ١٩٨٠ إلى ٥٨,٦ ٪ من سكان الكويت و ٦٤,٧ ٪ من سكان قطر و ٧٥ ٪ من سكان الإمارات ، ويشكل المهاجرون

الآسيويون من كل الهند وباكستان وبنجلاديش نسبة كبيرة من أولئك الوافدين إلى تلك الاقطار العربية التى أصبح العرب يشكلون فى بعضها اقلية .

(د) الحالة التعليمية

وفيه يدرس السكان على أساس موقفهم من التعليم ، ويقسمون أولا إلى متعلمين وأميين ، ثم يقسم المتعلمون طبقا لدرجة ، أو مستوى التعليم فنفرق بين من يعرفون القراءة والكتابة فقط وأولئك الذين تلقوا تعليما ابتدائيا أو ثانويا أو جامعيا أو ما فوق ذلك .

وتمكن دراسة التركيب التعليمى من الوقوف على مستوى الدولة محل الدراسة من حيث تعليم السكان وما يتوفر لديهم من خبرات ومهارات ، كما يمكن التوصل إلى المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بالتعليم والإفادة من ذلك كله فى التخطيط للتعليم أو لجوانب أخرى فى المجتمع بهدف التنمية والتخطيط القومى أو الشامل ، كما يمكن ربط المستوى التعليمى بعدد آخر من المتغيرات مثل الدخل وحجم الأسرة والخصوبة والقوى العاملة والزواج والهجرة وغير ذلك من المتغيرات الاقتصادية الاجتماعية .

الفصل الخامس

العناصر الجغرافية للدولة

يوجد فى عالمنا المعاصر أكثر من ١٨٠ دولة ، لكن هذه الدول تختلف فى درجة قوتها السياسية والعسكرية والاقتصادية ، كما تختلف أوزان هذه الدول من حيث الموارد والمساحة وعدد السكان ،ومع ذلك فإن هذه الدول متساوية ، كلها من حيث مشروعية الوجود أمام القانون الدولى ، وهى متساوية من حيث الحقوق والمسئوليات برغم اختلاف مراتبها من حيث القوة .

مقومات الدولة:

شهدت عصور التاريخ المختلفة قيام كثير من الدول وانهيار دول أخرى أو تمزقها وسقوطها ، فإذا كانت القوى الدولية ، أو القوى الكبرى أو الدول التى يتعدى تاثيرها مجال حدودها الوطنية ، قد ظلت قليلة العدد بالقياس إلى جملة أعداد الدول فى كل العصر ، فإن الدول الصغيرة والمتوسطة تلك التى تعيش داخل حدودها ، ولا تشترك فى صياغة الأحداث الدولية ، هى التى تشكل العدد الأكبر، ومع ذلك فإنه يمكن القول بوجود عدد من المراتب بين الدول فثمة القوى الكبرى التى يكون لسياستها أثر ونفوذ فى السياسة الدولية ، والدول التى تعتبر قوى عالمية إقليمية تمارس دورا سياسيا فى قارة أو فى اقليم كبير دون أن تصل إلى مرتبة القوة الكبرى والدول الصغيرة هى التى تقنع بتطوير الحياة داخل حدودها الوطنية هذا إلى جانب المستعمرات وهى دول لم تكن لها السيادة على أراضيها ، وعاشت شعوبها مستضعفة خاضعة للقوة المستعمرة حتى قامت بها حركات استقلالية أدت إلى تحررها السياسى من نفوذ الامبريالية ، وإن كان الاستقلال

الاقتصادى أصعب تحققا من الاستقلال السياسى لتلك الدول نظرا لطول ارتباطها باقتصاديات الاستعمار .

وعلى الرغم من الحروب الكثيرة التى عرفتها البشرية ، لأسباب عديدة ، فإن القاعدة فى العلاقات الدولية كانت هى الرغبة الدائمة فى الحياة فى سلام ، وحسن الجوار والتعايش ، ولكن ذلك لم يمنع الدول فى كل عصر ، من التزود بأسباب القوة التى تحمى استقلالها وترد أى اعتداء على أراضيها ، وفى هذا المجال تتباين إمكانات الدول ، نظرا للاختلاف الكبير فى الخصائص الجغرافية ، ونصيب كل منها من عناصر القوة ، سواء كانت هذه العناصر متعلقة بالموارد الطبيعية ، وخصائص الموقع أو مرتبطة بمدى استخدام هذه الموارد واستثمارها ويدخل فى ذلك العوامل البشرية من سكان وتقدم اقتصادى وتطور علمى نتيجة لاختلاف المراحل الحضارية والتكنولوجية التى تمر بها المجتمعات فى مختلف العصور وهذا التباين فى العناصر والمقومات هو الذى يؤدى إلى تفاوت الدور الذى تقوم به الدول محليا وإقليميا وعالميا .

ويمكن أن نلخص مجموعة العوامل الأساسية التى تؤثر فى أقدار الدول من حيث القوة فى كل من عوامل المكان التى تشمل الموقع والحجم والشكل ويدخل فى ذلك المناخ والطبيعة الجغرافية وعوامل السكان فيما يتعلق بالعدد الكلى والتركيب السكانى بأبعاده المختلفة من حيث النوع والمهارات العلمية والفنية ومن حيث السلالة والدين واللغة ، وعامل الموارد الاقتصادية المتاحة من زراعية وتعدينية بالإضافة إلى كل من النشاط التجارى والصناعة ثم عامل التركيب الاجتماعى والتنظيم السياسى لسكان الدولة .

ومن العوامل الهامة فى تحليل مقومات القوة فى الدولة ما يتصل بالحدود السياسية طبيعتها ومشكلاتها وما إذا كانت علاقات الجوار بين الدولة وغيرها

طيبة أو سيئة . ويمكن فهم كثير من جوانب قوة الدول على ضوء إنجازات سكانها وتنظيمهم ، فى موقع معين من مكان معين ، والمكان هو عنصر التكامل فى الجغرافيا تماما مثل عنصر الزمن فى التاريخ .

ويظهر من الدراسات الاقتصادية للأمم القوية ميزة وأهمية العلاقات المكانية ودراسة الدول الكبرى سواء ما كان قائما منها فى الماضى أم ما كان معاصرا يظهر أن كثيرا منها تتبوأ مركزا قياديا مسيطرا يرجع فى جزء كبير منه إلى الموقع الممتاز والحجم والشكل المناسبين والموارد الاقتصادية الوفيرة والنشاط البشرى المتقدم والانسجام بين عناصر السكان .

والواقع أنه يصعب تماما معالجة أحد عناصر القوة فى الدولة بمعزل عن العوامل الأخرى لأن العوامل كلها متشابكة ومتفاعلية ولا نستطيع أن نعزل أحدها تحت ناقوس زجاجى لأن ارتباطات العوامل ببعضها هى التى تؤدى إلى قوة الدول واختلاف أقدارها ولا يمكن لعامل واحد منها مهما بلغت حصة الدولة ونصيبها منه أن يؤدى إلى القوة ولكن تضافر هذه العوامل مجتمعة هو الذى يؤدى إلى وجود القوة العالمية .

أولا : عوامل المكان :

١ - الموقع Location :

لعل أول سؤال يتبادر إلى الذهن لدى ذكر مكان ما هو أين يقع ؟ والواقع أن الإجابة على مثل ذلك السؤال لا تكون واحدة فى جميع الأحوال وذلك لأن لكل مكان أكثر من موقع وتعدد المواقع يأتى نتيجة لوجود أكثر من نوع من الموقع فهناك الموقع الفلكى والموقع البحرى أو القارى ثم الموقع النسبى ، ولكل مكان فى العالم هذه المواقع مجتمعة .

(أ) **الموقع الفلكى** : وهو الذى يحدد موقع الدولة بالنسبة لكروية الأرض ،

أي موقعها بالنسبة لكل من خط الطول الرئيسى (جرينتش) وخط العرض الرئيسى (خط الاستواء) ، وإذا كانت خطوط الطول أقل أهمية من خطوط العرض فيما يتعلق بثروة الأمم من حيث الزراعة ، وذلك لأن امتداد الرقعة المكانية لاية دولة على عدد كبير من دوائر أو خطوط العرض يعنى تعددا فى الأقاليم المناخية ويؤثر ذلك بدوره على غنى الحياة الطبيعية (الغابات) والحياة الزراعية أيضا إلا أن خطوط الطول اكثر أهمية من مجرد اختلاف التوقيت بين كل خط وآخر بأربعة دقائق وذلك لأن تعدد خطوط الطول فى الدولة يعنى بصورة أخرى امتداداً مكانيا أكبر ، وقد يحمل ذلك فى حد ذاته غنى فى بعض مصادر الثروة المعدنية كما أن وجود دولة فى منطقة معتدلة المناخ وتمتد طوليا على رقعة كبيرة قد يكفل لها إنتاجا زراعيا وفيرا أيضا ، وإذا كانت مراكز القوة الدولية فى عالم اليوم ترتبط بالمنطقة المعتدلة الباردة وإلى حد ما بالمنطقة المعتدلة الدفيئة ، فإن مراكز القوة فى العالم كانت فى الماضى أكثر ارتباطا بالمناخات الدفيئة والمدارية ، ولعل ارتباط حضارات العالم القديم بأودية الأنهار فى كل من مصر والعراق والهند والصين يبين لنا أن الانسان كان فى حاجة إلى بيئة توفر له كلا من الحماية الطبيعية التى تقترن بالعزلة النسبية ، والمناخ الذى يكفل قدرا أكبر من الدفء ، وذلك لأن حيلة الانسان لم تكن قد تقدمت بعد ، ولم يكن قد تقدم فى مجال التكنولوجيا بما يكفل له التحرر النسبى من المناخ ، وقد وفرت له البيئات السابق ذكرها فى مصر والعراق والسند والصين مناخا طيبا طول العام بالإضافة إلى أن الصحارى قدمت سياجا طبيعيا يحمى الحضارات الوليدة .

وإذا كان التقدم التكنولوجى قد جعل الإنسان يتحرر نسبيا من المناخ ، فإن من سمات المجتمع العالمى أن كلا من المنطقة الاستوائية الحارة والمنطقة القطبية الشديدة البرودة لا توجد فى أى منهما دول قوية ، ولا توجد فيهما مجتمعات متقدمة ويرتبط ذلك فى جزء كبير بصعوبة ظروف العمل لقسوة المناخ ، وتطرفه

إما بالحرارة الشديدة المجهدة أو بالبرودة المعوقة للنشاط والجهد البشرى ، وتشترك كل من المنطقة الاستوائية والمنطقة القطبية فى أن الدول التى تسيطر على الحياة الاقتصادية والمشروعات الصناعية واستغلال الموارد الطبيعية فيهما تعتمد إلى حد كبير على رؤوس أموال وإدارة من العروض الوسطى ، وقد يرتبط ذلك بالاستعمار ، كما أنه قد يرتبط فى حالة المنطقة القطبية بأن الدول التى تسيطر على هذه الأجزاء التى تصعب فيها الحياة تمتد رقعتها حتى العروض الوسطى ، والمناطق التى تطل على المحيط المتجمد الشمالى فى كل من أوراسيا وأمريكا الشمالية تقتسمها دول لها جهة على هذا المحيط ولكنها تمتد إلى الجنوب حتى المناطق المعتدلة .

وعادة ما يعبر عن الموقع الفلكى بذكر خطوط ودوائر العرض التى تحد أقصى امتداد مكانى للدولة فى الاتجاهات الأربعة وبذلك فإن موقع مصر الفلكى يتحدد بأنها تقع بين خطى طول ٢٥° و ٣٦° شرقا وخطى عرض ٢٢° و ٣٠َ ٣١° شمالا ، وإيران تقع بين خطى طول ٤٤° و ٦٣° شرقا وخطى عرض ٢٥° و ٤٠° شمالا ، ولكن فى أحيان أخرى يكتفى بذكر خط الطول وخط العرض لمركز الدولة الجغرافى ، وبذلك يصبح المركز الجغرافى لمصر هو خط طول ٣٠° شرقا وخط عرض ٢٧° شمالا وإن لم تكن هناك قيمة لهذا المركز الجغرافى فهو يقع فى منطقة صحراوية غير ماهولة بالسكان بعيدا عن المعمور المصرى ، وبالنسبة لإيران يصبح مركزها الجغرافى خط طول ٥٣° شرقا وخط عرض ٣٣° شمالا ، أما فى حالة الدويلات الصغيرة مثل الفاتيكان فإن موقعها يحدد بأرقام مفردة هى ٥٣َ ٤١° شمالا ، ٢٨َ ١٢° شرقا .

(ب) الموقع بالنسبة للبحار أو القارات : وهو يتعلق بقارية الدول أو بحريتها والدول البحرية هى التى يوجد لها اتصال مباشر بالبحر ، أما الدول القارية فهى التى لا توجد لها منافذ تؤدى إلى البحر ، وفى معظم فترات التاريخ كانت القوى

الكبرى بحرية بدرجة أو أخرى منذ أن أستغل الانسان قوة الرياح فى دفع الشراع حتى أصبحت السفن تستخدم الوقود الذرى فى حركتها على البحار والمحيطات ، ومن بين قوى العالم المعاصر الكبرى فإن روسيا - تمثل قوة برية أكثر منها قوة بحرية ، وإن كانت السنوات الاخيرة قد شهدت نموا كبيرا فى البحرية الروسية ، وربما يرجع عدم إطلاق صفة « دولة بحرية » على الاتحاد السوفيتى السابق إلى انه على الرغم من أنه يطل بسواحل طويلة أكثر من معظم اقطار العالم فإن السواحل والبحار التى يطل عليها تتجمد فى فترة طويلة من السنة وقد حاول الاتحاد السوفيتى السابق كما حاولت روسيا من قبل كثيرا - الوصول إلى البحار الدافئة ليتحرر من القارية التى يعاني منها .

وتختلف درجة القارية أو البحرية من دولة إلى أخرى ، فإن الدول التى الجزر تتكون من مجموعة من الجزر دول بحرية من الدرجة الأولى لأن البحار تحيط بها ، ويكون ذلك عنصرا رئيسيا من عناصر اهتمامها بالبحر وقد تشترك معها فى هذه الميزة بعض الدول التى تتكون من أشباه جزر ومن القسم الأول كل من بريطانيا واليابان حيث تتكون كل منهما من عدة جزر وتهتمان بالأساطيل التجارية والحربية كما أن كلا منهما تقع على محيط واسع تطل عليه كثير من الدول الهـامة ، وإن كانت أهمية المحيط الأطلنطى تفوق الآن أى مسطـح مائى آخر وذلك لان ٨٠ ٪ من تجارة العالم التى تنقل على الماء تتم على مياه هذا المحيط ، أما المحيط الهادى فعلى الرغم من أنه أكبر المسطحات المائية فى العالم فإنه لا ينتقل عليه سوى ١٠ ٪ من التجارة العالمية التى تستخدم السفن فى نقلها ، ولكن قد يتغير ذلك فى يوم ما إذا ازدادت أهمية الدول التى تقع على المحيط الهادى عما هى عليه الآن ، وإذا قدر لها ان تشارك بقدر أكبر فى السياسة والتجارة العالمية ، وهو أمر قد يحدث فى القرن المقبل .

وأما الدول التى تتكون من أشباه جزر فمن أمثلتها اليونان وإيطاليا وقد

لعبتا دورا هاما فى فترات سابقة من التاريخ - كقوى عالمية - وكل من الدول المكونة من جزر وأشباه جزر تكون عادة أكثر حظا من الدول التى تطل على بحر واحد أو على بحرين خاصة إذا كانت تطل على بحار دفيئة . ومن الأمور الهامة أن الحدود البحرية تكون عادة حدودا من الدرجة الأولى نظرا لعدم وجود جيران يمكن أن يحتكوا احتكاكا مباشرا ، وحتى النزاع على المياة الإقليمية فى البحر يكون أقل حدة من النزاع على المناطق البرية فى حالة الحدود المشتركة ، ولا شك فى أن من الأمور الهامة أيضا فيما يتعلق بالدول التى تطل على البحار ، أن البحر يمثل مصدر ثروة كبيرة من حيث استغلال الموارد المائية من أسماك وأملاح ومواد كيمائية مختلفة ، وبعض الدول البحرية تشكل هذه المصادر الطبيعية أكبر قدر من دخلها القومى .

والدول البرية هى الدول التى تقع كلها فى مناطق قارية دون أن تكون لها سواحل أو أن تطل على بحار وتسمى فى هذه الحالة دولا داخلية ومن امثلتها كل من دولتى التشيك والسلوفاك وسويسرا فى أوربا وكل من جمهورية مالى وبركينافاسو فى إفريقيا وبوليفيا فى أمريكا الجنوبية وأفغانستان فى آسيا ، وهذه الدول تضطر إلى أن تمر تجارتها عبر دول أخرى مجاورة ويوجد ذلك كثيرا من المشكلات أحيانا ، كما أن أمثال تلك الدول الداخلية كثيرا ما تعانى من قلة فرص التطور الاقتصادى وهى مضطرة إلى مسايسة جيرانها أو الاحتفاظ بقوة عسكرية كبيرة تحرس حدودها من كل ناحية .

والدول المكونة من أشباه جزر أو من مناطق قارية كبيرة داخلية تكون لها حدود مشتركة مع غيرها من الدول وكثيرا ما تكون الحدود البرية مناطق للنزاع وإن كانت الحدود الطويلة لا تعنى مشكلات دائمة فى كل الأحوال فالحدود بين كل من كندا والولايات المتحدة من أطول الحدود البرية ، ومع ذلك فهى أكثر الحدود استقرارا ، ولا تكاد توجد حراسة على أى جانب من جانبى الحد السياسى ، ولكن ذلك المثال لا يتكرر كثيرا .

وتوجد أكثر من وسيلة لقياس مدى قارية الدولة أو بحريتها فمن هذه الوسائل إيجاد نسبة بين طول الحدود السياسية البرية والحدود البحرية ، وإن كانت هذه الوسيلة لا تأخذ فى حسابها طبيعة الحدود فحدود روسيا مثلا طولها أكثر من ٦٠,٠٠٠ كيلو متر وتؤلف الحدود البحرية أكثر من ٦٥ ٪ من طول هذه الحدود ومع ذلك فإن قيمة تلك الحدود البحرية محدودة ، بينما كل من النرويج واليونان يظهران نمطا آخر يتمثل فى الاتجاه البحرى ، فبالنسبة للنرويج كان الساحل والبحر أكثر اجتذابا للنشاط البشرى من الجبال التى تمثل الظهير البحرى ، وأما فى اليونان فقد لعبت البيئة الجبلية الطاردة دورا حاسما فى التوجيه البحرى منذ العصور الكلاسيكية التى كونت فيها دويلات مدن بحرية بالدرجة الأولى ، وعلى العكس من ذلك نجد أن دولة مثل فرنسا ليست دولة بحرية بنفس الدرجة التى تتناسب مع طول سواحلها ووجودها على أكثر من جبهة بحرية (البحر المتوسط والمحيط الاطلنطى) ، ويرجع سبب ذلك إلى أن البيئة القارية فى فرنسا ، كانت معطاءة ولعل ذلك يبين أن درجة الاجتذاب للنشاط القارى كانت أكثر من درجة اجتذاب البحر ، ورغم ذلك فقد نافست فرنسا بريطانيا فى المجال البحرى ،

ومن الوسائل الأخرى لقياس مدى القارية عدد الدول المجاورة فالدول الجزرية ليس لها جيران يشتركون معها فى الحدود إلا إذا كانت إحدى الجزر مقسمة إلى أكثر من دولة ، ومن هذه الدول أندونيسيا وماليزيا والفلبين مثلا بينما يجاور الاتحاد السوفيتى السابق اثنا عشر جارا يشاركونه فى الحدود السياسية (وهى كوريا الشمالية ، الصين الشعبية ، منغوليا ، افغانستان ، إيران ، تركيا فى آسيا ، فنلندا ، النرويج ، بولندا وتشيكوسلوفاكيا السابقة ، رومانيا والمجر فى أوربا ، ومن المفروض أن زيادة عدد الدول المجاورة تعنى - نظريا على الأقل - احتمالات أكبر للمشكلات وقابلية أكثر للاختراق فى حالة الحرب نظرا لتعدد الجبهات ، وفى الحرب العالمية الثانية كان لألمانيا أحد عشر جارا ، وكانت حدودها

السياسية مع هذه الدول غير ثابتة أو مرضية ، وبالإضافة لذلك فقد كان جزء منها وهو بروسيا الشرقية منفصلا عن بقية الكتلة الرئيسية لألمانيا ، وذلك لوجود الممر البولندى .

ويدخل فى أهمية المواقع البحرية المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية التى تمثل أعناق الزجاجات فى المسطحات المائية ، وهى المضايق والقنوات والقواعد والجزر التى تمثل محطات تتوسط المسطحات المائية والبحرية ، ومن أشهر هذه المواقع الاستراتيجية وأكثرها أهمية مداخل البحر المتوسط والطريق البحرى عبر قناة السويس ، وهى جبل طارق ومالطة ، كريت ، قبرص ، قناه السويس ، باب المندب ، ومنطقة المضايق التركية التى تمثل همزة الوصل بين الاتحاد السوفيتى السابق ، والبحر المتوسط وغيره من البحار الدفيئة ، وبالنسبة لجبل طارق فإنه يمثل قاعدة بحرية ذات ميناء عميق ولا يبعد الطرف الجنوبى منها وهو رأس أوربا عن أقرب نقطة من الساحل الإفريقى سوى ٢٥ كيلو مترا ، أما مضيق باب المندب فإنه يمثل عنق الزجاجة الجنوبى لطريق الملاحة بين المحيطين الهندى والأطلنطى ، وأقرب نقطتين فى باب المندب بين القارتين الآسيوية والإفريقية عرضها ٣٢ كيلو مترا ، وهى المسافة بين رأس المنهال على الساحل الآسيوى ورأس سيان على الساحل الإفريقى ، أما البسفور فهو مضيق صغير يربط بين البحر الأسود وبحر مرمرة وطوله ٣٢ كيلو مترا ويتراوح عرضه ما بين ٨٠٠ مترا و ٤,٤ كيلو مترا ، أما الدردنيل فطوله ٦٤ كيلو مترا وعرضه يتراوح بين ١,٢ كيلو مترا و ٦,٤ كيلو مترا وهو يربط بحر مرمرة ببحر إيجه ولو افترضنا أن قوة ما سيطرت على هذه الممرات الحيوية كلها لتحول البحر المتوسط إلى بحيرة مقفلة ، ولعل تتبع كثير من أوجه النشاط البحرى لأساطيل الدول الكبرى فى هذا البحر يبين مدى قيمة الوجود الفعلى فيه ، وخاصة فى فترة الحرب الباردة التى امتدت بعد انتهاء الحرب

العالمية الثانية واستمرت حتى تفكك الاتحاد السوفيتى ، وقد أضاف قيام اسرائيل مشكلات أخرى باعتبارها ركيزة للغرب ضد العالم العربى ، وكثيرا ما هددت سفنها الحربية لبنان على نحو خاص .

ومع أن وجود جبهة بحرية أمر هام جدا لتجارة الدولة وقوتها وفرصة ليكون لديها أسطول تجارى أو حربى إلا أن ذلك لا ينطبق على كل الأحوال ، ففى بعض الدول توجد سواحل قليلة الأهمية وهى ما يسمى بالسواحل الطاردة ، والسواحل الطاردة هى التى لا يوجد لها ظهير غنى يمكنها الاعتماد عليه فى مصادر حياتها ومن الطبيعى أن يكون لكل ميناء ظهير يخدمه ويزوده بالتموين اللازم وبالسلع والمنتجات التى يمكن تصديرها منه فإذا لم يتوفر ذلك ضعفت قيمة الميناء كما أن وجود ساحل فقير من حيث الحياة البشرية والزراعية والمعدنية لا يقل عنه ان يكون الساحل متضرسا تشرف عليه الصحـراء مباشرة أو ترتفع إلى جانبه الجبال المرتفعة ، فمثلا تملك إيران ويوجوسلافيا السابقة سواحل ولكنها طاردة فقيرة للغاية ويطل الاتحاد السوفيتى السابق فى شماله على محيط ولكنه متجمد كما أن حالة البحر تحدد صلاحية قيام الموانى التى تعتبر وسيط نقل التجارة من الداخل أو إليه ، ونجد أمثلة فى غرب افريقية حيث الساحل طارد لا تتوفر فيه الأماكن الصالحة لرسو السفن وإقامة الموانى ، ولهذا فإن معظم الموانى الهامة التى توجد على هذا الساحل موانى صناعية تحتاج إلى حواجز للأمواج وتطهير دائم حتى تحتفظ بأعماق صالحة لاستقبال السفن ذات الغاطس الكبير ، وهذا على العكس تماما من بعض المناطق الغنية بموانيها الطبيعية مثل القارة الأوربية عموما ، التى تمتاز بأكبر نسبة من السواحل بالقياس إلي مساحتها ، وذلك لطول سواحلها تبعا لتعدد البحار الداخلية وأشباه الجزر بها ، بل إنها تعتبر كلها شبه جزيرة للقـارة الآسيوية .

ولبعض الدول سواحل قصيرة للغاية إذا قورنت بمساحتها أو طول حدودها ، فطول الجبهة البحرية للأردن ٣٢ كيلو مترا على حين يسغ طول الحدود الأردنية ٢٢٠٠ كيلو مترا أي أنه يوجد كيلو متر من الساحل فى مقابل كل ٦٩ كيلو مترا من الحدود البرية ، فإذا كانت مساحة الأردن ٩٧,٧٤٠ كيلو مترا مربعا ، وتبلغ مساحة المعمر الأردنى ٢٢,٠٠٠ كيلو مترا مربعا (الباقى تشغله الصحارى والسبخات والمستنقعات فى غور الاردن) ، فإن كل كيلو متر من الحدود البحرية يقابل ٢٠٥٣ كيلو مترا مربعا من المساحة الكلية أو ٦٨٨ كيلو مترا مربعا من مساحة المعمور الأردنى .

وليست العراق بأفضل حالا من الأردن فإن طول سواحلها لا يزيد عن بضع عشرات من الكيلو مترات ، مع أن مساحتها تقترب من نصف مليون كيلو متر مربع ، ولكن هذه المساحة الكبيرة ليس لها سوى عنق زجاجة ضيق تتصرف منه تجارة العراق البحرية ، وبعض أسباب التوتر بين العراق والكويت ترجع إلى الرغبة فى توسعة الجبهة البحرية للعراق مما أدى إلى غزوها للكويت فى أغسطس عام ١٩٩٠ واحتلال أرضها حتى ٢٦ فبراير ١٩٩١ .

ولعل حالة العراق تشبه كثيرا حالة زائير فى إفريقية ، وإن كانت ثمة بعض الفروق وزائير هى ثالثة الأقطار الإفريقية من حيث المساحة بعد السودان والجزائر حيث تصل مساحتها إلى ما يقرب من ٢,٤ مليون كيلو متر مربع ، ولكن طول الساحل لا يتعدى ٣٥ كيلو مترا ، وفى عام ١٩٢٧ حدث تبادل أرضى بين زائير (الكونجو البلجيكى فى ذلك الوقت) وأنجولا (التى كانت مستعمرة برتغالية فى ذلك الوقت) وبمقتضى هذا التبادل تنازلت الكونجو عن مساحة ٣٥٠٠ كيلو متر مربع إلى إنجولا فى مقابل ثلاثة كيلو مترات مربعة فقط تمل ظهير مدينة متادى ، وأدى ذلك إلى توسعة الظهير فى منطقة الميناء والسكك الحديدية ، ومن الطريف أن معظم إنتاج أنجولا من الماس ، وهو يحتل المرتبة الثانية فى صادرات انجولا ، ينتج من الأرض التى تنازلت عنها « الكونجو » .

وأراضى زائير تمتد على الضفة اليسرى من المصب الخليجى لنهر الكونجو أسفل متادى ، أما فى شمال المصب (الضفة اليمنى) فهى أراضى كابندا ، وهى تابعة لأنجولا وإن كان ممر زائر إلى البحر يفصل كابندا عن بقية أنجولا .

أما الدول كاملة القارية أى الدول الداخلية التى ليست لها سواحل فإنها تكون غالبا تحت رحمة جيرانها من الدول ذات السواحل ، فيما يتعلق بنقل السلع والمتاجر والأشخاص ، وطالما كانت العلاقات بين الدول المتجاورة طيبة ، فإن الأمور تسير دون مشكلات ، ولكن أى توتر قد ينعكس أثره على توقف النقل عبر أراضى الدولة الساحلية إلى الدولة الداخلية ، ومن أمثلة الدول الداخلية فى إفريقيا كل من مالى ، وبركينافاسو ، النيجر ، تشـــاد ، افريقية الوسطى ، أوغندا ، راواندا ، بورندى ، مالاوى ، زامبيا ، زمبابوى ، بوتسوانا ، سوازيلاند ، وليسوتو وفى بعض الأحيان تتوتر العلاقات بين أوغندا وكينيا أو بين تنزانيا وزامبيا فيكون لذلك أثره على تجارة الدول الدخلية ووصول الإمدادات من التموين والوقود اليها .

أما فى أوربا فإن من الدول الداخلية بها لكسمبورج ، سويسرا ، وجمهورية التشيك وجمهورية سلوفاكيا ، النمسا ، المجر ، وبعض الدويلات الصغيرة مثل أندورا ، وفى بعض الحالات لا يكون الموقع الداخلى بالغ السوء فسويسرا علاقاتها طيبة مع كل جيرانها وهى تتحكم فى عدد من الممرات الجبلية التى تصل بين شمال أوربا وجنوبها وينتقل عبرها الناس والسلع ، ولكـن مثال سويسرا لا يتكـرر كثيرا .

أما فى القارة الآسيوية فإن من الدول الداخلية بها أفغانستان والجمهوريات الإسلامية الروسية ومنغوليا ونيبال وبوتان ولاوس وفى العالم الجديد توجد دولتان داخليتان فى أمريكا الجنوبية وهما باراجواى وبوليفيا ، وتوجد بعض المحاولات من أجل إيجاد مخرج على البحر لبوليفيا إما عبر أراضى شيلى أو بيرو، وكانت شيلى

قد استولت على أراضى من كل من بوليفيا وبيرو فى عام ١٨٨٠ ، ويوجد اقتراح تقدمت به بيرو فى عام ١٩٧٧ تحصل بموجبه بوليفيا على ممر يبلغ اتساعه ٨,٥ ميلا (١٣,٦ كيلو مترا) يبدأ على بعد ٢ ميل إلي الشمال من الخط الحديدى الذى يربط لاباز عاصمة بوليفيا بميناء أريكا على المحيط الهادى ، على أن يتم إنشاء منطقة دولية تشرف عليها كل من شيلى وبوليفيا وتتولى إدارة ميناء أريكا،من الجدير بالذكر أن بوليفيا كانت فى الماضى تتصل بالبحر،إلى أن استولت شيلى على جزء من أراضيها واراضى بوليفيا فى « حرب الباسفيك » التى امتدت بين عامى ١٨٧٩ ، ١٨٨٤، ولم يعد ثمة اتصال بين بوليفيا والبحر إلا من خلال الخط الحديدى الذى يصل العاصمة بميناء أريكا والذى افتتح فى عام ١٩١٣ ، ولا تزال حكومة بوليفيا ترى أن حقها الشرعى يتمثل فى الوصول إلى البحر .

وفى عام ١٩٧٦ اقترحت حكومة شيلى أن تحصل من بوليفيا على قطعة من الأرض البوليفية التى تمتاز بغنى مواردها المعدنية فى مقابل إعادة المنفذ البحرى إلى بوليفيا ، كما ظهر اقتراح آخر بأن تشترى بوليفيا الأراضى التى يمر بها الخط الحديدى من لابازإلى أريكا فى الأجزاء الواقعة فى شيلى حاليا ، وعلى أى حال فإن ثمة كثيرا من الجهود لحل مشكلة بوليفيا الخاصة برغبتها فى العودة إلي منفذ صغير على ساحل المحيط الهادى .

(جـ) **الموقع النسبى** : ويعبر عنه أحيانا بالموقع الفعال أو الموقع بمعناه الصحيح ، وهو يتعلق بوقوع دولة أو مكان بالنسبة لخطوط المواصلات العالمية ومدى أهميته فى الحركة التجارية أو حركة الجيوش المتحاربة ، وعلى سبيل المثال فإن دولة مثل بريطانيا ثابتة فى موقعها الفلكى منذ بدء الحياة وهى لا زالت كذلك أيضا تقع من حيث الموقع بالنسبة لليابس والماء (البحرى والقارى) فى مقابل القارة الأوربية وتطل على كل من بحر الشمال والقنال الانجليزى كما أنها تطل أيضا على المحيط الأطلنطى ، ولكن الموقع النسبى لبريطانيا تغير كثيرا بعد

حركة الكشوف الجغرافية وكشف العالم الجديد عما كان عليه قبل ذلك ، فقبل كشف العالم الجديد كان الموقع النسبى لبريطانيا متطرفا لأنها كانت تقع على هامش العالم المعمور الذى كان يتكون فى ذلك الوقت من كل من قارات آسيا وأوربا وافريقيا وكان المحيط الاطلنطى يسمى « بحر الظلمات » حيث كان محيطا مجهولا لا تجسر السفن على الإبحار فيه ، وكان البحر المتوسط - الذى يتوسط العالم القديم المعروف حينئذ يمثل محور النشاط والحركة وعليه تقوم مراكز الثقل الحضارى والتجارى ولكن بعد حركة الكشف الجغرافى والهجرة العظيمة إلى العالم الجديد وتعمير قاراته بالسكان وتطور فن الملاحة وتحول المحيط الأطلنطى إلى محيط متوسط بين قارة أوربا وأمريكا الشمالية وبعد أن أصبح معظم تجارة العالم البحرية ينقل عبر ذلك المحيط تغير الموقع النسبى لبريطانيا وأصبحت فى مركز متوسط بالنسبة لمراكز القوة ، وفى موقع مسيطر على طريق من أهم طرق التجارة العالمية .

ومن المواقع الهامة جدا من حيث الموقع الفعال - موقع الوطن العربى الذى كان بالغ الأهمية على مر العصور لأهميته فى ظل سيادة البحر المتوسط على النشاط التجارى لأنه يمثل السواحل الشرقية والجنوبية لهذا البحر وقد تمكنت قوى الوطن العربى فى بعض فترات التاريخ من السيطرة على بعض الأجزاء المطلة على السواحل الشمالية لهذا البحر حين قامت الأندلس فى شبه جزيرة أيبيريا وحين سيطرت القوى العربية والإسلامية على جزر شرقى البحر المتوسط وبعض أجزائه البرية فى شرق أوربا ، ثم اضافت قناة السويس أهمية أخرى لموقع الوطن العربى الفعال وذلك لأنها قصرت المسافة كثيرا بين أوربا وجنوب شرق آسيا وجعلت نقل المواد الخام من آسيا والمواد المصنوعة من أوربا أرخص تكلفة من الدوران حول رأس الرجاء الصالح ، كما أضاف تدفق البترول العربى بكميات كبيرة أصبحت تزيد

على ٤٠ ٪ من إنتاج العالم حاليا ، هذا بالاضافة إلى أكثر من نصف الاحتياطى العالمى منه ، وموقع الوطن العربى فى منطقة خطوط الحركة والمواصلات العالمية فى الحرب والسلم ، وكل ذلك أدى إلى تزايد الأهمية النسبية للوطن العربى حتى أن بعض المعارك الحاسمة فى الحرب العالمية الثانية - العلمين - دارت رحاها على الأرض العربية وهذا يبين بصورة واضحة لماذا يتزايد الصراع على الوطن العربى منذ الحملات الصليبية حتى اغتصاب فلسطين وكل من حرب السويس عام ١٩٥٦ وما عرف بحرب الشرق الأوسط فى يونية ١٩٦٧ وبعض الحركات الاستعمارية الاخرى مثل انزال القوات الامريكية فى لبنان عام ١٩٥٨ ومحاربة النظام الجمهورى فى اليمن ، والتدخل الأمريكى فى حرب الخليج وفى ليبيا ، ووجود الأساطيل الأمريكية فى كل من البحر المتوسط والخليج العربى ، كل ذلك يرتبط بأهمية الموقع النسبى للوطن العربى .

ومن الأمور الهامة التى ترتبط بالموقع النسبى ما يرتبط بتقدم المواصلات وفنون الحرب وتغير الاستراتيجية والمثال الذى نضربه لذلك هو الأسكا ، فقد كانت تابعة لروسيا ولكنها كانت قليلة الأهمية من حيث الثروة والموقع وقد دعا ذلك روسيا إلى بيعها فى عام ١٨٦٧ للولايات المتحدة الأمريكية بمبلغ سبعة ملايين دولار تقريبا وربما كان ذلك يعتبر صفقة رابحة فى تلك الأيام حين لم تكن ألاسكا سوى منطقة ذات مناخ شديد البرودة وموارد فقيرة للغاية ، ثم ما لبثت أهميتها أن زدادت لا بسبب اكتشاف الذهب فى وادى نهر يوكون أو البترول فيما بعد ولكن لأسباب استراتيجية تتعلق بالموقع النسبى الذى أصبح مؤثرا نظرا لتقدم وسائل المواصلات وخاصة الطيران ، ولما كانت ألاسكا تقابل السواحل الروسية حيث لا يفصل بينها وبين روسيا سوى مضيق برنج الضيق فقد أصبحت ألاسكا ذات قيمة حربية كبيرة كقاعدة متقدمة للولايات المتحدة ، ولا شك فى أنه لو أن روسيا كانت

تدرى فى تلك الأيام ما يمكن أن يصيب العلاقات المكانية من تغير نتيجة لثورة المواصلات وما كان ما يمكن أن يقوم بينها وبين الولايات المتحدة من تنافس على القوة والسيطرة حتى أن كلا منهما تزعمت أحد المعسكرات الدولية ، لو أن روسيا كانت تدرى ذلك - بمعنى آخر لو أنها أدركت أهمية الموقع النسبى لألسكا لفكرت كثيرا قبل بيعها ، بل لما باعتها ، ولعل ذلك كان يحدث آثارا استراتيجية مختلفة تماما ، وعلى الرغم من تطرف الموقع الفلكى لألسكا فانها تمثل الآن منطقة مخدومة تماما بالمطارات المجهزة بأحدث الوسائل لخدمة الطيران العسكرى بصفة خاصة .

ويدخل فى الموقع النسبى ما يمكن أن نطلق عليه الموقع من وجهة نظر الاستراتيجية الكوكبية ، وهو الموقع الذى يأخذ فى الاعتبار مدى التقدم التكنولوجى فى مجال القوة العسكرية ، وبصفة خاصة فى الأسلحة الاستراتيجية ذات المدى البعيد مثل الصواريخ عابرة القارات والغواصات النووية والطائرات المقاتلة التى تفوق سرعتها سرعة الصوت .

ومن المعروف أن هذه الأنواع من الأسلحة ليست متاحة سوى لعدد قليل من دول العالم فلا زال عدد الدول التى تملك أسلحة نووية يقل عن العشر ، والموقع من وجهة نظر الاستراتيجية الكوكبية يقرب فى بعض ملامحه من النماذج الرياضية التى شاع استخدامها فى فروع الجغرافية المختلفة لأنه يقوم فى جزء منه على الفروض الاحتمالية وبناء هيكل طبقا للمعطيات فى هذه الفروض .

فإذا افترضنا مثلا أن الدول الأوربية يمكنها فقط أن تشن حربا على بعضها البعض ، أولا بواسطة الجيوش البرية ، ثم ثانيا بواسطة الأساطيل البحرية ، وهنا تدخل انجلترا كدولة بحرية وربما تكون أقوى الدول الأوربية بحريا ، ثم ثالثا

باستخدام الأسلحة الصاروخية وهنا تدخل روسيا التى تفوق غيرها من الدول الأوربية فى هذا المجال .

ومن هنا يمكن القول بأن هناك مفهوما جديرا لمدى قرب بعض الدول من بعضها الآخر ، فالدولة الأكثر تقدما أكثر قربا وهى جارة لكل دول العالم دون أن تكون كل دول العالم جيرانا لها .

ويتصل بعامل القرب فكرة أخرى هى المسافة أو قياس الأبعاد ، وحتى وقت قريب كان الإنسان يسكن سطح الأرض ونادرا ما يستخدم بعداً آخر غير المساحة ، لهذا كانت الدول أو الوحدات السياسية ذات بعدين ، وهذا يعنى أن الحدود السياسية ليست سوى خطوط على السطح وكل ما يقع داخل هذه الخطوط يكون بعيدا عنها نحو المركز ، ولكن باختراع وسائل الاتصال السريع أمكن نقل ميادين الحرب إلى حدود جديدة ، فهى تصل من الدولة القوية إلى أى مكان بعيد ، وباختراع الصواريخ أصبحت الوحدات السياسية ليست مجرد مساحات على السطح ولكنها أحجام لها أبعاد ثلاثة ، وكل من الأمريكيين والروس يعيشون الآن فعلا فى عالم له ثلاثة ابعاد ، ولم تعد الحدود مجرد خطوط ولكنها أصبحت مساحات ومناطق ، ولم يعد الداخل هو الذى يبعد عن خط الحدود ، ولكنه أصبح يتعلق أحيانا بالبعد عن سطح الأرض وليس فوق سطح الأرض ، حيث توجد الآن حفر فى باطن الأرض تخزن فيها الأسلحة وكأنها مدن كاملة ، وأصبح السكان الآن يعيشون جميعا على الحدود ، وأصبحت كل أجزاء الدولة الآن معرضة لما كانت حدود الدول معرضة له فى الماضى من حيث تأثير المدفعية .

ولنتصور مدى قرب العالم من نفسه فعلينا أن نتخيل أن الدول تنتظم على شكل خط وفى مثل تلك الحالة فإن هذا العالم « الافتراضى » يمكن أن يطلق عليه

صفة الكوكب الخطى ، وفى تلك الحالة فإن كل دولة سيكون لها اثنان فقط من الجيران ، على فرض عدم وجود محيطات أما على السطح المستوى الذى يأخذ الشكل المساحى فإن الوحدات السياسية تكون أقرب إلى بعضها البعض ، أما فى الواقع الذى يتمثل فى أن الأرض كرة فإن المسافات والوحدات السياسية تكون أقرب إلى بعضها البعض ، فإن أبعد الأقاليم لا يبعد بأكثر من نصف المسافة فيما لو كانت الأرض ذات شكل مسطح ويرتبط فهم ذلك بدرجة أكبر بدراسة المساقط .

ومن الجغرافيين الأمريكيين من يقول تعبيرا عن هذا النمط من المواقع إن الطريقة التى يرسم بها العالم وتقسم فيه القارة الآسيوية ويظهر فيه المحيط الأطلنطى كاملا ، يؤدى إلى عدم فهم كثير من جوانب الهجرات البشرية عبر القارات ، وإن الروس لا يبعدون عن الشواطىء الامريكية ٩٠ ميلا ، ولكنهم حرفيا « فوق » الولايات المتحدة وكذلك الولايات المتحـدة بالنسبة لروسيا فهى « فوق » الاتحاد السوفيتى السابق نظرا لأن كلا منهما يحتل سماء الاخر ، ويمكن تبادل التخريب والتدمير إلى عمق ١٥٠ مترا ليشمل التدمير كل شىء فوق سطح الدولة الأخرى ، ونادرا ما يمكن أن توضح الخرائط ذلك ، ويرتبط هذا المفهوم بما يقال أحيانا عن « الحدود الآمنــة » وهو مصطلح كثيرا ما تردده إسائيل ولكن هل يمكن حقا أن توجد حدود آمنة بالمعنى الدقيق اعتمـــادا على امتداد أرضى أكبر ؟ .

٢ - الحجم : Size

حجم الدولة أو مساحة رقعتها المكانية هو ثانى العوامل المكانية الهامة فى تقدير قوة الدولة ، وعلى الرغم من أنه لا يمكن القول بأنه توجد علاقة مطردة محتمة بين مساحة الدولة من ناحية قوتها وعظمتها من ناحية ثانية ، فإنه مما لا

شك فيه أنه يمكن القول بأنه كلما كان الامتداد المكانى للدولة كبيرا كلما ازدادت فرصتها فى استيعاب عدد أكبر من السكان وفى أن تتنوع بها الموارد الطبيعية وعلى ذلك فإن الاتساع المكانى يعنى فرصة أطيب لدولة مزدهرة سياسيا واقتصاديا ويصدق ذلك بصفة خاصة إذا تساوت الظروف والعوامل الأخرى والحقيقة أن بعض الدول ذات المساحة الصغيرة تلعب فى الشئون الدولية أدواراً أكبر من حجمها ، كما أن دولا أخرى كبيرة المساحة ، إن لم تكن شاسعة المساحة ، تلعب فى تلك الشئون الدولية دورا يقل كثيرا عن حجمها ، وعلى سبيل المثال فإن كلا من السودان والجزائر والبرازيل واستراليا دول كبيرة جدا فى مساحة كل منها ، ولكن هل يمكن أن تقارن وزنها فى السياسة الدولية بدول أصغر منها مثل بريطانيا أو اليابان أو المانيا .

ولقد كانت الدول الهامة والقوى الدولية فى العصور القديمة ذات مساحات صغيرة إلا أنها كانت مزدهرة وتمثل وحدات سياسية واجتماعية واقتصادية فعالة فى عصرها ، ويرتبط ذلك بأن هذه الدول كانت فى فترة مبكرة من تاريخ البشرية حيث كانت للمساحة الصغيرة فى ذلك الوقت ميزتها الكبيرة التى تساعد على تنمية روح الجماعة بدرجة أكبر مما لو كانت المساحة كبيرة ، ومن أمثلة تلك الدول المزدهرة الدولة المصرية القديمة التى قامت على ضفاف نهر النيل وكانت الصحراء تمثل منطقة أمن وحماية طبيعية ساعدت المجتمع فى مصر القديمة على أن يتطور وينتج ثمارا رائعة فى أرقى حضارات العالم القديم وأسبقها ظهورا ، وكانت كل من اسبرطة وأثينا أمثلة لمثل هذه المجتمعات الأولى ، وفى العراق قامت فى سهول دجلة والفرات ثلاثة دول قوية مؤثرة : آشور وبابل وكالديا ، وعلى الرغم من أن العراق الحديثة تشمل أراضيها الآن أراضى هذه الدول الثلاث وتتعداها بحيث تشغل مساحة تزيد على عشرة أضعاف مساحة أى دولة من الدول الثلاث القديمة ،

فقد كانت كل واحدة من الدول القديمة أكثر تأثيرا فى التشئون الدولية - فى العصر الذى وجدت فيه واحد مما لا نجد عليه عراق اليوم ، وبرغم الدعاية التى وصلت إلى حد المبالغة فى قوة العراق ، فإنها تعرضت للهزيمة ولحصار قاس عنيد وتعرض شعبها للعقاب الدولى إثر المحاولة الفاشلة لاحتواء الكويت .

ومع ذلك فإن كل القوى الكبيرة فى عالم اليوم تقوم على مساحات واسعة لأن القوة فى العصر الحديث ترتبط بالمساحة الكبيرة ففى وقت السلام تكفل المساحة الكبيرة قدرا أكبر من تعدد الأقاليم المناخية مما يعنى إمكان تعدد الحاصلات الزراعية كما أن الحجم يعنى بصفة عامة تعددا وتنوعا أكبر فى الفرص أمام السكان من حيث مجالات النشاط الاقتصادى عما يكفله الحجم الصغير ، وفى وقت الحرب يسمح الامتداد الكبير واتساع الرقعة بالدفاع العميق فالصين لم تقهر قط على الرغم من أن بعض أجزائها خضعت للاستعمار اليابانى فترة من الزمن وكذلك روسيا لم تنجح محاولات غزوها وذلك لأن الدفاع فى العمق يمكن أن يمتص جهود الغزاة ، الذين لا يمكن لهم أن يقاوموا السكان إلى ما لا نهاية كما أن إطالة خطوط الإمداد والتموين يتضح بصورة أكبر كلما كانت أرض العدو بعيدة عن المنطقة التى تدور فيها الحرب .

وعلى العكس من كل من الصين وروسيا فإننا نجد مثالا فى كل من بلجيكا وهولندا ، فعلى الرغم من أن الجيش الهولندى دافع عن بلاده دفاعا مجيدا وأبدى بطولة فائقة فى الدفاع عنها ، إلا أن صغر مساحة هولندا لم يسمح لهذا الجيش بأن ينسحب حتى يعيد تنظيم قواته وتجهيزها لإعادة الهجوم واضطر بسبب ذلك إلى التسليم بعد أربعة أيام من الحرب ، وإسرائيل تعرف جيدا أن مساحتها الصغيرة لا يمكن لها أن تكون أرضا للدفاع ، لذلك فإنها تتخذ من هذه الرقعة أرضا للهجوم وتنقل فى سرعة هائلة ميدان الحرب إلى خارج حدودها لأن صغر مساحتها لا يمكنها من التراجع وإلا سقطت فى سرعة كبيرة مثل هولندا تماما .

وعمق المكان أو اتساع المجال لا يشمل اليابسة فقط ، ولكنه يمتد أيضا إلي المساحات المائية والجزر التى تنتشر فيها وتلك الأخيرة تمثل القواعد التى يمكن الانسحاب إليها وقت هجوم الأعداء كما يمكن اتخاذها قواعد للتأهب فى حالة الهجوم وفى الحرب العالمية الثانية كانت لليابان كثير من القواعد البحرية والجزر التى احتلتها فى المحيط الهادى حتى اذا انسحبت من واحدة تركتها إلى الأخرى دون أن يؤثر ذلك على اليابان نفسها ولكن استخدام الولايات المتحدة للقنبلة الذرية اضطر اليابان إلى الدفاع عن الوطن ثم الاستسلام وترك المناطق التى كانت تمثل قواعد فى فرموزا والفلبين وجزر ريوكيو .

ولكن إذا كانت المساحة الكبيرة تمثل عامل قوة فإلى أى حد يمكن للدولة أن تكون كبيرة ؟ وهل لا يوجد حد لضخامة الحجم ؟

يمكن القول بأن الحجم الأنسب أو المثالى هو الذى تستطيع قوات الدولة حمايته والدفاع عنه من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذا الحجم يختلف حسب الموارد ومستوى معيشة السكان ودرجة النضج فى التطور التكنولوجى وفعالية نظام النقل والمواصلات والإدارة ولعل من مشكلات الاتحاد السوفيتى السابق بالإضافة إلى افتقاره إلى المياة الدفيئة حجمه الكبير للغاية ولا شك أن ذلك الحجم الكبير تنتج عنه مشكلات كثيرة فى الإدارة قبل أن تتفكك وحدته والتى ينتظر أن تزداد خلال العقود المقبلة ، وكانت أساليب النقل البرية تستغرق أياما متعددة بين قسميه الآسيوى والأوربى كما كانت الصحارى الشاسعة والجبال العالية والجليد تحجز بعض الأجزاء وتعزلها .

ومن الدول الكبيرة بدرجة مفرطة أيضا البرازيل والواقع أن المنطقة الحية الفعالة بها هى هضبة البرازيل ، أما المساحات الواسعة الفسيحة من حوض الأمزون

فلا يسكنها عدد مناسب من السكان وبقى فى الأغلب الأعم خالية ينتشر فيها الفقر والمرض ، وربما كانت مدينة مناؤس هى الشذوذ الوحيد عن ذلك .

وكذلك كندا دولة فسيحة ولكن المنطقة المأهولة بالسكان فيها توجد فى جنوبها على طول حدها مع الولايات المتحدة الأمريكية مع استثناءات قليلة تمتد فيها مناطق المعمور إلى الشمال حيث توجد الموارد المعدنية والمائية أو الأراضى الزراعية فى الغرب الأوسط ومناطق الغابات المستغلة ، ثم تبقى المناطق الوسطى والشمالية من كندا صعبة الاختراق من غابات التاييجا أو التندرا ، حيث لا توجد الطرق المعبدة ، ولهذا كله تشكل الأراضى الشمالية المطلة على المحيط المتجمد الشمالى فى كل من كندا وروسيا مشكلات بالغة أمام الاستغلال الاقتصادى رغم احتمال الثروة بها .

ولا شك فى أن عدم كفاية طرق النقل وتخلفها يحول دون فعالية الحجم الكبير للدول المذكورة ، وإذا كان الاتحاد السوفيتى قد مد طرقه المائية والحديدية والجوية إلى الداخل واستطاع أن يوجد شبكة ناجحة من المواصلات بين ربوعه الداخلية فإن المهمة لا زالت شاقة أما دول مثل البرازيل والهند التى عليها أن تطور طرقها لتنضم إلى الدول القوية ، وفى حالة كل من الصين والهند فإن وزنها السكانى الكبير (الصين اكبر دول العالم سكانا والهند فى المركز الثانى مباشرة) يمكن فى المستقبل غير البعيد أن يحدث تحركا فى المركز السياسى والتجارى والتسويق من المحور الحالى الذى يوجد فى شمال المحيط الأطلنطى ليصبح فى المحيطين الهادى والهندى ، وكأن الدور الحضارى والسياسى والثقل المادى فى دورة سينتقل فيها من البحر المتوسط مركز الحياة والحركة والنقل فى العالم القديم إلى المحيط الأطلنطى فى العالم المعاصر ، ثم إلى المحيط الهادى فى المستقبل وفى هذه الحالة فإن الحجم يمكن أن يؤثر بدرجة فعالة على الموقع النسبى ولكن ذلك

لا يمكن أن يحدث ما لم تحدث ثورة علمية وتكنولوجية هائلة فى كل من الصين والهند تلحقهما باليابان .

ويمكن قياس مدى الترابط بين مختلف أجزاء الدولة وهو مقياس لسهولة طرق النقل والمواصلات بين مختلف أجزائها ، ولذلك ميزته الكبرى فى التجارة والنقل والخدمات فى فترات السلم ، كما أن له أثره بالنسبة لخطوط الإمداد والتموين فى حالات الحروب ، وتستخدم لذلك مصفوف الترابط التى تقيس اتصال المدن والأقاليم فى الدولة ببعضها البعض بطرق سهلة وتعتمد على الاشكال البيانية واستخدام مقياس لبيان درجة الترابط أو الاتصال .

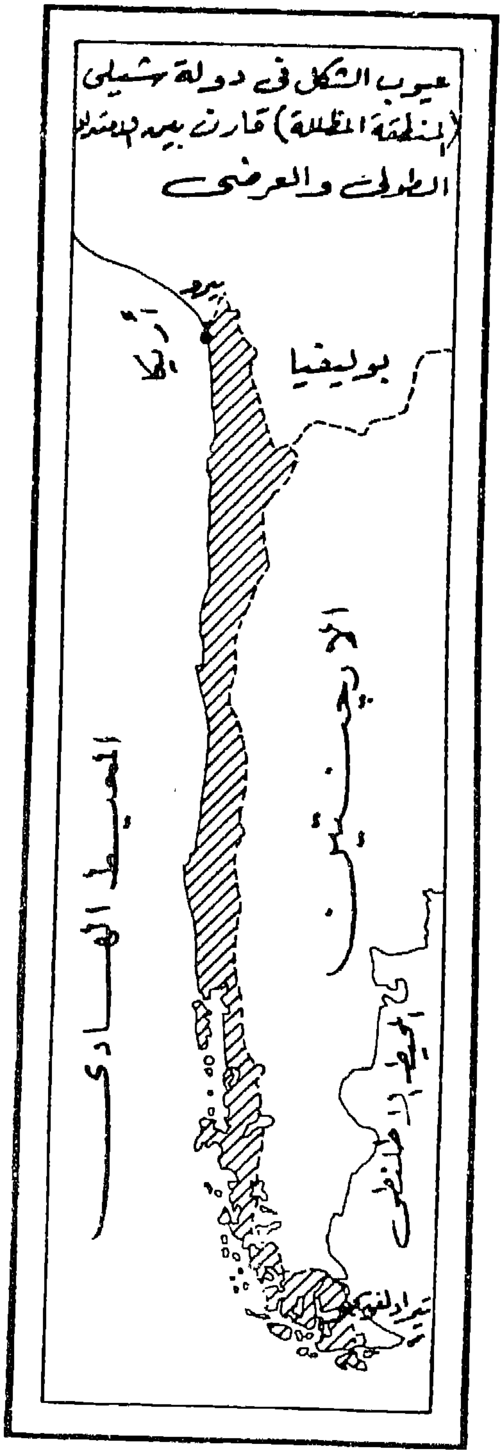
٣ - الشكل : Shape

الشكل المثالى للدولة من الناحية النظرية هو الدائرة المنتظمة التى تقع العاصمة فى مركزها أو بقربة ، ويمكن تقدير مدى انحراف شكل أية دولة عن هذا الشكل النظرى بمقارنة طول حدود الدولة فى الواقع وعلى الطبيعة بطول حدودها فيما لو كانت مساحتها عبارة عن دائرة منتظمة وإيجاد معدل أو نسبة بين الرقمين وكلما كان المعدل منخفضا كلما كان ذلك يعنى أن الشكل يقترب من الشكل المثالى ، وكلما ارتفع كان دليلا على عدم انتظام الشكل ، وعلى شبيل المثال فإن قيمة المعدل فى حالة فرنسا هو ٢ وهى من أقرب الاشكال إلى النموذج المثالى أما النرويج فإن قيمة معدلها ١١ ويعنى ذلك انحرافا كبيرا عن الشكل المثالى (وإن لم يكن شكل النرويج عامل ضعف بل إن سواحلها بفيوردداتها المتعرجة تمثل عنصر حماية ، وقد أضاف ذلك إلى جانب عزلتها حماية لها من الغزو الذى تعرضت له فرنسا أكثر من مرة) .

وإذا كان شكل الدولة مندمجا ومنتظما فإن ذلك يكون له كثير من المزايا

وكلما كثرت النتوءات والأسافين (الأجزاء الخارجة أو الأجزاء الداخلية في جسم الدولة من دول اخرى) فإن ذلك يقلل من الترابط بين أجزاء الدولة ، كما أن شكل الدولة المنتظم يعطى إمكانية أكبر فى ربطها داخليا بوسائل النقل بينما تجزئة أراضى الدولة أو طولها المفرط يحمل صعوبات أمام ذلك كما أن التضاريس عامل هام فى عملية الاندماج وكثيرا ما يقال مثلا إن السهول وأودية الانهار تساعد على تنمية روح الوحدة ، بينما يكون للمناطق الجبلية أثر عكسى حيث تعوق المواصلات وقد تسبب فصل أقاليم الدولة عن بعضها البعض .

والدولة المندمجة تكون عادة ذات حدود قصيرة بالنسبة لمساحتها ويقل طول الحدود كلما كان شكل الدولة منتظما ولا توجد به تعرجات وانثناءات ويحقق ذلك ميزة كبيرة فى سهولة الدفاع عن الحدود القصيرة فى حالة تعرضها للهجوم ويكون الدفاع



شكل رقم (١٦)

عنها فى حالة الانسحاب والتراجع أكثر سهولة مما لو كانت مناطق اختناق وممرات يمكن أن تحاصر قواتها فيها .

ولا يفيد اندماج الرقعة المكانية لدولة فى ربط أجزائها طبيعيا فحسب ولكن كلما كانت الدولة مندمجة كلما أثر ذلك على بعض النواحى العقائدية فيها ، فاندماج أراضى الدولة يعطى أملا أكبر فى أن يكون السكان من شعب واحد له أهداف مشتركة مما ينمى روح القومية ، والروح القومية أهم ما يمكن أن يحفظ الوحدة السياسية ، والإحساس بالقومية يستغرق عادة فترة زمنية طويلة من الحياة المشتركة والكفاح الموحد وممارسة ذلك يكون أكثر احتمالا فى البيئات المفتوحة التى لا توجد بها حواجز تضاريسية ، وفى المناطق ذات المساحات غير المترامية التى يقل طول حدودها وبالتالى مناطق الاحتكاك مع غيرها من المناطق التى تسكنها جماعات وشعوب أخرى .

وهناك أمثلة لدول غير منتظمة الشكل ويضرب المثال عادة بدولة شيلى فى أمريكا الجنوبية فطولها ٢٦٠٠ ميل من الشمال إلى الجنوب (٤١٦٠ كيلو مترا) بينما عرضها من الشرق إلى الغرب أو من ساحل المحيط الهادى إلى جبال الانديز لا يزيد على ١٠٠ ميل (١٦٠ كيلو مترا) وهذا الإفراط الغريب فى الطول مع الضيق الواضح فى الامتداد العرضى يعتبر مثلبا وعيبا فى شكل الدولة فهو يعتبر معوقا حربيا حرجا ينعكس أثره ، على خطط المواصلات وينتج عن ذلك زيادة نفقات الإدارة الحكومية ، وإن كان يقال أحيانا إن هذا الشكل الغريب لا يخلو من ميزة تعدد الاقاليم المناخية والنباتية .

ومن أمثلة الدول غير المنتظمة فى شكلها ، الدول المجزأة أى التى تتكون من أكثر من رقعة أرضية دون وجود اتصال برى مباشر بين هذه الأجزاء ، ومن

أمثلة ذلك ما كانت عليه الباكستان منذ إنشائها فى عام ١٩٤٧ بعد تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين هما الهند والباكستان ، فقد كانت باكستان الشرقية وباكستان الغربية مفصولتين بجسم الأراضى الهندية ، وكان الفاصل بين القسمين يصل إلى أكثر من ألف ميل ، وقد ظل الأمر كذلك حتى تم انفصال الجزء الشرقى وتكوين بنجلاديش ولعل الحرب التى انتهت بانفصال بنجلاديش ، كان من أسباب هزيمة الباكستان فيها هذا الفاصل الأرضى بين قسمى الدولة والمساعدات التى قدمتها الهند إلى الثائرين فى بنجلاديش فى عام ١٩٧١ .

وعندما كانت الجمهورية العربية المتحدة تضم كلا من سوريا ومصر وكانت دولة مكونة من إقليمين أو جزئين منفصلين ، وكان ذلك أيضا من أسباب نجاح حركة الانفصال فى سوريا فى عام ١٩٦٢ ، ويرتبط بذلك أيضا أن الفصل بين القسمين الآسيوى والإفريقى من العالم العربى وعدم الاتصال البرى بين دول العالم العربى الإفريقية والدول العربية الواقعة فى آسيا ، قد تم نتيجة لتعاون الاستعمار مع الصهيونية فى اغتصاب فلسطين والعمل على إعاقة أى احتمالات للاتصال البرى المباشر بين قسمى الوطن العربى ويمثل ذلك نقطة ضعف فى الاتصال وفى جهود الوحدة ما لم يحدث تغيير لهذا الوضع الغريب .

ويرتبط بشكل الدولة موقع العاصمة ، وذلك لأن العواصم السياسية هى الأماكن التى يمارس منها الحكم المركزى والإدارة وينبغى أن تكون العاصمة فى مركز متوسط من الدولة حتى يكون تاثيرها متعادلا فى كل اتجاه ، ولكن كثيرا من العوامل قد تحول دون ذلك وقد كان نقل العاصمة الروسية من سانت بطرسبرج (لينينجراد) المتطرفة إلى موسكو خطوة معقولة لأن موسكو تتوسط مركز الثقل السياسى فى الدولة غير أن موسكو لا تتوسط المساحة الهائلة التى يمتد عليها الاتحاد الروسى ، ولكن اذا نقلت إلى مركز التوسط المساحى فإنها ستكون فى

سيبريا فى منطقة تكاد أن تكون غير مسكونة وما زالت عمليات التعمير فيها، فالعاصمة أيضا لا ترتبط بالمساحة فحسب ، ولكن بمركز الثقل السكانى أيضا وفى الاتحاد الروسى يوجد السكان بصفة أساسية فى القسم الأوربى دون القسم الآسيوى من الاتحاد ، ولذلك يمكن القول بأن موسكو عاصمة مناسبة فى موقعها نسبيا .

أما عاصمة الولايات المتحدة الامريكية - واشنطن - فإنها متطرفة إلى الشرق من جسم الولايات المتحدة ولكن اختيارها كعاصمة يرتبط بالنمو التاريخى للولايات المتحدة وعملية تعميرها بالسكان ، ومن هنا يمكن إيجاد شبه كبير بين العاصمة الامريكية والعواصم المفروضة التى أقامتها القوى الاستعمارية على طول ساحل غرب افريقية فبالنظر إلى أن الاستعمار الأوربى كان يسير بحذاء السواحل فقد اختار مناطق ارتكازه - التى اصبحت عواصم فيما بعد - على الساحل وعواصم كل من نيجيريا وبنين وتوجو وغانا وساحل العاج وليبيريا وسيراليون والسنغال وغينيا وغمبيا ، تقع كلها بلا استثناء على الساحل كأثر تاريخى لهذه المرحلة من الاستعمار وكانت العواصم الوطنية للجماعات التى عاشت فى غرب افريقية لا تقع على الساحل فقد كانت كوماسى عاصمة جماعة الأشانتى فى ساحل الذهب (غانا) فى موقع متوسط بالنسبة لهذه الجماعة وكانت عاصمة داخلية وليست ساحلية .

ولعل مدينة القاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية تكون من أكثر عواصم العالم تحقيقا لميزة المتوسط ، لأنها علاوة على الميزات الرائعة فى موقعها من الناحية الطبوغرافية تتوسط المعمور المصرى وتتحكم فى أى اتصال بين الوادى والدلتا ، كما أن سكان كل من الوادي والدلتا متعادلان من حيث العدد .

وقد كان اختيار مدينة براج - عاصمة تشيكوسلوفاكية السابقة - من أسباب التوتر بين كل من عنصرى الدولة الأساسيين : التشيك والسلوفاك ، حتى

انتهى الأمر بقيام دولتين فى عام ١٩٩٣ . هذا وقد عمدت بعض الدول فى الفترة الأخيرة لنقل عواصمها حتى تكون فى موقع متوسط ، فنقلت البرازيل عاصمتها من ريودى جانييرو على الساحل الأطلنطى إلى برازيليا فى الداخل ، وكذلك فعلت الباكستان التى نقلت عاصمتها من كراتشى على البحر العربى إلى إسلام أباد (راوالبندى) فى الداخل وقد ظلت عاصمة هذه الدولة مشكلة دائمة عندما كان جسم الدولة لا يمثل امتداد مكانيا متصلا ولكنه مكون من قسمين متباعدين ومنفصلين ، حتى انفصل الاقليم الشرقى وتكونت بنجلاديش ، وعلى كل حال فإن اختيار إسلام أباد كعاصمة يرتبط بوجو جماعات الباثان ذات الرغبة فى الانفصال فى شمال باكستان ، كما نقلت نيجيريا عاصمتها من لاجوس إلى أبوجا .

ثانيا : العوامل السكانية :

تدرس الجغرافيا السياسية السكان من ناحيتين :

١ - الناحية الاثنوغرافية ، وتشمل السلالة ثم اللغة والدين .

٢ - الناحية الديموجرافية ، وتشمل نمو السكان وعددهم ونوعهم وتركيبهم الوظيفى والتعليمى ثم توزيعهم الجغرافى

وتفيد الدراسة الاثنوجرافية فى معرفة مدى انسجام عناصر السكان فى الدولة (راجع ذلك فى فصل السكان) .

ولدراسة السكان بعد آخر يدخل فى تقدير قوة الدولة ، ويتمثل ذلك فى درجة تنظيم السكان سياسيا واجتماعيا ، ولا شك فى أن وجود الديموقراطية والحرية والتنظيم السياسى الواعى ، يؤدى إلى انطلاق ملكات الأفراد ومواهبهم وينعكس ذلك على تقدم دولتهم .

ثالثا : الموارد الاقتصادية والنقل والتجارة الدولية :

تتفاوت الدول فيما بينها من حيث وفرة الموارد أو قلتها ، ومن الناحية النظرية فإنه كلما توفرت موارد الثروة فى قطر ما كلما كان غنيا ، وتتمثل موارد الثروة الاقتصادية فى الزراعة والتعدين والقوى المحركة والصناعة ، ويخدم العملية الإنتاجية فى هذه الموارد جميعا طرق النقل التى تلعب دورا حاسما إلى جانب أثر ذلك فى التجارة الدولية .

ولما كانت هذه الموارد جميعا ليست موزعة توزيعا عادلا على أقطار العالم ولكنها تتركز فى دول دون أخرى فإن هذا يؤدى إلى وجود دول غنية وأخرى فقيرة ويصدق ذلك بصفة خاصة على الزراعة والتعدين ، أما مدى استخدام الانسان لهذه الموارد فيعتمد على المرحلة الحضارية والتكنولوجية التى وصل إليها ، وعلى الرغم من أن التقدم العلمى يمكن الإنسان من أن يجفف المستنقعات وأن يروى المناطق الجافة وأن يحول الفحم إلى غاز أو زيت سائل وأن يستخدم البدائل المعدنية ، فإن ذلك كله محدود بقواعد علمية وإمكانية ، ولا يستطيع الإنسان إلا بقدر محدود أن يغير أو يعيد توزيع الموارد الأساسية . وقد أحدثت ثورة النقل والمواصلات تعديلا كبيرا فى صورة التوزيع والاستهلاك وأصبحت بعض الدول الفقيرة فى مواردها تعتمد على غيرها فى الحصول على حاجاتها بل إن بعض الدول ذات الموارد الكثيرة لا تستغل مواردها بالقدر الذى يتناسب مع وفرة هذه الموارد وقد أثر الاستعمار العالمى تأثيرا كبيرا فى خريطة استخدام الموارد وجعلها تختلف كثيرا عن خريطة « وفرة الموارد » ذلك أن بعض دول الاستعمار الكبرى فقيرة فى مواردها ولكنها استغلت واستخدمت موارد غيرها ، مثال ذلك بريطانيا التى كانت لها أكبر إمبراطورية ، وكانت هذه الإمبراطورية الواسعة تضم مختلف المناطق النباتية وتضم كثيرا من البلاد الغنية فى مواردها المعدنية ، وكذلك بلجيكا التى كانت تسيطر على « الكونجو » وهو أحد الأقطار الغنية جدا بمواردها

التعديتية ولكن هذه الموارد لم تكن تستغل قبل الاستعمار الأوربى وبعد الاستقلال لم يصبح استخدام هذه الموارد لصالح شعب « الكونجو » ولكن لخدمة المصالح الاحتكارية للاستعمار العالمى برغم استقلال زائير سياسيا وتتكرر الصورة فى كل من غانا ونيجيريا حيث أدى سوء الإدارة إلى مشكلات عديدة .

وقد تمر المجتمعات بتحول يؤدى إلى اختلاف صورة استخدام الموارد مثل روسيا التى كانت فى العهد القيصرى دولة متخلفة وتحولت بعد الثورة الروسية إلى عملاق للصناعة كما تطورت الزراعة فيها وأصبحت تختلف كلية عن صورتها فى ظل العهد القيصرى ، ومع ذلك فإن سوء الإدارة أدى إلى مشكلات حادة فيها خاصة بعد تفكك الاتحاد السوفيتى .

كما أن بعض الاقاليم قد تتعرض لتغيير فى صورة السكان مثل ما حدث فى الولايات المتحدة الأمريكية التى كان سكانها قبل الاستعمار الأوربى لها لا يزيد على المليون من « الهنود الحمر » الذين يتناثرون فى كل أرجائها ولكن بعد أن توالت هجرات الأوربيين حدث استغلال للموارد أدى إلى ازدهار هائل يتضح فى صورة الولايات المتحدة اليوم . ومعنى ذلك أن تطوير الفكر قد يحدث فى الموارد غير المستغلة ثورة كما حدث فى الاتحاد السوفيتى السابق إلى حد ما ، وأن العدد الأنسب من السكان والمرحلة التكنولوجية يمكن أن تؤدى نفس الدور فى مكان آخر كما حدث فى الولايات المتحدة .

ومعنى ذلك أنه من الخطأ القول بأن هناك ارتباطا بين النظم السياسية والاقتصادية من ناحية وتوزيع موارد الثروة من ناحية أخرى ، بل إن استخدام الموارد وفلسفته يغيران من التركيب الاقتصادى ، ويتفق ذلك مع النظم السياسية والإدارية والاقتصادية المطبقة ، وإن كان للمرحلة التى وصل إليها استخدام العلم والتكنولوجيا أثر كبير فى مدى التفاعل بين السكان والموارد مهما اختلفت

الأنظمة السياسية ، وهذا يتضح بمقارنة التفاوت الكبير بين درجة التطور والنمو الاقتصادى داخل كل من الدول الاشتراكية أو الرأسمالية .

الموارد الزراعية:

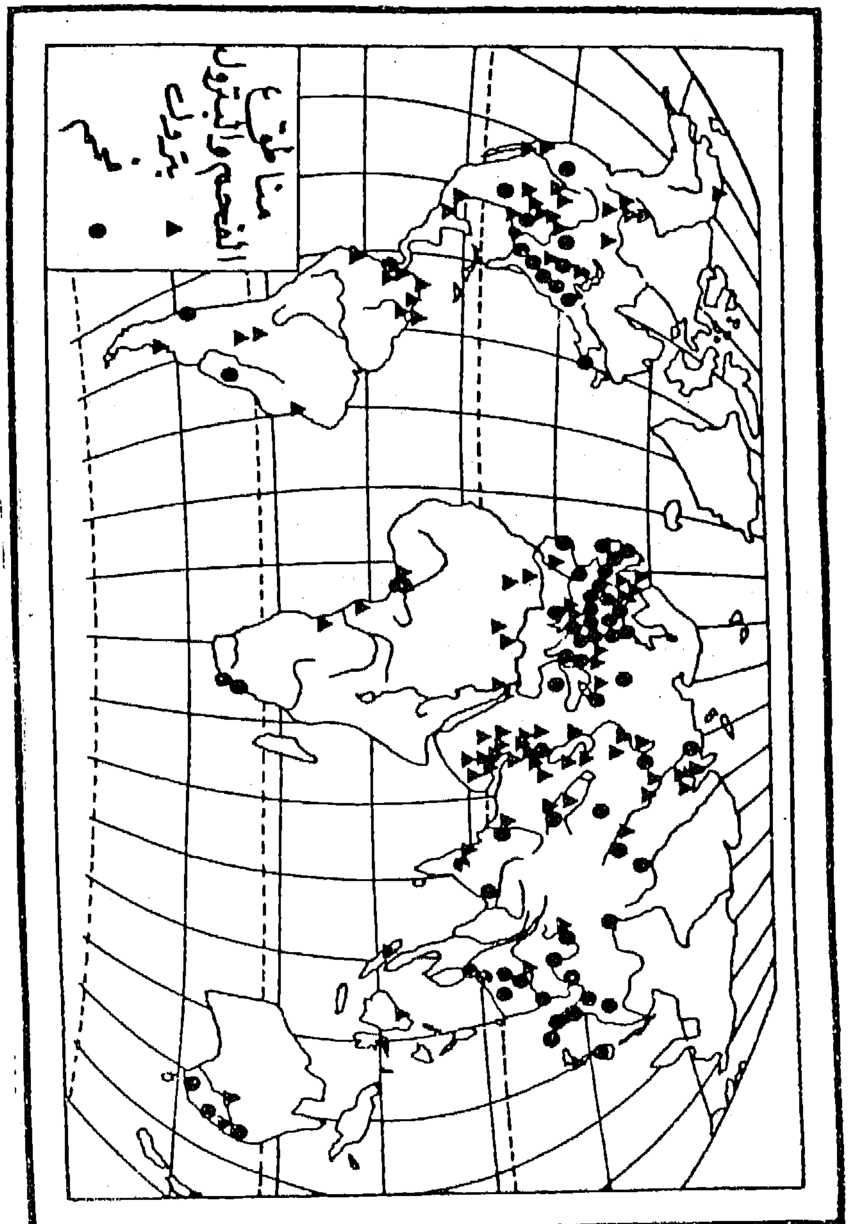
الموارد الزراعية هى أساس المجتمعات لأنها تفى بالحاجات المباشرة للسكان فيما يتعلق بالمواد الغذائية ، واذا درست موارد الأرض السطحية فإن ذلك يضم إلى جانب الزراعة كلا من النبات الطبيعى والثروة الحيوانية ، كما أن الاسماك تدرس أحيانا ضمن هذه المجموعة لأنها تدخل فى الغذاء البشرى ، والواقع أن الموارد الزراعية تتعدى قيمتها مجرد الحصول على الغذاء لأن كثيرا من هذه الموارد تمثل مواد خام لعديد من الصناعات ، وفى الدول القديمة كانت القوى الدولية هى تلك الدول التى قامت فى بيئات نهرية واعتمدت على الزراعة وطورت نظم الرى مما مكن لها من وجود وفرة فى إنتاجها الزراعى ، وقد ارتبط بالاستعمار الأوربى نشأة المزارع العلمية الواسعة فى المستعمرات ، وبصفة خاصة فى المداريات التى اصبحت مصدراً تنساب منه المواد الخام من كل اتجاه إلى مراكز التجمع والتسويق للدول الكبرى ، وكان هذا يؤدى فى بعض الأحيان إلى عمليات أسر تسويقى بمعنى انتقال السوق إلى عواصم الدول الاستعمارية ثم توزيع المنتجات المدارية من هذه الأسواق ومثال ذلك أن لندن كانت السوق الدولية للشاى رغم أن بريطانيا نفسها لا تنتجه ، ولكن مستعمراتها فى الهند وسيلان كانت تنتج ثم ينتقل إنتاجها إلى لندن لتوزيعه ، وكثيرا ما يؤدى استغلال موارد الثروة إلى تنافس بين الدول الاستعمارية مثل حالة زائير التى كانت مستعمرة بلجيكية ولكن الشركات المسيطرة على انتاج مزارع المطاط فيها لم تكن كلها بلجيكية ، وكذلك فى غرب افريقيا كانت توجد مصالحة بين رؤوس الأموال فى المستعمرات البريطانية ، والفرنسية بين الشركات التابعة لتلك الدول وبين كبار الشركات لبقية دول أوربا أو الشركات الأمريكية وذلك كله يدخل فى إطار وحدة الرأسمالية العالمية .

وفى بعض الدول التى يوجد بها اكتظاظ سكانى ، دون أن تكون بها وفرة فى الأراضى الزراعية تزداد الكثافة السكانية وقد يؤدى ذلك ، خاصة فى حالة التوزيع غير المناسب لملكية الأرض إلى كثير من المشكلات السياسية ، وقد يتمثل العلاج فى إعادة توزيع مصادر الثروة الزراعية أو بالهجرة أو بالتصنيع أو بتطوير الزراعة أو بتنظيم النسل أو بتلك الوسائل كلها ، كما أن بعض الدول قد تلجأ إلي العدوان على البلاد الاقل ازدحاما وأغنى مواردا فى صورة استعمار .

التعدين:

إذا كانت الموارد الزراعية متجددة فإن الموارد التعدينية محدودة - وهى نتيجة للتاريخ والظروف الجيولوجية التى سادت فى أجزاء العالم المختلفة - وبذلك فإن وجود المعادن فى مكان ما لا يعتمد إلا على الصدفة الجيولوجية ، وحاجة الدول إلى الموارد المعدنية تتعدى حدود انتشار هذه الموارد ويؤدى ذلك إلى رغبة القوى الدولية فى الحصول على المناطق والأجزاء التى تنتشر فيها الإسابات المعدنية إما بالاحتواء والضم وإما بالحصول على امتيازات الاستغلال ، وتحدد درجة السيطرة بأهمية المعادن وبمدى اعتماد الإنتاج الحربى عليها والواقع أن دور المعادن يفوق الموارد الزراعية من حيث صراع القوى الكبرى ورغبة كل منها فى السيطرة على مواردها .

وبعض المعادن تتركز بدرجة واضحة فى أجزاء محدودة من العالم مثل النيكل الذى كان ينتج منه قبل الحرب العالمية الثانية ٨٥ ٪ فى مقاطعة أونتاريو بكندا وبعد الحرب العالمية الثانية لازالت كندا تنتج حوالى ٦٠ ٪ منه ، كما أن القصدير ينتج القدر الأكبر منه فى منطقة جنوب شرق آسيا وفى هضبة بوليفيا ، وكل من النيكل والقصدير من المعادن الهامة فى صناعة سبائك الصلب ، كما أن البترول يوجد فى مناطق محدودة فى العالم وهى الشرق الأوسط وشمال افريقيا



شكل رقم (١٧)

وهى أولى مناطق العالم إنتاجا له ثم نصف الكرة الغربى ويضم الولايات المتحدة ودول أمريكا اللاتينية المطلة على البحر الكاريبى ، ويصدر معظم إنتاج الشرق الأوسط إلى أوربا ، ثم الاتحاد الروسى وإلى جانب ذلك توجد منطقتان صغيرتان فى جنوب شرق آسيا وفى غرب إفريقيا ، بينما يوجد افتقار شديد إلى البترول فى بقية أجزاء العالم ومن البديهى أن البترول هو أكثر موارد الوقود شيوعا فى العالم المعاصر وهو ضرورى لقيام أى حركة صناعية حيث يمثل مصدر الطاقة الرئيسى .

وفى بعض الأحيان تكون مناطق التعدين بعيدة عن الجزء المعمور فى الدولة وفى هذه الحالة تلعب طرق النقل دورا أساسيا فى الاستغلال خاصة إذا كان يوجد مبرر اقتصادى يتمثل فى مناسبة تكلفة الإنتاج والنقل ، ومنطقة البحيرات العظمى فى الولايات المتحدة من أكثر الأمثلة وضوحا على أثر النقل على التكامل الاقتصادى فى الصناعة حيث ينقل على هذا الطريق أكثر مما ينقل على أى طريق مائى داخلى فى العالم لتكامل مناجم الفحم والحديد عبر هذا الطريق .

ولا تعتمد القوى الكبرى على حدودها فى الحصول على حاجاتها المعدنية الهامة ، وعلى الرغم من أن كلا من الاتحاد الروسى والولايات المتحدة يقتربان من كفاية مواردهما التعدينية إلا أنهما تستوردان كثيرا من المعادن وتتحكم الولايات المتحدة على نحو خاص فى التجارة الدولية للمعادن .

ومن الضرورى للدولة العظمى أن يتوفر لها فى داخل حدودها قدر كبير من حاجتها من المعادن ، وأن يكون فى استطاعتها الحصول على ما لا يتوفر لديها من معادن فى سهولة ، والاكتفاء الذاتى أمر عسير لتشابك حاجات الدول وتعددها ولا توجد أى دولة فى العالم تكتفى ذاتيا إلى درجة تامة .

ولما كان كل من الفحم والحديد يمثلان مصدرا للوقود والمادة الخام الأساسية

اللازمين للصناعات الثقيلة فإن توزيعها هام جدا ، وإن لم يكن توزيعهما فى جميع الأحوال يوجد على نحو اقتصادى أو مترابط ، فإذا وجدا معا أو متقاربين فى دولة واحدة فإن ذلك يلعب دورا هاما فى مرتبة هذه الدولة ومثال ذلك الولايات المتحدة والاتحاد الروسى وبريطانيا ، كما أن كثيرا من أوجه الصراع بين فرنسا وألمانيا فى القارة الأوربية ، ثم وجود التكتلات الاقتصادية الأوربية بعد الحرب العالمية الثانية واشتراك كل من ألمانيا الغربية وفرنسا فيها يمكن ربطه بذلك .

وربما يؤدى التطور العلمى والتكنولوجى إلى أن تحل الطاقة الذرية محل كثير من مصادر الطاقة المستخدمة حاليا ، وأن تلعب معادن أخرى دورا مماثلا لما يلعبه الحديد الآن ، وبذلك تتغير قيمة وأهمية الفحم والحديد ، ولكن ذلك كله لا يمكن القطع فيه برأى وربما يمكن مستقبلا معرفة ذلك وفى هذا المجال أيضا يبقى أن الدول المتقدمة علميا هى التى يمكنها أن تتوصل إلى استخدام البدائل الجديدة ويبقى كقانون « أن الدعامة الأساسية فى التقدم هى العلم والأسلوب العلمى » .

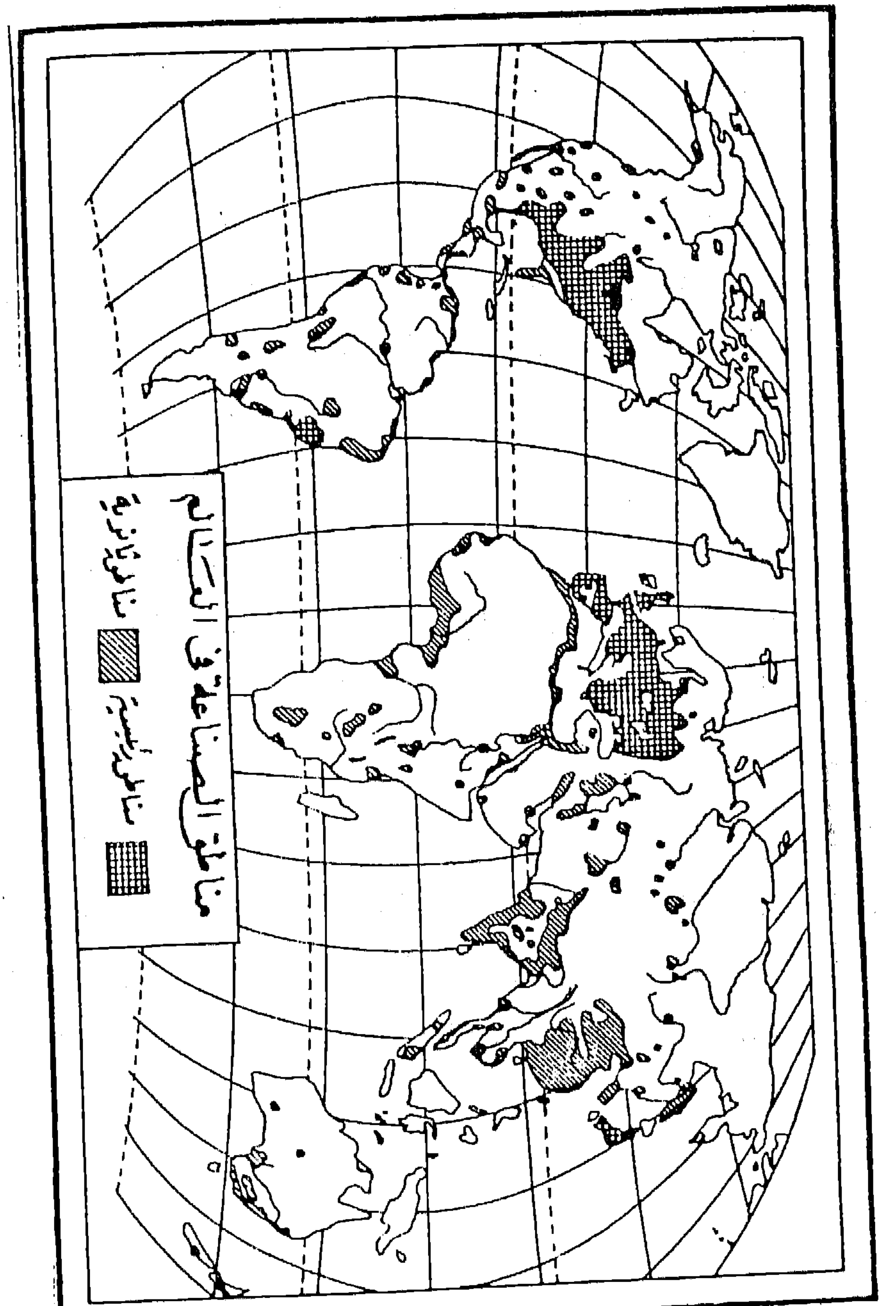
الصناعة :

تقاس الدول فى عالمنا المعاصر بمدى النمو الصناعى بها ، ولعلنا نجد أن دول العالم الكبرى ذات الأثر القوى فى السياسة الدولية هى الدول الصناعية الكبرى ، وترتبط مكانة الدولة فى المجتمع الدولى بإنتاجها الصناعى وتنوعه من حيث الحجم والجودة العالية ، وتعتمد الصناعة على كثير من المقومات ومنها المواد الخام والوقود أو القوى المحركة ورأس المال والمهارة والخبرة التكنولوجية ، ولكن عنصر المادة الخام كثيرا ما يكـون حاسما ، لذلك تحرص دول العالم الصناعية الكبرى على احتكار أسواق المواد الأولية اللازمة لصناعتها إذا لم تكن هذه المواد متوفرة محليا .

وتقسم الصناعة عادة إلى صناعات ثقيلة وصناعات خفيفة ، والصناعات الثقيلة قد تشمل صناعة أدوات الصناعة نفسها أو المصانع المنتجة للآلات والمعدات والماكينات ، وهذا إلى جانب صناعات الحديد والصلب ومواد البناء والسفن والصناعات الحربية للمعدات الثقيلة كالدبابات والسفن الحربية والطائرات والعربات المدرعة ، أما الصناعات الخفيفة فقد تشمل صناعات استهلاكية كصناعة الملابس أو المشروبات والمواد الغذائية ، وبينما قد تنتشر الصناعات الخفيفة فى عديد من دول العالم ، فإن الصناعات الثقيلة توجد أساسا فى الدول المتقدمة .

ويلاحظ أن التفوق التكنولوجى قد يعوض النقص فى بعض المواد الخام اللازمة للصناعات الثقيلة والتى يمكن نقلها ، وكل من اليابان وسويسرا وسنغافورة وكوريا الجنوبية وهونج كونج لا تتوفر لديها مواد خام أو مصادر للطاقة والوقود ، ولكنها تعوض ذلك كله بالاعتماد على التكنولوجيا المتقدمة وقد تمكنت صناعاتها من غزو الأسواق العالمية ومنافسة كل من الصناعات الأوربية والامريكية .

وأما رأس المال فيمكن نقله من دولة إلى أخرى إذا توفرت له الضمانات التى تكفل له حرية الحركة ، ولذلك نجد أن بعض الشركات الكبرى فى العالم لها فروع تنتشر فى كثير من الدول بفضل سهولة انتقال رأس المال ، كما أن الحماية الجمركية والسياسات الحكومية لها اثرها فى تقدم الصناعة .



شكل رقم (١٨)

التجارة الدولية والنقل والمواصلات:

للنقل أهمية كبيرة يفرضها تباين الإنتاج والاستهلاك ، وكما سبق القول فإن الاكتفاء الذاتي مطلب عزيز لمعظم الدول في العالم ، ولكن درجته تتفاوت وفيما يتعلق بالدول الصناعية فإن انتظام النقل البرى والبحرى والجوى أمر هام جدا فى سير عجلة الإنتاج أو فى تصريف المنتجات وأكثر الطرق المحيطية ازدحاما هو طريق شمال الاطلنطى الذى يربط بين غرب أوربا وشرق الولايات المتحدة ، وهو يربط بذلك بين أكبر الاقطار الصناعية والتجارية وأكبر اسواق العالم المعاصرة ، ويفوق ما يحمل على هذا الطريق جملة ما يحمل على الطرق البحرية الاخرى مجتمعة . أما الطريق الثانى فهو طريق البحر المتوسط الذى يصل آسيا بكل من أوربا وافريقيا ويصل ما بين المحيطين الأطلنطى والهندى ثم يمكن عبر هذا الطريق الاتصال باستراليا وهذا الطريق يشهد مرور أكبر قدر من المنتجات المدارية التى تنتجها الدول الصناعية وفي الاتجاه العكسى يحمل السلع المصنوعة إلى اسواق الاستهلاك .

وقد أدى كشف العالم الجديد إلى تحول فى أهمية المسطحات المائية وأصبحت المحيطات هى خطوط الحياة التى تقوم حولها المدنية وتجرى فوق مياهها منتجات الأقاليم ، ولما كانت القوة البحرية أمرا ضروريا للقوة الدولية فإن تاريخ التوسع الاستعمارى يرتبط بامتلاك الأساطيل ، وقد تمكنت كل من البرتغال وإسبانيا وهولندا وانجلترا منذ القرن السادس عشر من تكوين إمبراطوريات واسعة نتيجة أنها كانت أقوى الدول البحرية .

وبالنسبة لبريطانيا فقد كانت تعمل دائما على تأمين المواصلات بين قاعدتها الأصلية وهى الجزر البريطانية وبين أجزاء إمبراطوريتها الواسعة ، فقبل شق قناة السويس حين كان طريق رأس الرجاء الصالح هو الطريق الملاحى المطروق سيطرت

بريطانيا على عدد من النقط التى تؤمن ذلك الطريق وهى تمتد فى نطاق واسع يشمل المناطق التى تمر بكل من ساحل جنوب إفريقيا ، جزر سانت هيلانه وأسنسيون ، برنس إدوارد ، موريشوس وسيشل وشبه جزيرة الملايو ، وبعد شق قناة السويس أصبح خط الحياة أقصر امتدادا فلجأت بريطانيا فى وقت وجيز للغاية إلى تأمين كل النقط المسيطرة على طول الطريق والقريبة منه وسيطرت على كل من مداخل طريق البحرين المتوسط والأحمر وعلى مناطق أعناق الزجاجات الحاكمة له : جبل طارق ، مالطة ، قبرص ، قناة السويس ، الصومال البريطانى وعدن ، وجزيرة سو قطرى .

وتلعب الأنهار دورا هاما فى المواصلات والنقل المائى وليس غريبا أن معظم موانى العالم البحرية الكبرى تقع فى مصبات الأنهار ، وذلك أن التطور التاريخى للنقل كان يجعل من الأنهار طرقا للتوغل إلى الداخل والربط بين مختلف الأجزاء كما أن مصبات الأنهار كانت مناطق تركز السكان والتجارة الدولية والساحلية وفى بعض أجزاء القارة الأوربية وفى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية حالت الأنهار فى بعض الحالات دون مد الطرق الحديدية أو أدت إلى تاخير ذلك على الأقل .

للنقل والمواصلات أهمية كبرى فى ربط أجزاء الدولة اقتصاديا وسياسيا وعقائديا ويصدق ذلك بصفة خاصة على المراحل الأولى لنشأة الدول ثم تصبح المواصلات بعد ذلك عاملا اساسيا فى الوحدة ، وإذا كانت الطرق البرية قد لعبت ذلك الدور فترة طويلة فقد حلت محلها السكك الحديدية بعد ذلك ، ثم عادت للطرق البرية أهميتها مرة أخرى بعد أن اصبحت شبكتها فى كثير من الدول ذات اتجاهات متعددة ، هذا بالاضافة إلى أن السيارة اكثر حرية فى حركتها من القطار ولا تلتزم بطريق محدد بدرجة قاطعة مثلة ، كما أن من مشكلات السكك الحديدية اختلاف السعة بين القضبان أو اختلاف مقياس الخطوط الحديدية بين الدول

المتجاورة كما يوجد بين بعض الدول الأوربية أو كما حرصت بريطانيا عليه فى اختلاف المقياس بين الخطوط الحديدية فى مصر والسودان .

وقد ادى التليفون والتلغراف والاذاعة والتليفزيون والفاكس إلى أن تحطمت الحواجز تماما بين الدول من الناحية الحضارية، وقد حقق ذلك ميزة مزدوجة فيما يتعلق بالدعاية وخاصة عند انقسام العالم إلى معسكرين وازدياد الحرب الباردة .

وقد لعب الطيران دورا هاما فى النقل والمواصلات فعلى الرغم من أن الخطوط البحرية تلعب أدوارا هامة فى النقل المحيطى والبحرى ، إلا أن بعض المحيطات تصعب فيها الحركة مثل المحيط المتجمد الشمالى - على الرغم من نجاح الروس فى تسيير خطوط منظمة من كسارات الجليد التى تربط بين الشرق الاقصى السوفيتى وموانى روسيا الشمالية - وكذلك القارة القطبية الجنوبية ذات السواحل المتجمدة ، كما كانت الصحراء الكبرى عقبة أمام أى مواصلات سريعة حتى عصر الطيران ، وقد مكن الطيران للإنسان من أن يقهر العقبات الطبيعية بين أجزاء العالم ورغم ذلك فإنه يصعب أن نتصور أن يحل الطيران محل النقل البحرى الذى يمكنه أن ينقل السلع الضخمة بحمولات كبيرة وبتكالفة أرخص كثيرا من الطيران ، وإن كان يبقى للطيران أهميته فى الحرب ، أما فى النقل المدنى فإنه انسب وسيلة لنقل السلع خفيفة الوزن غالية الثمن ولنقل الأشخاص ، ومن يدرى مع ذلك فقد يتطور الطيران فى المستقبل ، وخاصة إذا استخدمت الذرة كقوة محركة وعندئذ ستبدأ مرحلة انقلاب جديدة أو ثورة أخرى فى عالم النقل .

ويلاحظ أن أكثر أجزاء العالم ازدحاما بخطوط الطيران هى أكثر أجزائه أزدحاما بطرق النقل البرى والسكك الحديدية والموانى البحرية ايضا ، لأن ذلك كله يرتبط بالسكان والتطور الاقتصادى .

الفصل السادس

الحـــدود السياسية

اذا كانت الحروب تنشب بين الدول لأسباب مختلفة ، قد تكون التنافس الاقتصادى أو التهديد العسكرى ، فإن نتيجة الهزيمة أو النصر قد تسفر عن تعديل الحدود السياسية ، وقد تكون الحرب ذاتها نتيجة الرغبة فى تعديل الحدود السياسية ومحاولة الدول أن تمد نفوذها وحدودها على حساب أراضى دولة أخرى أو مجموعة من الدول ، ويحدث بعد الحروب الكبرى دائما تعديل فى الحدود ويكفى أن ننظر إلى خريطة القارة الأوربية قبل الحرب العالمية الأولى ثم بعدها ، وكذلك قبل الحرب العالمية الثانية ثم بعد انتهاء هذه الحرب لنرى كثيرا من التغير فى الحدود السياسية للدولة بل إن هذه التغيرات فى الحدود فى القارة الاوربية لم يكن يترتب عليها تعديلات فى الحدود فحسب بل كان ينتج عنها اختفاء بعض الدول ، وظهور دول أخرى جديدة لم يكن لها وجود من قبل نتيجة لظهور « الدولة القومية » .

فقبل الحرب العالمية الأولى كانت توجد عدة دول كبرى فى أوربا هى الامبراطورية الروسية والامبراطورية النمساوية المجرية وألمانيا ، بالإضافة إلى فرنسا وبريطانيا وبعد نهاية هذه الحرب ظهرت كل من بولندا وتشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا نتيجة لتفكك الامبراطورية النمساوية المجرية وتقلصها حتى أصبحت كل من النمسا والمجر من الدول الصغيرة فى أوربا ، وبالإضافة لذلك فقد حدث تعديل فى حدود روسيا - التى قامت بها الثورة الروسية أثناء تلك الحرب وكذلك

حدث تعديل فى حدود ألمانيا التى هزمت فى هذه الحرب ثم ما لبث أن حدث فى حدودها تعديل آخر وفقدت أنحاء كبيرة ضمت إلى كل من بولندا والاتحاد السوفيتى بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية بل إنها خرجت بعد الهزيمة مقسمة إلى دولتين هما ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية .

والحدود القاطعة الواضحة نادرة الحدوث فى الجغرافيا السياسية بل وفى الجغرافيا عامة فحتى حدود الأقاليم الطبيعية (المناخية والنباتية مثلا) ، هى حدود يكون الانتقال فيها تدريجيا من إقليم لآخر ، ولا تظهر فى الطبيعة كما تصورها الخرائط فى شكل خطوط محدودة ، بل إن أنواع النشاط البشرى تميل هى الأخرى إلى أن يكون الانتقال فيها تدريجيا من قطر لآخر ، وقد لا يثير خط الحدود السياسية الانتباه حين يعبره الانسان ، فمن فرنسا إلى بلجيكا أو من سويسرا إلى إيطاليا أو من ألمانيا إلى الدانمارك أو من سورية إلى لبنان أو من الجزائر إلى المغرب ، حين يفعل الانسان ذلك فإن من الصعب أن يذكر متى ترك دولة ودخل الأخرى ، وكل ما يثير انتباهه هو أنه فى نقطة معينة يخضع للوقوف وفحص أوراقه من جواز السفر وما يتعلق بالبضائع التى يحملها ليتم تقدير الجمارك عليها مثلا ، ولولا تلك العمليات لما أحس بالحدود مطلقا .

وخطوط الحدود السياسية هى التى تحدد نهاية الإقليم الذى تستطيع دولة ما أن تمارس داخله حقوق سيادتها ، وتمتد هذه السيادة لتشمل الأرض والمياة الاقليمية والمجال الجوى للدولة ، وعندما يرسم الخط السياسى على الخرائط ويضاهى على الطبيعة ، فإن ذلك يكسبه لونا من القداسة والشرعية ، ويصبح تعديله أمرا بالغ الصعوبة ، وقد تقوم الحرب بسببه حتى ولو كان هذا التعديل متمشيا مع قواعد الجغرافيا .

وخطوط الحدود السياسية أمر حديث جدا فى العالم ، ولا ترجع لأكثر من

القرن التاسع عشر فى معظم الأحوال ولا نجد اليوم سوى أماكن قليلة جدا فى العالم لم تخضع لوضع الحدود السياسية أو بمعنى أدق فإن الحدود السياسية فى هذه الأماكن القليلة لم ترسم على خرائط وإن كان لها نوع من التحديد ، وهذه الأجزاء القليلة التى لم تظهر لها خرائط تعترف بها الدول المعنية هى التى تنشأ بسببها كثير من مشكلات الحدود المحلية مثل مشكلة الحدود التى حدثت بين المغرب والجزائر حول منطقة تندوف فى غرب الجزائر أو مشكلة واحة البوريمى بين ابو ظبى والمملكة العربية السعودية أو واحة الوديعة على الحدود بين السعودية وبين جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية سابقا وإن كان ذلك لا يمنع من حدوث نزاع على بعض الحدود التى ظهرت لها خرائط وتعترف بها بعض الدول .

ويجب أن نفرق بين خطوط الحدود السياسية الدولية International Boundaries وهى التى تمثل خطوطا فعلية تصل بين نقطتين وهى التى تظهر على الخرائط السياسية الحديثة سواء مرت هذه الخطوط على اليابسة أو اخترقت أحد الأنهار أو البحيرات أو الخلجان البحرية ، وبين التخوم أو مناطق الحدود Frontiers التى لا تمثل خطا يفصل بين نقطتين ولكنها تمثل إقليما أو منطقة انتقال ذات أبعاد فى الطول والعرض ، وقد كانت مناطق التخوم أو الحدود هى الطابع المميز قبل أن تظهر خطوط الحدود فى العصر الحديث وبذلك فإن التخوم كانت هى الصورة الفعلية لمدى النفوذ السياسى للدول فى العصور القديمة والوسطى ، وكانت مناطق التخوم تظهر غالبا فى المناطق التى تفصل بين مجال نفوذ الدول الكبيرة فى العصور القديمة والوسطى مثل مناطق التخوم بين الدول العربية والإسلامية والدولة البيزنطية ، وكانت أهم أجزاء هذه التخوم هى المناطق التى تجبى عندها الضرائب .

وفى العصور القديمة كانت الصحارى المصرية تمثل تخوما طبيعية لمصر ،وان بقيت بعض المدن فى هذه الصحارى كقلاع للمراقبة ضد أى اعتداء ولجباية الضرائب أيضا ومنذ عصر الأسرات الأولى اتخذ المصريون مدينة غزة معسكرا لهم لحراسة مدخل مصر الشرقى ومدينة أسوان ، أو حلفا أحيانا لحراسة مدخل مصر

الجنوبى ، ولكن لم تكن توجد خطوط مرسومة عند هذه المدن ، وفى بعض المصادر الحديثة لا نجد تفريقا بين استخدام كلمة Boundary وكلمة Frontier على أساس أنهما يعنيان شيئا واحدا وهو فى هذه الحالة يترجم على أنه خط الحدود السياسية لأن التخوم بمعناها القديم لم يعد لها وجود فى عالمنا المعاصر الذى تحددت فيه الخطوط السياسية للدول جميعا إلى حد بعيد .

وإذا كانت التخوم قد اختفت من خريطة العالم السياسية فى الوقت الحاضر، فإنه يوجد عوضا عنها ما يعرف بالدول الحاجزة ، وهى تمثل مناطق انتقال حضارى وامتزاج للثقافات والمذاهب السياسية التى تحيط بها وهذه الدول الحاجزة Buffer States تمثل أيضا مناطق صدام فى حالة توتر العلاقات بين الدول التى توجد حولها ، ويعنى ذلك أنها قد تتحول إلى أرض معارك إذا نشبت الحرب بين هذه الدول وبعضها وكانت بعض هذه الدول تمثل حواجز بين الممتلكات الاستعمارية مثل « تايلند » فى جنوب شرقى آسيا التى كانت تفصل بين مستعمرات فرنسا فى الصين الهندية ومستعمرات بريطانيا فى كل من شبه القارة الهندية والملايو ، كما أن « أفغانستان » كانت تمثل دولة حاجزة بين الإمبراطورية الروسية والإمبراطورية البريطانية إبان سيطرة الأخيرة على شبه القارة الهندية ، ويعطينا التاريخ مثالا لهذه الدول فى أوربا حين قسمت امبراطورية شرلمان إلى قسم غربى تسوده الثقافة اللاتينية تحول فيما بعد إلى فرنسا ، وقسم شرقى جرمانى الثقافة ، وقسم وسط يمثل منطقة انتقال بين الثقافتين ، وفى عام ٨٧٠ قسم الجزء الأوسط بين القسمين الشرقى والغربى ، وهذا الجزء الأوسط توجد به حاليا كل من هولندا وبلجيكا ولكسمبورج ، وأقاليم الإلزاس واللورين وغرب سويسرا ، وقد شهدت هذه الأجزاء كلها فيما عدا سويسرا عديدا من الحروب ، كما تحولت كلها الآن إلى دول مستقلة فيما عدا الإلزاس واللورين التى اصبحت الآن جزءا من فرنسا .

وإذا كان الحد السياسى هو الذى يضع نهاية للمجال الاقليمى لإحدى الدول وبداية المجال الإقليمى لدولة أخرى ، فإنه بذلك كثيرا ما يفصل بين اللغات

والأفكار ونظم الثقافة الوطنية من إذاعة وصحف ومجلات وبرامج تليفزيونية ، كما أنه يفصل بين عدد من العناصر المادية مثل العملة المتداولة وأحيانا أنماط الطعام وعاداته ، أما أهم خصائص الحد السياسى فإنه يعين حدود التراب الوطنى والجيش الذى ينبغى على الأفراد أن يخدموا فيه والعلم الذى يمثل رمز الدولة ويطلب للأفراد أن يدفعوا عنه بأرواحهم وقت الحروب .

وفى بعض الأحيان تكون الحدود السياسية مجالا لمحاولات نشر الدعاية والدعاية المضادة وكثير من الدول تفحص الكتب والمجلات وغيرها من أوعية الفكر والفن قبل أن يسمح لها بعبور الحد السياسى كما أنه كثيرا ما يحال بين الأجانب وبين التصوير فى مناطق الحدود ، وقد أصبح من المشكلات المرتبطة بقوة الإرسال الاذاعى والتليفزيونى أن الدول لم تعد قادرة على محاربة الافكار التى تتسلل داخل اراضيها بالوسائل التقليدية وأصبح ثمة أجهزة موجهة للدعاية منذ الحرب العالمية الثانية ، وكثير من الدول لديها اذاعات موجهة بعضها يبث دعايات معادية والبعض الاخر يقدم خدمات ثقافية عبر حدوده السياسية ، كما أن تطور وسائل الاستقبال التليفزيونى أدى إلى أن أصبح العالم كله وحدة حضارية وثقافية ، ويمكن استقبال الإرسال فى كل أقطار العالم عن طريق الأطباق ، بل عن طريق بعض الأجهزة المزودة بوسائل التقاط الإرسال الدولى مباشرة .

وظائف الحدود السياسية :

يمكن أن نقسم وظائف الحدود السياسية بصفة عامة إلى ما يلى :

١ - فيما يتعلق بالأفراد أو الأشخاص :

الحدود هى مناطق الدخول البرى أو البحرى (المطارات وهى وسيلة الدخول جوا وتوجد عادة فى قلب الدولة وليس على الحدود) ، ومن ثم يمكن منع الأفراد من الدخول أو السماح لهم ويرتبط بذلك تباين سياسات الدول فيما يتعلق بتشجيع

الهجرة سواء للعمل أو للاستقرار وفى بعض الحالات لا يسمح بدخول الأفراد من جنسيات معينة إلى بعض الدول ، وتختلف الدول بالنسبة لمدى سهولة إعطاء تأشيرات دخولها للأفراد وبصفة عامة فإن الدول الديموقراطية أسهل فى إجراءات دخولها من الدول الدكتاتورية ، وكذلك الحال بالنسبة لمغادرة الموانى ولكن عمليات الإرهاب الدولى وحوادث اختطاف الطائرات أحدثت فى الأعوام الأخيرة كثيرا من المشكلات التى أدت إلي تعقيد إجراءات الدخول بالنسبة لمعظم دول العالم ، وكذلك إلى كثير من الدقة فى عمليات تفتيش الأشخاص وفحص أمتعتهم قبل السماح لهم بدخول إحدى الدول أو الخروج منها ، وبالإضافة إلى ذلك فإن لدى كثير من الدول قوائم تضم أفرادا يمنعون من دخول البلاد ، وفى دول أخرى توجد قوائم عكسية تضم المواطنين الذين يحظر خروجهم وتخطى الحدود السياسية للدولة - كما أن عمليات التهريب الواسعة عبر الحدود السياسية تؤدى إلى كثير من الإجراءات لمحاولة وقف أثارها التى تعتبر موجهة ضد اقتصاديات الدول وأمنها أحيانا .

٢ - فيما يتعلق بالسلع :

ويرتبط ذلك بأن الحدود تكون عادة مناطق تحصيل الضرائب والرسوم الجمركية على السلع والمنتجات التى تخرج من الدولة (الصادرات) أو التى تدخل إليها (الواردات) ، وكثيرا ما يرتبط بذلك بعض الإجراءات المتعلقة بالنقد أو العملات فبعض الدول لا تسمح بخروج عملتها خارج حدودها ، ولكن دولا أخرى تسمح بحرية تداول نقدها خارج حدودها ، كما أن كثيرا من الدول قد تمنع استيراد سلع معينة ، إما لعوامل سياسية كأن تمنع الاستيراد من دول تعتبرها معادية لها ومن أمثلة ذلك المقاطعة العربية للسلع والمنتجات الاسرائيلية ، وكذلك مقاطعة دول كثيرة فى العالم لمنتجات جنوب إفريقية كنوع من العقوبات التى اقرتها المنظمات الدولية بسبب سياسة التفرقة العنصرية التى كانت تتبعها ، وقد

تكون عوامل المنع اقتصادية ترتبط بالحد من استيراد السلع المنافسة لمنتجات تصنع أو تنتج محليا ، وقد يأخذ هذا الأمر صفة حادة يترتب عليها منع الاستيراد كلية أو فرض رسوم جمركية مرتفعة لتقليل الاستيراد دون منعه كلية ، وقد يؤدى ذلك إلى نشاط فى مجال التهريب ، كما أن بعض السلع يحظر دخولها إلى معظم الدول لخطورتها على الأمن والصحة مثل المخدرات التى يمنع دخولها إلا لأغراض طبية ومع ذلك فإنها تهرب إلى معظم دول العالم لأرباحها الخيالية .

وإلى جانب هذه الوظائف للحدود وقت السلم فإن الحدود السياسية فى أوقات الحروب تكون لها وظيفة أخرى ، وثمة بعض المشكلات المتبطة بالحدود السياسية من النواحى العسكرية مثل نزع السلاح فى بعض المناطق المجاورة للحدود ، ومن أمثلة ذلك بعض المناطق بين الدول العربية واسرائيل ولكن تطور الأسلحة الحديثة ومداها البعيد قلل كثيرا من أهمية المناطق منزوعة السلاح التى كانت لها قيمة أكبر فى مجال الأمن القومى حين كانت الأسلحة المستخدمة أسلحة تقليدية وتعتمد أساسا على المشاة والمركبات البرية .

أنواع الحدود السياسية :

ثمة كثير من التقسيمات لأنواع الحدود السياسية ، وإذا اعتمدنا على تقسيم « بوجز Boggs » لأنواع الحدود ، فإن هذه الاقسام تكون كما يلى :

أولا : الحدود الطبيعية وهى التى تتبع الظاهرات الطبيعية وتشمل :

١ - الجبال وفيها تتبع الحدود إما القمم الجبلية أو خطوط تقسيم المياه .

٢ - الصحارى .

٣ - البحيرات والخلجان والمضايق وتتبع الحدود فيها أحد الاسس التالية :

(أ) خطوط التوسط Median Lines

(ب) القنوات الملاحية الرئيسية .

(جـ) الضفاف أو الحواف Bank or margin

٤ - الأنهار أو القنوات ، وفيها تتبع الحدود إما أكثر الأجزاء عمقا من المجرى Thalweg أو خطوط التوسط أو الضفاف .

٥ - المستنقعات .

٦ - الحدود فى المياة الإقليمية إلى البحر العالى

٧ - خطوط المناسيب (الكنتور) التى لا تكون منها ضفاف الأنهار أو البحيرات

ثانيا : الحدود الهندسية ، وهى تشمل :

١ - الخطوط المستقيمة (مثل خطوط الطول والعرض أو أى أقواس من دوائر عظمى) .

٢ - الخطوط الموازية لأحد خطوط الطول أو دوائر العرض أو الناتجة عن تقاطعهما .

٣ - اقواس تمثل جزءا من دائرة .

٤ - الخطوط الموازية لشاطىء النهر أو ساحل البحر أو تمتد على مسافة متساوية منه .

ثالثا : الحدود الانثربوجغرافية وتشمل :

١ - الحدود القبلية .

٢ - الحدود اللغوية .

٣ - الحدود الدينية .

٤ - الحدود الاقتصادية .

٥ - الحدود التاريخية .

٦ - الحدود الثقافية .

٧ - حدود الملكية أو الحدود الكادسترالية .

رابعا : الحدود المركبة وهى التى تكون حدودا تضم خليطا من العناصر السياسية أو تكون حدودا توفق بين بعض هذه العناصر .

على أن هذه التقسيمات لأنواع الحدود السياسية لا تعنى أن أى نوع منها منفصل كلية عن غيره ، ومن أمثلة ذلك أن الحدود فى الصحارى قد تكون مستنقعات أو مناطق سبخات ، وكذلك قد تكون الحدود فى إحدى البحيرات أو فى الصحارى حدودا فلكية تسير فى خط مستقيم أو تمثل جزءا من دائرة عظمى أو عددا من الأقواس الصغيرة ، كما أن المناطق المحايدة وهى لا تعتبر داخلة فى أى تقسيم من الأقسام السابقة لأنها ليست حدودا سياسية قد تستحق بعض الذكر ، ومن أمثلة هذه المناطق المحايدة منطقتان على حدود المملكة العربية السعودية إحداهما مع العراق والأخرى مع الكويت ، وقد تحددت هاتان المنطقتان فى عام ١٩٢٢ وتم الاتفاق على ألا توجد فيهما أيه قوات ، وحين تم الكشف عن البترول فى المنطقة الجنوبية منهما وهى التى تقع بين السعودية والكويت ، وكذلك فى المنطقة الشاطئية المقابلة لها على الخليج ، فقد تم الاتفاق على أقتسام العوائد بين الدولتين ، وقد اتفق أخيرا على اقتسام هذه المنطقة التى ألفت الجماعات الرعوية فى الماضى أن تعبرها فى رحلاتها الفصلية سعيا وراء العشب والماء .

الأنهار كمثال للحدود الطبيعية :

الأنهار عامل وحدة منذ أقدم عصور التاريخ ، فعلى ضفاف النهر يعيش عادة شعب واحد أو جماعة كبيرة ، وحضارات العالم القديم ، مثل الحضارة

المصرية وحضارات العراق والهند والصين كلها قامت على ضفاف الأنهار ، ولم يحدث أن قامت إحدى هذه الحضارات على ضفة واحدة من النهر وهذا يعنى أن الأنهار كانت مراكز تجمع بشرى حولها ووسائل للنقل والربط بين الأقاليم وليست عوامل فصل أو عزلة .

ولكن فى العصور الوسطى كانت امبراطورية « شرلمان » فى القرن التاسع مقسمة إلى ثلاثة أقسام تمتد عرضيا فى غرب أوربا تفصل بينهما ثلاثة أنهار هى السين والنيمن والراين ، وقد سار جغرافيو القرن الثامن عشر على هذه القاعدة الخاصة باتخاذ الأنهار أو روافدها كحدود سياسية أو طبيعية .

وتوجد اليوم كثير من الأنهار التى تمثل حدودا سياسية بين الدول الأوربية مثل الدانوب الذى يفصل بين كل دولتى التشيك والسلوفاك وبين المجر فى جزء من مجراه ، ثم يفصل بين رومانيا وكل من بلغاريا ويوجوسلافيا السابقة فى جزء أخر من مجراه وكذلك الحال بالنسبة للقارات الأخرى ففى أمريكا الشمالية يعتبر نهر « ريوجراند » حدا سياسيا بين الولايات المتحدة والمكسيك فى معظم مجراه ، وفى إفريقية يعتبر نهر لمبوبو حدا سياسيا بين زمبابوى وجنوب إفريقية ، ونهر أورانج فى مجراه الأدنى يعتبر حدا سياسيا بين ناميبيا وجنوب افريقية ، ونهر الكونجو يفصل فى جزء كبير من مجراه بين جمهـورية زائير وبين جمهورية الكونجو ، كما يفصل رافده الأويانجى بين زائير وجمهورية إفريقيا الوسطى ، ويفصل نهر روفوما بين تنزانيا وموزمبيق ونهر سنغال فى مجراه الأدنى يفصل كلا من موريتانيا والسنغال كما أن بعض أجزاء نهر الفولتا تعتبر حدودا سياسية بين كل من غانا وساحل العاج وبركينافاسو ، والجزء الأدنى من مجرى نهر كونينى يفصل بين أنجولا وناميبيا .

وفى القارة الآسيوية يفصل آمور ورافده أوسورى بين بعض أجزاء الصين

وروسيا ، وقد قامت بعض المشكلات بين الدولتين بسبب النزاع على الحدود فى هذه المنطقة والخاصة بملكية بعض الجزر فى مجرى النهر

كما أن نهر ميكونج يمثل حداً سياسيا فى جزء من مجراه بين كل من لاووس وتايلند ويمثل شط العرب حدا بين كل من العراق وايران ، وكثيرا ما قامت مشكلات حول الملاحة فيه بين الدولتين وبسبب ذلك قامت الحرب بينهما ثمانى سنوات ولعل نهر الأردن ومشكلاته المائية بين كل من لبنان والأردن واسرائيل يعتبر واحدا من الأنهار الصغيرة التى أثارت عديدا من المشكلات السياسية وإن كان الأمر يرتبط بمشكلة أكبر وهى مشكلة فلسطين والنزاع العربى الاسرائيلى .

ولكن اتخاذ الأنهار كحدود سياسية قد تترتب عليه ثلاثة أنواع من المشكلات هى :

١ - أن الانهار أَلِفَتْ أن تغير مجاريها ، ويتضح ذلك على نحو خاص فى الأجزاء التى تكثر بها المنعطفات والثنيات النهرية أو تلك التى تكون عرضة للفيضانات العنيفة .

٢ - أن إدخال أى تعديلات على نظام جريان النهر مثل إقامة الأعمال الهندسية من قناطر وخزانات وسدود أو سحب أى كميات من مياه النهر لاغراض الرى يؤثر على ضفاف النهر .

٣ - أن السهول الفيضية والأراضى الزراعية على كلا جانبى النهر ، تجتذب السكان وتستدعى تعاونهم فى إقامة حياة مشتركة .

ويلاحظ أن معظم المشكلات المرتبطة بالحدود النهرية ترتبط إما بالتعاريف أو التحديد ، أما فيما يتعلق بالتعريف فهو يرتبط بتعريف المجرى المائى بين وجهة نظر الجغرافيا الطبيعية ، وكذلك تعريف خط الحدود ، واتفاق الأطراف المختلفة على هذا التعريف ، أما التحديد فإنه يصبح أمرا سهلا إذا كان النهر قد تم

إخضاع مجراه لعمليات مساحية دقيقة ورسمت له خرائط عليها المعالم الطبغرافية والأسماء الثابتة للأماكن ، أما إذا كانت مناسيب النهر دائمة التغيير فإن هذا يمكن أن يؤدى إلى عديد من المشكلات وقد يكون المخرج فى هذه الحالة هو اللجوء إلى اقامة منشأت هندسية ثابتة مثل الذى حدث فى بعض الأجزاء التى توجد بها المستنقعات أو أجزاء المجرى الاخدودية فى نهر الراين أو فى نهر ريوجراند .

وأما أمثلة استخدام العناصر الثلاثة المرتبطة بالانهار فهى كما يلى :

١ - حالة استخدام إحدى الضفاف أو الشط The Shore كحد سياسي وفيها يكون المجرى المائى كله تابعا لإحدى الدول ، كما هو الحال بالنسبة لشط العرب ، ففى عام ١٩١٤ رسم الحد السياسى على أساس أنه يتفق مع أدنى منسوب لمستوى الماء على الضفة اليسرى أو على الشاطىء الإيرانى ولكن ذلك أثار كثيرا من المشكلات قبل أن توقع اتفاقية صداقة يترتب عليها استخدام ايران لحقوق الملاحة فى شط العرب والوصول إلى كل من مينائى عبادان وخورا مشهر وقد حدث ذلك فى عام ١٩٣٩ (١) .

٢ - فى حالة استخدام أكثر اجزاء المجرى عمقا Thalwegوكثيرا ما يستخدم هذا الحد فى الاتفاقيات الدولية المرتبطة بالأنهار الملاحية ، والتعريف يرتبط بالقطاع العرضى لمجرى النهر ، وكانت بعض المعاهدات المبكرة تخلط بين أكثر أجزاء المجرى عمقا والجزء الأوسط من قناة المجرى الرئيسية على أساس أنهما شىء واحد يرتبط بالخط المنتظم الذى يمثل أعمق أجزاء المجرى ، ورغم أن الثالويج ليس خطا ثابتا تماما فإنه أكثر ميلا إلى الثبات من الخط الأوسط للمجرى .

---

(١) وقعت اتفاقية ثانية بين إيران والعراق فى الجزائر عام ١٩٧٥ ، ولكن العراق نقضها فى عام ١٩٨١ وقامت الحرب العراقية الايرانية حتى عام ١٩٨٨ ثم اعترف العراق مرة أخرى باتفاقية الجزائر فى عام ١٩٩٠ قبل اجتياحه للكويت .

٣ - **فى حالة استخدام خط التوسط** Median line : قد يحدث كثير من اللبس بالنظر إلى أن خط التوسط يمكن أن يتغير موضعه تبعا لتغير مستوى الماء وشكل المجرى المائى ، وهو ما يحدث لنهر الراين بين ألمانيا وسويسرا ، وأكثر من ذلك فإن قناة المجرى العميق (ثالويج) قد تكون كلها فى جانب واحد من خط التوسط مما يحرم بعض الدول من مزايا تحصل عليها دول أخرى .

هذا وقد ظهر أكثر من تعريف لخط التوسط منها :

(أ) أنه يتوسط المجرى المائى : أو أنه الخط الواصل بين كل المسافات المتساوية على كل من الضفتين .

(ب) أنه الخط الذى يوازى الخط العام للضفاف ويقسم السطح الافقى للمساحة المائية إلى قسمين متساويين .

هذا وقد اقترح « بوجز » تعريف خط التوسط بأنه « الخط الذى تكون كل نقطة فيه على مسافة متساوية من أقرب نقطة أو نقط على الشاطئين المتقابلين لبحيرة أو نهر » وبمقتضى هذا التعريف فإن خط التوسط يكون أكثر وضوحا وإن كانت الجزر التى تقع فى قلب المجرى لاتزال تمثل مشكلة .

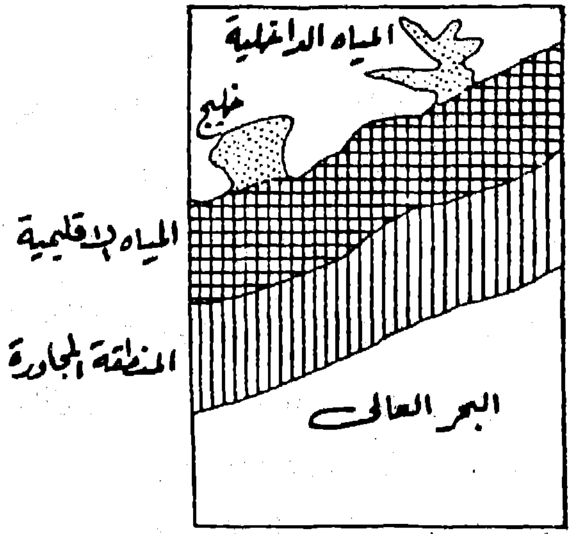
السواحل كحدود طبيعية :

يضم عالم اليوم أكثر من ١٨٠ وحدة سياسية ، ومن هذه الوحدات أكثر من ٣٠ دولة داخلية ليست لها سواحل (بعضها من دويلات الجيب) ، ويوجد فى أوربا عشر من هذه الدول الداخلية وخمسة دول فى آسيا ، ودولتان فى أمريكا الجنوبية أما أكبر عدد من الدول الداخلية فيوجد فى قارة إفريقية وهو ١٤ دولة ، كما توجد فى العالم دول أخرى كاملة الجزرية أى تتكون من جزر كاملة دون أن تشترك مع غيرها من الدول فى أى حدود برية ، أما معظم دول العالم فهى بحرية بدرجة أو أخرى ، ومن هنا فإن السواحل تشكل جزءا كبيرا من الحدود لمعظم دول

العالم ، وترتبط بالحدود البحرية ، التى تعتبر حدودا طبيعية من الدرجة الأولى ، كثير من المشكلات المتعلقة بالمياة الإقليمية وحقوق الصيد والملاحة واستغلال الثروات البحرية من معادن وأملاح والبحث عن البترول فى المناطق الشاطئية ، ولبعض الممرات المائية الدولية أهمية استراتيجية بالغة تنظمها الاتفاقيات والمعاهدات الدولية عادة (وقد سبقت الاشارة إلى بعض هذه الممرات الدولية) .

وفى القرن السادس عشر كانت إسبانيا والبرتغال تدعيان السيطرة على معظم المسطحات المائية للبحار والمحيطات على سطح الكرة الأرضية حتى أن البابا أصدر بيانا يرسم الحدود البحرية بين هاتين القوتين فى ذلك الوقت ولكن فى القرن السابع عشر أعلن المحامى الهولندى « هيجو خروتيوس Hugo Grotius » أنه لا يحق لأى دولة أن تسيطر على البحر المفتوح ، وإن كان قد ظهر من يعارضه فى انجلترا وهو القاضى الانجليزى جون سيلدن John Selden الذى كان من رأيه أن انجلترا « تملك » البحار التى تحيط بالجزر البريطانية وتفصلها عن أوربا ، ولكن ما لبثت أن تعددت الآراء المتعلقة بحق السيطرة على بحار العالم ولعل عام ١٧٠٢ أو مطلع القرن الثامن عشر هو الذى شهد بداية ظهور الفكرة التى تبناها القانون الدولى للبحار بعد ذلك والتى تحدد مدى المياة الاقليمية حيث ظهر للمؤلف كورينليوس فان بنكرشوك Cornelius Van Bynkershoek فى رسالة له عنوانها السيطرة البحرية De Dominio maris وقد ذكر فى هذه الرسالة أنه إذا كان البحر يعتبر ملكية عامة للجميع ، فإن السيطرة على البحار المجاورة تكون منطقية إذا اتفقت مع مدى مرمى قذيفة المدفع وتخضع لسيطرة أولئك الذين يملكون الساحل ، وما لبث أن اصبح ذلك أمرا مقبولا من معظم دول العالم وبناء على أن اقصى مسافة كانت تصلها قذيفة المدفعية فى مطلع القرن الثامن عشر كان مداها ثلاثة أميال بحرية ، فقد أصبحت هذه المسافة هى مدى المياة الاقليمية (بداية القرن الثامن عشر) ، ويبدأ بعدها البحر العالى أو المفتوح .

وحتى الآن فلا تزال بعض الدول تحدد مياهها الإقليمية بثلاثة أميال بحرية إلا أن تطور المدفعية أدى إلى أن عمدت بعض الدول إلى مد مياهها الإقليمية بما يتفق مع هذا التطور ، ولهذا تدرج مد المياة الإقليمية من أربعة أميال إلى ستة أميال ثم إلى عشرة أميال ثم إلى اثنى عشر ميلا ، وعلى الرغم من ارتباط طول ومدى المياة الاقليمية بالدفاع ، فإن ثمة عددا من العوامل الأخرى التى ترتبط بذلك مثل محاربة التهريب ، وبناء على ذلك فقد مدت بريطانيا حدود مياهها الاقليمية لهذا الغرض لتصبح تسعة أميال بحرية وكان ذلك فى عام ١٨٧٦ ، ثم مدت الولايات المتحدة الأمريكية حقوقها فى المياة الاقليمية إلى أربعة فراسخ (١٢ ميلا بحريا) من الساحل ، ومن الطبيعى أن حقوق الصيد فى المياة الاقليمية لا تكون إلا لرعايا الدولة صاحبة السيادة على المياة الاقليمية أو لمن تسمح لهم من رعايا الدول الاخرى ، وقد أثار ذلك كثيرا من المشكلات ولعل من هذه المشكلات ما يرتبط بحقوق السفن البريطانية فى الصيد فى المياه الاقليمية لأيسلندا ففى عام ١٩٤٨ قرر البرلمان الايسلندى أن تكون حقوق الصيد فى الرفرف القارى حول الجزيرة وفقا على الإيسلنديين ، ثم فى عام ١٩٥٢ مدت حكومة أيسلندا هذا الحق إلى إربعة اميال بحرية من هذا الخط ، وفى عام ١٩٥٨ مدت أيسلندا هذا الحق إلى ١٢ ميلا بحريا ومنعت سفن الدول الأخرى من الصيد فى تلك المياة ، وقد أثر ذلك بالدرجة الأولى على أساطيل الصيد البريطانية والألمانية وقد أثار قرار حكومة أيسلندا فى عام ١٩٥٢ كثيرا من المعارضة والاحتجاج فى بريطانيا ثم أدى قرارها فى عام ١٩٥٨ إلى مزيد من المعارضة البريطانية وأخذ الأسطول البريطانى يتولى حراسة سفن الصيد البريطانية التى تعمل فى هذه المناطق المائية التى أعلنت أيسلندا تبعيتها لها ، واستمر الأمر على هذا النحو حتى قررت ايسلندا فى السبعينات أن تمد حقوق الصيد فى مياهها إلى مسافة خمسين ميلا وقررت أن تقوم السفن الحربية التابعة لها بمنع سفن الصيد البريطانية



أقسام المناطق الساحلية

شكل رقم (١٩)

من العمل فى هذه المياه ، وكانت الزوارق الحربية الأيسلندية تصطدم أحيانا بالسفن الحربية البريطانية ، ومن المشكلات المماثلة ما يواجهه أسطول الصيد اليابانى فى المحيط الهادى أمام السواحل الروسية أو غيرها وهى مناطق ظل الأسطول اليابانى يرتادها لفترة طويلة ولكنه منع من ذلك ، كما تواجه السفن الأوربية وخاصة الإسبانية مشكلة مماثلة أمام السواحل المغربية ، وكثيرا ما تواجه سفن الصيد المصرية مشكلات أمام سواحل كل من السودان وايتريا واليمن . وقد مدت بعض دول أمريكا الجنوبية مثل شيلى وبيرو وإكوادور حق الصيد فى مياهها الاقليمية إلى ٢٠٠ ميل ومدت المغرب هـذه الحقوق أمام سواحلها ٥٠ ميلا .

هذا ، ويمكن عموما تقسيم المناطق الساحلية إلى الاقسام التالية التى قد لا تتوفر فى كل السواحل ، ولكنها يمكن أن توجد جميعا فى بعضها :

١ - المياة الداخلية : Internal Water

وهي تضم الخلجان والمصبات الخليجية والبحيرات الساحلية التى تقع داخل الخط الذى يبدأ منه قياس البحر الاقليمى .

٢ - البحر اقليمى : Territorial Sea

وهو يمتد من خط أساسى ، يكون غالبا خط الساحل فى حالة حدوث أدنى جزر أو أى خط مشابه اخر يصل بين عدد من النقاط الثبتة إلى مسافة محدودة فى البحر أو المحيط وفى داخل هذه المياة الإقليمية تكون سيادة الدولة مطلقة .

٣ - المنطقة المجاورة أو المتصلة Contiguous Zone

وهى نطاق يتفاوت فى اتساعه من دولة لأخرى ، وتمارس الدولة داخل هذا النطاق بعض الحقوق مثل حق التفتيش على السفن لمنع التهريب وأحيانا يكون هذا النطاق هو الذى يحظر فيه على السفن الأجنبية حقوق الصيد ، أو تعلن الدولة صاحبة الشأن عن امتلاكها لأى ثروات تكتشف فى قاع البحر فيه .

٤ - الرفرف القارى : Continiental Shelf

ويلاحظ أنه يصعب فى حالات كثيرة التفرقة بين الرفرف القارى والمنطقة المجاورة التى سبقت الإشارة إليها ، وعلى أى حال فإن معظم الحقوق المتعلقة بالرفرف القارى تتعلق بالثروات المعدنية ، وإن كانت بعض الحالات القليلة تجعل حق الصيد فيه وقفا على الدول التى تشرف سواحلها عليه ، وفى بعض الأحيان تعلن الحكومات عن امتلاكها للثروات فى هذه المناطق أيا كانت أعماقها ، كما حدث فى إعلان لحكومة بيرو عام ١٩٤٧ ، ومعنى ذلك تجاوز حدود الرفرف القارى كثيرا .

٥ - البحر العالى : High Sea

وهو المنطقة التى تشكل معظم المسطحات المائية للبحار والمحيطات ، ويكون للسفن من كل دول العالم ومن مختلف الجنسيات ، حق المرور فى البحر العالى دون اعتراض ، ولا تملك أى دولة سلطة سياسية على البحر العالى أو المفتوح ، ومما يجدر ذكره ، أن المساحات المائية التى تمثل البحار العالية هى الأجزاء الوحيدة

من سطح الكرة الأرضية التى لا تخضع لسلطة سياسية من أى نوع ولا تدخل ضمن سيادة أو مجال أى دولة .

الحدود الهندسية:

تضم الحدود الهندسية عددا من الأقسام الفرعية كما يلى :

١ - الحدود الفلكية وهى التى تتفق إما مع خطوط الطول وتتجه من الشمال إلى الجنوب وإما مع دوائر العرض فتأخذ اتجاها من الشرق إلى الغرب .

٢ - الحدود التى تأخذ شكل خطوط مستقيمة أو دوائر لا تتفق مع أى خط من الخطوط الفلكية ، وقد تأخذ زوايا معينة على هذه الخطوط .

٣ - الحدود التى تمتد موازية أو على مسافات متساوية من أحد الأنهار أو السواحل ومعنى هذا أنها تربط بخط طبيعى ولكنها لا تلتزمه .

وبصفة عامة فإن الحدود الهندسية بأنواعها المختلفة تكون نتيجة للاتفاقيات والمعاهدات والمؤتمرات الدولية ، ولابد من توقيعها على خرائط دقيقة وتعتمد من الأطراف ذات الشأن ، وعندما يتم الاتفاق على هذه الحدود على موائد المفاوضات ودون تحقق من دقة البيانات على الطبيعة فقد يؤدى هذا إلى مفارقات كما حدث عندما خططت الحدود بين نيجيريا والكاميرون فى عام ١٩٠٣ فقد كان كل من البريطانين (الذين كانوا يستعمرون نيجيريا) والألمان (الذين كانوا يستعمرون الكاميرون) يحددون خطوط الطول بطريقة مختلفة تعتمد على ملاحظة القمر ، مما نتج عنه اختلاف فى النتائج الحسابية لكل من الطرفين ولكن استخدام أجهزة القياس الحديثة يحول الآن دون حدوث مثل هذه الأخطاء .

والحدود الفلكية تكون أكثر ظهورا فى المناطق التى تعرضت للاستعمار غالبا ولذلك فإن معظمها يوجد خارج القارة الأوربية التى رسمت شعوبها خلال مرحلة الاستعمار معظم الحدود السياسية لبقية قارات العالم ، وقد تتعرض بعض هذه الحدود الهندسية للتعديل كما حدث بالنسبة لخط الحدود السياسية بين سورية

والعراق فقد كان الخط الهندسى الأصلى الذى رسم بين كل من نهرى دجلة والفرات يقسم جبل سنجار الذى تعيش عليه عدة قبائل رعوية ، وقد درست إحدى لجان عصبة الأمم منطقة جبل سنجار وأوصت بضم المنطقة إلى العراق بعد تعديل الحدود وقد تم ذلك فعلا .

ومن الحدود الفلكية التى تتمشى مع خطوط الطول خط ١٤١° غربا بين ألاسكا ومنطقة يوكون الكندية ، ويمثل هذا الخط حد الأراضى الروسية فى ألاسكا قبل بيعها للولايات المتحدة فى عام ١٨٦٧ ، وكذلك فإن الحد الشرقى لدولة ليبيا ابتداء من خط ٢٠° شمالا يتفق فى معظمه مع خط طول ٢٥° شرقا سواء مع جمهورية السودان ، أو مع مصر حتى قرب دائرة عرض واحة سيوة .

أما بالنسبة للحدود السياسية التى تتفق مع دوائر العرض فإن أشهرها فى العالم القديم هو خط الحدود المصرية السودانية الذى يتفق مع خط عرض ٢٢° شمالا ، كما أن كثيرا من الحدود الإفريقية فى أنجولا وموريتانيا وغينيا الاستوائية وبين أوغندا وتنزانيا عبر بحيرة فكتوريا كلها تتفق مع دوائر العرض . وفى العالم الجديد فإن أشهر هذه الحدود هو دائرة العرض ٤٩° شمالا التى تمثل خط الحدود السياسية بين كندا والولايات المتحدة ابتداء من Lake of the Woods حتى المحيط الهادى ، وهذا الخط لا يأبه بأى ظاهرات طبيعية يخترقها من جبال أو سهول ، ومنذ عام ١٨٤٤ فإن هذا الخط من أهدأ الحدود السياسية فى العالم بعد إجراء بعض التعديلات الصغيرة عليه نتيجة لأنه عندما تم تحديده لم تكن ثمة بيانات دقيقة عن شكل البحيرة ، وحين أجريت عمليات المسح ورفع البيانات على خرائط اتضح أن خط الحدود يقطع البحيرة خمس مرات وأنه توجد منطقتان من الأسافين الأمريكية تحيط بها المياه الكندية ولتفادى هذه التعقيدات تم تعديل خط الحدود .

أما بالنسبة للحدود التى تسير على مسافات وأبعاد متساوية من مجرى أحد الانهار أو من خط الساحل ، فإن أكثرها شهرة هو حدود جامبيا فى غرب

إفريقية فحدود هذه الدولة تسير على بعد عشرة كيلو مترات على جانبى النهر فيما عدا فى الغرب حيث تصبح الحدود خطوطا هندسية مستقيمة ليست موازية لمجرى النهر .

أما الخطوط التى تتبع فيها الحدود السياسية مسافات متساوية من خط الساحل فإنها كثيرا ما تكون بالغة التعقيد ومنها بعض حدود ألاسكا ، فعندما تم شراء ألاسكا من روسيا كان خط الحدود بمقتضى اتفاقية البيع هو ما يقع إلى الشمال من خط عرض ٥٦° شمالا ، ويتبع قمم الجبال الموازية للساحل حتى يلتقى بخط ١٤١° غربا ، ولكن لما كانت لا توجد قمم جبلية قرب الساحل الذى تكثر به التعاريج والخلجان والألسنة وتقابله جزر كثيرة فقد أدى هذا إلى كثير من النزاع بين الولايات المتحدة وكندا واستمر ذلك عدة اعوام ، وفى النص الفرنسى لبعض المعاهدات بين روسيا وبريطانيا فى عام ١٨٢٥ (وهو الذى تم بمقتضاه اتفاقية البيع إلى الولايات المتحدة فى عام ١٨٦٧) أن خط الحدود يتبع قمم الجبال التى تمتد موازية للساحل على بعد عشرة أميال بحرية من المحيط ، ويرسم الخط موازيا لتعرجات الساحل ونشأت المشكلة عن غموض التعريفات فمثلا لم يوضح معنى القمة ، وهل هى خط تقسيم المياه ، وكذلك لم يوضح المقصود بالساحل أو الشاطىء ، فهل يقصد به حد البحر المفتوح أم انهاية المياة الساحلية وهل هو خط المد أم خط الجزر ؟ وماذا تعنى كلمة المحيط فى الأجزاء التى تقابلها جزر ، فهل يبدأ المحيط بين الجزر واليابسة أم فيما وراء الجزر ؟ وهل يوجد فارق بين الساحل وتعرجات الساحل ؟ وكانت كل دولة من الدولتين تفسر النص الغامض لصالحها ، وفى عام ١٩٠٥ قامت لجنة تضم ثلاثة أعضاء من الولايات المتحدة وعضوين من كندا وعضو من بريطانيا برسم خط الحدود المتعرج الذى يربط بين القمم الجبلية ويوازن بين مطالب الدولتين ، ورسم خط الحدود موازيا للساحل حتى لو كانت القمم الجبلية تبعد عن الساحل بأكثر من عشرة أميال .

الفصل السابع

الخريطة السياسية للعالم المعاصر

تمثل الخريطة السياسية للعالم المعاصر نتاجا لتطور طويل مرت به الأمم والشعوب ، وانعكس هذا التصور على شكل العالم ووحداته السياسية ، وقد اختلف عدد الدول على خريطة العالم من وقت لآخر ، كما اختلفت أوزان الدول وأقدارها من عصر لآخر ، وإذا كانت المجتمعات البشرية الأولى قد شهدت بداية التنظيم الاجتماعى الذى طور الجماعات البشرية فى شكل العشيرة والقبيلة ، فإن التنظيم السياسى قد أدى إلى ظهور الدول بدرجات متفاوتة ، حيث بدأت الدول ذات المساحات والأبعاد الصغيرة المحدودة ، ثم نمت بعض هذه الدول لتشكل امبراطوريات كبيرة وتوسع بعضها وامتد ليشهد العالم قوى كبرى تمتد عبر القارات ، ثم أدت الحروب والصراعات إلى اختفاء دول وظهور دول أخرى محلها ، وأحيانا إلى اندماج دول وظهور كيانات دولية جديدة ، وفى كثير جدا من الأحيان يبقى الماضى فى ذاكرة الشعوب ، ويسبب ذلك كثيرا من صور التوتر التى تتمثل فى أن بعض الأقليات والجماعات التى تشعر بالظلم تشكل نقاط ضعف وبؤر توتر فى جسم الدول التى تعيش بها ، وقد تسعى إلى الاستقلال أو الانفصال حينا ، أو الالتحاق بجماعة أخرى تعيش فى دولة أو دول مجاورة .

وقد مرت خريطة العالم السياسية بكثير من التطورات ، ولعل التغيرات التى حدثت على هذه الخريطة فى القرن العشرين تفوق فى تفصيلاتها كل ما جرى من تغيير فى الماضى ، فقد بدأ هذا القرن ومعظم خريطة العالم موزعة على صورة دول تابعة أو أقاليم تخضع لقوى الاستعمار الأوربى ، وكانت القوى الدولية هى

القوى الاستعمارية الكبرى ، ثم قامت الحروب العالمية الأولى فاحدثت انقلابا فى موازين القوى وانتهت هذه الحرب باختفاء بعض هذه القوى وتفتت بعضها الآخر ، كما قسمت ممتلكات ومستعمرات بعض الدول التى هزمت فى هذه الحرب على الدول المنتصرة ، وقامت الحرب العالمية الثانية فاحدثت هى الأخرى انقلابا آخر فى موازين القوى ثم أنتهى الأمر بعد هذه الحرب بهزيمة مروعة لبعض الدول ، بل إن بعض هذه الدول قد هزمت قبل نهاية الحرب فقد اجتاحت جيوش هتلر كثيرا من الدول الصغيرة فى أوربا ، وأنتهى الأمر بهزيمة ألمانيا وتقسيمها ، وأدى ذلك إلى مزيد من تطور الشخصية القومية لدى شعوب المستعمرات ، وقامت حروب التحرير فى كثير من أجزاء العالم التى خضعت طويلا للاستعمار وبدأت قبضة دول الاستعمار تتراخى وتهاوت سيطرة تلك الدول تدريجيا فى نفس الوقت الذى بدأ عدد الدول المستقلة الحديثة يتزايد ، وتصبح تلك الدول حديثة العهد بالاستقلال أعضاء جددا فى المجتمع الدولى .

وإذا كانت دول العالم القديم قد نشأت فى معظمها ، مرتبطة بحضارات الانسان الأولى ، وخاصة حول البحر المتوسط ، وفى المنطقة التى تلتقى فيها القارات الثلاث المشكلة لهذا العالم القديم ، حيث نشأت مصر وفينيقيا ومن بعد ذلك نشأت امبراطوريات اليونان والرومان ، هذا إلى جانب دول أخرى فى مناطق الحضارات النهرية فى كل من العراق والهند والصين وغيرها ، فإن ذلك قد أدى إلى أن أصبحت هذه المنطقة - حوض البحر المتوسط - لفترة طويلة مهدا لقوى العالم الكبرى ، وظل ذلك حتى قامت حركة الكشوف الجغرافية فانتقل مركز القوى إلى دول كانت هامشية بالنسبة لعالم البحر المتوسط ، وهى أسبانيا والبرتغال ، ثم من بعدهما بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا التى كونت لنفسها مستعمرات واسعة سواء فى العالم القديم أو العالم الجديد الذى تم اكتشافه ، وقدر للقارة الأوربية أن تلعب الدور الأكبر فى رسم الخريطة السياسية للعالم عن

طريق الاستعمار والتوسع ، كما أن التقدم العلمى مكن لهذه الدول من أن تسيطر على الأرض التى تسكنها شعوب أخرى لم تنل من التقدم العلمى ما يمكنها من المنافسة أو المقاومة فأصبحت دولا تابعة ومستعمرات .

ثم حدث صراع بين القوى الأوربية وبعضها البعض ، كما شاركت فى هذا الصراع قوى أخرى غير أوربية ، ومن هذه القوى اليابان فى آسيا والولايات المتحدة الأمريكية فى نصف الكرة الغربى ، وقد أسفر ذلك عن توسع هائل لليابان وتكون أمبراطورية واسعة على نمط الامبراطوريات الغربية ، وعن توسع ألمانيا التى سعت هى الأخرى لتكون امبراطورية واسعة على الرغم من أن نشأة ألمانيا كدولة موحدة فى أوربا لم يحدث إلا فى القرن التاسع عشر ، وهو أمر يصدق أيضا على إيطاليا الحديثة . غير أن الصراع على زعامة العالم بعد الحرب العالمية الثانية كان بين قوتين شكلتا قطبى الصراع وهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى وظل الأمر كذلك حتى تفكك الاتحاد السوفيتى وانفرط عقد امبراطوريته ، ويحدث الآن كثير من التغير فى خريطة العالم السياسية ، فقد انتهى عصر الاستعمار القديم . ولم يعد على خريطة العالم سوى مساحات محدودة تضم أعداداً قليلة من السكان ، هى التى يمكن أن تمثل بقايا الاستعمار ، أما دول العالم التى تزيد الآن عن ١٨٠ دولة فهى دول مستقلة وإن اختلفت أوزانها :

وقد شهد العالم قيام المنظمات الدولية التى تهدف إلى منع استخدام القوة فى فض المنازعات الدولية ، ونشر السلام بين الأمم والشعوب ، وأثمر هذا الجهد الدولى فى قيام « عصبة الأمم » عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧) ولكن قيام الحرب العالميـة الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) أدى إلى قيـام « هيئة الأمم المتحدة » ، التى لا تزال بعد نصف قرن من إنشائها تعمل على تحقيق نفس الأهداف ، وبدرجات متفاوتة من النجاح .

ولما كانت كل قارة من قارات العالم ، بل كل قطر من الأقطار ، لها ظروفها الخاصة ، فإن ذلك يتطلب دراسة للخريطة السياسية لكل قارة على حدة ، وتغير الخريطة السياسية فى قارة أوربا حدث نتيجة للصراعات بين الدول الأوربية وبعضها البعض سواء لزعامة أوربا أو السيطرة عليها ، وكذلك على مستعمراتها فى آسيا وإفريقيا ، بينما التغير الذى حدث فى كل من آسيا وافريقيا ، كان فى معظمه نتيجة للتطور السياسى والصراع بين القوى المحلية أو الوطنية وبين قوى الاستعمار الغربى ، وكانت القوى الوطنية الإفريقية والآسيوية لما تزال بعد وليدة وتفتقر إلى كثير من المقومات على حين كانت قوى الاستعمار الأوربى مزودة بالقوة والتكنولوجيا والتقدم ومع ذلك فقد كتب النصر فى النهاية للقوى الوليدة ضد القوى الوطيدة .

وفيما يلى دراسة موجزة للخرائط السياسية فى قارات العالم كل على حدة .

أولا : الخريطة السياسية لافريقية :

لم تكن القارة الافريقية تعيش فى حالة من الفوضى حين قدم إليها الأوربيون بل لعل هذه القارة قد شهدت بداية محاولات الإنسان لإقامة وحدة سياسية ففى مصر القديمة ، وقبل التاريخ المكتوب بأكثر من ثلاثة آلاف عام (حوالى ٣٢٠٠ ق ٠م ٠) كانت قد نشأت دولة موحدة لها من النظم السياسية والقوانين ما يبسط ظله على كل أجزائها ، وكان بها حكم مركزى ينشر نفوذه فى كل ربوعها ، وفى تلك الفترة كانت كثير جداً من أجزاء الدنيا لما تزل بعد فى مرحلة ما قبل الكتابة ، أى ما قبل التاريخ ، ورغم ذلك فإن كثيرا من الكتابات عن القارة الافريقية ، تصورها غابة استوائية مظلمة كثيفة الأشجار وجزيرة متخلفة وسط محيط من التقدم الذى ينشره الأوربيون ، ومتحفا للانثروبولوجيا يرتاده

علماء أوربا ، كما لو كانوا يبحثون عن حلقة مفقودة فى نظرية التطور ، وينسى أولئك ما نشأ فى القارة من حضارات وأنظمة سياسية فى العصور القديمة والوسطى حتى أنهم لم يترددوا فى أن يطلقوا عليها « القارة المظلمة » أو « القارة السوداء » وفى الحقيقة فإن هذه القارة ، التى ظلت أرضا مجهولة بالنسبة للأوربيين حتى حركة الكشوف الجغرافية ، لم تكن كذلك بالنسبة للعرب ، وكان « آزورارا » المؤرخ البرتغالى الذى عاش فى وقت يقارب الوقت الذى قام فيه ابن بطوطة برحلته فى القارة يرى أنه لا يوجد بشر على الشواطىء الغربية إلى الجنوب من رأس بوجادور وكان يرى أن البحر له شواطىء صخراوية لا أثر فيها للماء العذب أو الشجر أو العشب ، وأن مياه البحر ضحلة لدرجة أنها لا ترتفع عن الأرض بأكثر من قامة واحدة بينما التيارات مخيفة لدرجة أن أية سفينة تتخطى تلك الرأس لا تعود ثانية بل إن بارثلميو دياز كان يعتقد فى عام ١٤٨٦ أن السفن التى تبحر إلى الجنوب من ساحل غانة ، لابد أن تصل إلى نهاية اليابسة ثم توقف عن المسير لعدم وجود أرض تستطيع الرسو عليها .

وعلى الرغم من أن كثيرا من العقبات ، قد اعترضت عملية استكشاف السواحل الإفريقية بواسطة الأوربيين ، فقد استطاع أولئك فى نهاية الأمر ، وبمساعدة الملاحين العرب فى المحيط الهندى ، أن يتموا الدوران حول إفريقية ويصلوا إلى الهند مكتشفين بذلك طريق رأس الرجاء الصالح وأسرار التجارة الموسمية فى البحار الشرقية . وهى التجارة التى كانت مصدرا مهما لغنى مصر المملوكية ، ويستلفت النظر أن أولى حملات البرتغاليين لكشف الساحل الإفريقى كانت فى عام ١٤١٣ ، وانتهت بالاستيلاء على مدينة سبتة وتعيين الأمير هنرى - الذى اطلق عليه لقب الملاح فيما بعد - حاكما عليها فى عام ١٤١٥ ، وأن عملية كشف الساحل تمت فى بطء شديد ، فوصلت فى عام ١٤٤٥ إلى الرأس الاخضر ، وتم عبور خط الاستواء فى عام ١٤٧١ ، والوصول إلى مصب نهر الكونجو فى عام

١٤٨٢ ، ووصل بارثلميو دياز إلى الكيب وأسماها « راس العواصف » فى عام ١٤٨٧ ، ولم تصبح ، « رأس الرجاء الصالح » أو الآمل الطيب (عشم الخير فى الخرائط المساحية الأولى) إلا بعد عشرة أعوام حين وصل إليها فاسكو داجاما فى عام ١٤٩٧ ، ثم ما لبثت أولى سفن البرتغاليين أن وصلت إلى الهند بقيادة داجاما فى عام ١٤٩٨ ، ومعنى ذلك أن هذه المرحلة لكشف الساحل الإفريقى استغرقت ٧٥ عاما ، ثم مرت فترة طويلة تصل إلى قرابة أربعة قرون (من عام ١٤٩٨ حتى عام ١٨٨٥) لم تكن صلة الاقطار الأوربية المختلفة بأجزاء القارة الافريقية قد استقرت فيها على نحو واضح ، فقد مرت بأطوار متعددة مثل اتخاذ مواضع معينة على الساحل لرسو الفن والتزود بالمئونة والماء العذب ، ثم كانت مرحلة تجارة الرقيق التى شاركت فيها معظم الدول الاوربيـــة وقاست منها القارة الإفريقية كلها ، وبصفة خاصة سواحلها الغربية ، وبعد ذلك بدأت مرحلة الاستعمار بمؤتمر برلين الذى عقد فى نهاية عام ١٨٨٤ وانتهى فى مطلع عام ١٨٨٥ وقد عقد من أجل تنسيق وتخطيط المشاريع الأوربية بشأن تقسيم افريقية .

مؤتمر برلين عام ١٨٨٥ وتقسيم افريقية :

بدأ انعقاد ذلك المؤتمر فى ١٨ من نوفمبر عام ١٨٨٤ وظل منعقدا حتى ٢٦ من فبراير عام ١٨٨٥ وقد اشتركت فيه دول أوربا الوسطى والغربية فيما عدا سويسرا ، حيث اشتركت فيه كل من النرويج والسويد ، والدنمرك وهولندا ، وبلجيكا ، بريطانيا ، فرنسا ، ألمانيا ، النمسا ، إسبانيا ، البرتغال ، إيطاليا ، وروسيا وتركيا أيضا ، كما شاركت الولايات المتحدة الامريكية فى أعمال المؤتمر ، وقد وضعت الدول الأوربية الأربع عشرة المشتركة فى المؤتمر ميثاقا من ٣٨ مادة يتعلق معظمها بحرية الملاحة والتجارة فى نهر الكونغو ، وبالقضاء على تجارة الرقيق .

وقد مرّ أكثر من قرن على عقد مؤتمر برلين ، وشهدت هذه الفترة كثيرا جدا من التغيرات فى الخريطة السياسية للقارة الإفريقية ، ولا يمكن أن نقارن ذلك بفترة الطواف حول القارة وكشف سواحلها والتى استغرقت نفس المدى الزمنى تقريبا ، كما لا يمكننا أيضا أن نقارن ما حدث فى هذه الفترة بما حدث قبل مؤتمر برلين ، وذلك أن التوغل الأوربى فى قلب القارة الإفريقيــة لم يبدأ إلا بعد عقد مؤتمر برلين ، ففى خريطة عام ١٨٨٤ تظهر عدة نطاقات ساحلية سيطرت عليها الدول الاستعمارية الغربية ويمكن أن نميز شريطا ساحليا للاستعمار الفرنسى فى كل من تونس (التى تم احتلالهـا فى عام ١٨٨١) ، والجزائر التى احتلت فى عام ١٨٣٠ ، وفى كل من السنغال وساحل العاج وجابون ، وأشرطة أخرى من الاستعمار البرتغالى فى كل من انجولا وموزمبيق وأشرطة للاستعمار البريطانى فى كل من غمبيا وسيراليون وساحل الكيب ، هذا الى جانب أشرطة ألمانية فى الكميرون وجنوب غرب افريقية ، وهذه النطاقات الشريطية كلها ، فيما عدا تونس والجزائر وعلى المجرى الأدنى لنهر السنغال مستعمرة الكيب ، لم تكن تتعدى فى عمقها إلى الداخل بضع عشرات من الكيلو مترات .

أما فى عام ١٨٨٥ فقد ظهرت دولة الكونجو الحرة لتشمل معظم أجزاء حوض الكونجو ، كما ظهرت أيضا مستعمرة الكونجو الفرنسية وازداد عمق المستعمرة الألمانية فى جنوب غرب افريقيا إلى الداخل ، وفى عام ١٨٩٥ أى بعد مضى عشرة أعوام فقط على عقد مؤتمو برلين ، كانت تجرى عملية التكالب على إفريقية ، وتسابق مختلف القوى الأوربية على استعمار أكبر مساحة من القارة ، وتظهر كثير من الحدود السياسية لأول مرة على خريطة إفريقية عام ١٨٩٥ وهذه الحدود تفصل بين مناطق نفوذ دول الاستعمار ، أو تحدد مجال سيطرة كل منها دون أن توجد تفصيلات داخلية فى المساحات الكبيرة ، ولذلك نجد أن أول أجزاء القارة التى ظهرت فيها الحدود السياسية هى ما يقع إلى الجنوب من خط

الاستواء ، حيث يضيق اليابس ويعتدل المناخ وتقل الظروف الصحراوية ولذلك ظهرت الحدود بين مستعمرات البرتغال (أنجولا وموزمبيق) والمستعمرات الألمانية (افريقية الجنوبية الغربية وإفريقية الشرقية الألمانية التى اصبحت تنجانيقا فيما بعد) والمستعمرات البريطانية (الكيب ووسط إفريقية البريطانى الذى يضم كلا من بتشوانالاند وروديسيا ونياسالاند) ثم المستعمرات البلجيكية وهى تشمل الكونجو ، أما إلى الشمال من ذلك فإن الحدود السياسية لم تكن قد تحددت بعد إلا بالنسبة لكل من ليبريا وسيراليون والكميرون الألمانى ومستعمرة ريومونى الإسبانية ، بينما كانت بعض الأجزاء من إفريقية شمال خط الاستواء لا تزال ملكا للجماعات الوطنية ولم تصل إليها قوات استعمارية ولم ترفع عليها أعلام غربية ، ولكن ذلك لم يدم طويلا ، فما أن بدأ القرن العشرون حتى كانت الحدود الداخلية التى تقسم المستعمرات الكبرى - الفرنسية بوجه خاص - قد وضعت ، وظل الحال كذلك حتى منتصف القرن العشرين .

ومن الأمور ذات الدلالة ، أن نتائج الحروب بين القوى الأوربية ، هزيمة وانتصارا كانت تظهر على الخريطة السياسية للقارة الافريقية رغم أن المعارك العسكرية وميادين القتال كانت على الأراضى الأوربية فى معظم الأحيان ، فعلى إثر هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى اقتسمت ممتلكاتها كل من بريطانيا وفرنسا ، وعهد إليهما من قبل عصبة الأمم بان تكونا دولا منتدبة لإدارة هذه المستعمرات ، فأخذت بريطانيا إفريقية الشرقية الألمانية وأصبحت تعرف باسم تنجانيقا ، واقتطع منها جزء صغير هو رواندا أورندى الذى الحقت تبعيته وإدارته بالكونجو البلجيكى ، وألحق اقليم جنوب غرب افريقية بإدارة جنوب إفريقية البريطانى ، كما حصلت بريطانيا على ربع مساحة توجولاند والقطاع الغربى من الكميرون ، وبذلك فقدت ألمانيا كل مستعمراتها الإفريقية نتيجة لهزيمتها فى حرب أوربية .

وحين استقرت الأحوال لدول الاستعمار الأوربى على أرض القارة كانت فرنسا تسيطر على أكبر مساحة من المستعمرات الافريقية ، وإن كانت مستعمرات بريطانيا أكثر سكانا من المستعمرات الفرنسية .

ولم تصل الدولتان الأوربيتان المتنافستان إلى تلك النتيجة دون التعرض لاحتمالات التصادم بينهما على الأرض الإفريقية ، فعلى حين كانت بريطانيا تسعى جاهدة لمد نطاق مستعمراتها من أقصى جنوب القارة إلى أقصى شمالها انتهاءاً بمد خط حديدى يصل بين الكيب والقاهرة فإن فرنسا كانت تحلم بحزام فرنسى يمتد من غرب القارة الافريقية إلى شرقها واصلا بين السنغال والصومال الفرنسى وكان من الضرورى أن تتلاقى هذه المخططات فى نقطة صدام تلتقى فيها خطط التوسع البريطانى بالمشروعات الفرنسية وكانت هذه النقطة هى فاشوده فى جنوب السودان ، وقد وقعت حادثة فاشودة الشهيرة فى عام ١٨٩٨ ، حين وصل إلى هذه البلد قائد فرنسى (هو الجنرال مارشان Marchand) ورفع العلم الفرنسى عليها بعد أن تقدم من الكونجو (الفرنسى) إلى بحر الغزال ثم وصل إلى فاشودة (كودك) ولكن ما لبث القائد البريطانى « كتشنر » ان أدركه وأقنعه بأن هذه المنطقة مصرية وأنه يعمل فيها باسم مصر واضطر مارشان للانسحاب وبدأ فى السودان ما عرف بالحكم الثنائى .

وتأتى بعد فرنسا وبريطانيا من حيث مساحة المستعمرات الإفريقية كل من بلجيكا ثم البرتغال وألمانيا (حتى الحرب العالمية الأولى) وأخيرا تأتى إسبانيا فى نهاية قائمة الدول الأوربية التى تملك مستعمرات فى إفريقية ، وترجع قلة نصيبها من المستعمرات الإفريقية إلى أن جهودها اتجهت إلى العالم الجديد .

افريقية بين اعوام ١٩٥٠ و ١٩٩٥ :

حين انتصف القرن العشرون ، لم تكن توجد بالقارة الإفريقية سوى ثلاث

دول مستقلة وهى ليبريا التى تعتبر أسبق الدول الافريقية استقلالا ، لأنها استقلت فى عام ١٨٤٦ ومصر التى استقلت فى عام ١٩٢٢ ومن الجدير بالذكر أن مصر ، طبقا للقانون الدولى ، لم تكن مستعمرة بريطانية على الإطلاق ، ولكنها كانت واقعة تحت الاحتلال البريطانى فقط ، ولهذا لم تكن يوما ما تابعة لوزارة المستعمرات البريطانية ، وإثيوبيا التى استعادت استقلالها فى عام ١٩٤٢ بعد فترة احتلال دامت خمس سنوات خضعت فيها لإيطاليا ، ويضيف بعض الكتاب دولة رابعة وهى اتحاد جنوب افريقية التى منحت الاستقلال فى عام ١٩٣١ وإن كانت تبعيتها لبريطانيا سياسيا ظلت أمرا قائما حتى أعلنت بها الجمهورية فى عام ١٩٦١ والواقع أن هذه الدول « المستقلة » لم تكن تحظى من الاستقلال بأكثر من واجهة للحكم ، ولكن كان للاستعمار أو القوى الأجنبية كثير من النفوذ فيها ، فدولة ليبريا أنشئت لتكون وطنا للمهاجرين من الزنوج الأمريكيين المحررين وهى إحدى مناطق النفوذ الامريكى فى إفريقية ، ومصر كان استقلالها فى عام ١٩٢٢ استقلالا صوريا ولم تقض معاهدة ١٩٣٦ على النفوذ البريطانى الذى ظل قائما فى مصر حتى ٢٣ يولية ١٩٥٢ ولا تخرج كل من إثيوبيا وجنوب افريقية فى صورتهما العامة عن ذلك كثيرا ، ويضاف لذلك أن أى حديث عن « استقلال » جنوب إفريقية يصدق على السكان البيض وحدهم دون أن ينصرف ذلك على السكان الوطنيين من الجماعات الافريقية ، ثم أضيفت إلى قائمة الدول المستقلة دولة خامسة فى عام ١٩٥١ وهى ليبيا ، وظل عدد هذه الدول ثابتا حتى عام ١٩٥٥ ، وإن كانت إريتريا قد استقلت فى عام ١٩٥٢ ودخلت مع إثيوبيا فى اتحاد فيدرالى مما أعطى لإثيوبيا جبهة بحرية على البحر الأحمر وبذلك لم تعد دولة داخلية حبيسة الهضبة الحبشية ، وفى عام ١٩٥٦ بدأت موجة الاستقلال تمتد لتشمل بعض مستعمرات فرنسا السابقة ، حيث استقلت كل من المغرب وتونس


إفريقيا السياسية
عواصم
كم
البحر المتوسط
المحيط الاطلنطى
الجزائر
ليبيا
مصر
مالى
النيجر
تشاد
السودان
اثيوبيا
كينيا
زائير
تنزانيا
أنجولا
زامبيا
بوتسوانا
ناميبيا
جنوب افريقيا
ليسوتو
الجابون
الكاميرون
نيجيريا
موريتانيا
المغرب
الرباط
القاهرة
الخرطوم
ساحل العاج
ليبريا
غانا
افريقيا الوسطى
لواندا
كيب تاون

شكل رقم (٢٠)

فى ذلك العام ، كما رضخت بريطانيا نتيجة لاتفاقية السودان مع مصر ، وأعلنت جمهورية السودان فى مطلع ذلك العام بعد إجراء استفتاء بين سكانه ، وما لبثت ساحل الذهب فى العام التالى (١٩٥٧) أن استقلت بعد أن ضمت اليها القسم الغربى من توجولاند الذى كان خاضعا للوصاية البريطانية ، وتغير اسم هذه الدولة الجديدة إلى جمهورية غانا ، وكانت أول دولة تحصل على استقلالها فى إفريقية السوداء ، وفى العام التالى (١٩٥٨) ما لبثت أن استقلت إحدى الدول التى كانت تابعة لإفريقية الغربية الفرنسية ، وهى جمهورية غينيا ، وكانت أولى دول المجموعة الفرنسية من مستعمرات غرب افريقية التى تنال استقلالها .

ثم كان عام ١٩٦٠ هو « عام إفريقية » فقد نالت فيه ١٧ دولة افريقية استقلالها وانضمت ١٥ دولة منها للأمم المتحدة وبذلك ازداد عدد الدول الإفريقية المستقلة وارتفع صوت القارة فى المنظمات الدولية ، وكانت أكثر من دولة تستقل فى الشهر الواحد من ذلك العام الحافل ، وهذه الدول هى الكاميرون (يناير) توجو (ابريل) وكل من مالا جاشى (جزيرة مدغشقر) والكونجو (البلجيكى سابقا أو كونجو كينشاسا) * ، وقد استقلتا فى شهر يونية ، كما استقلت فى شهر يولية كل من الصومال ، وتشاد ، ساحل العاج ، النيجر ، الفولتا العليا (بركينا فاسو فيما بعد) والسنغال وداهومى وفى شهر أغسطس استقلت كل من الكونجو (الفرنسى سابقا أو كونجو برازافيل) وجابون وجمهورية افريقية الوسطى ، ثم استقلت نيجريا فى اكتوبر وموريتانيا فى نوفمبر من عام افريقية الذى شهد أكبر تحول فى الهوية السياسية لدول القارة بنيلها للاستقلال (١) .

(*) تغير اسمه إلى زائير فيما بعد .

(١) استقل الصومال البريطانى فى ٢١ يونية ١٩٦٠ ، واتحدت مع الصومال الذى كان موضوعا تحت الوصاية الايطالية ، حين استقل الأخير فى أول يولية ١٩٦٩ . أما اتحاد مالى فقد تكون فى عام ١٩٥٩ من كل من السنغال والسودان الفرنسى واستقل الاتحاد فى ١٣ يولية ١٩٦١ ثم انفصل السنغال فى ٢٥ أغسطس ١٩٦٠مكونا جمهورية السنغال واحتفظ السودان « الفرنسى » باسم مالى أما داهومى فقد تغير إسمها واصبحت تعرف باسم جمهورية بنين ، أما افريقيا الوسطى فقد أعلن رئيسها تحويلها إلى امبراطورية ، وأعلن نفسه امبراطورا فى عام ١٩٧٧ ، ثم حدث بها أنقلاب ضد حكمه فى عام ١٩٧٩ وعادت للنظام الجمهورى مرة اخرى .

اما بعد عام ١٩٦٠ فقد سارت حركة الاستقلال الإفريقية بمعدل أبطأ ، خاصة وأن عدد المستعمرات قل كثيرا ، ففى عام ١٩٦١ استقلت تنجانيقا وسيراليون ، ثم استقلت فى عام ١٩٦٢ كل من الجزائر ورواندا وبورندى ، وقد استقلت بورندى فى ظل حكم ملكى ثم ما لبثت أن تحولت إلى جمهورية فى نوفمبر ١٩٦٦ كما استقلت أوغندا ايضا فى عام ١٩٦٢ فى ظل النظام الملكى وتحول ملكها إلى رئيس للدولة فى عام ١٩٦٣ ، وما لبثت أن أعلنت بها الجمهورية ، وفى عام ١٩٦٣ استقلت كينيا ، وفى يوليو ١٩٦٤ استقلت نياسالاند وتغير اسمها إلى مالاوى .

وفى ١٩٦٥ استقلت غمبيا ، كما أعلن قيام جمهورية تنزانيا من كل من تنجانيقا وزنجبار ، وفى عام ١٩٦٦ استقلت كل من ليسوتو (باسوتولاند سابقا) وبوتسوانا (بتشوانا لاند سابقا) وفى مارس ١٩٦٨ استقلت جزر موريشس ، كما استقلت سوازى لاند فى سبتمبر ١٩٦٨ ، وفى اكتوبر ١٩٦٨ استقلت جمهورية غينيا الاستوائية وهى مكونة من المستعمرات الاسبانية السابقة فى ريوموني وجزيرة فرنادوبو ، ثم استقلت غينيا بيساو (غينيا البرتغالية سابقا) فى عام ١٩٧٤ وفى عام ١٩٧٥ - استقلت كل من جزر الرأس الأخضر ، وجزر كومور (جزر القمر أو كومورز) ، وجزيرتا ساوتومى وبرنسيب ، وموزمبيق ، وفى عام ١٩٧٦ استقلت أنجولا وجزر سيشل ثم جيبوتى (الصومال الفرنسى أو اقليم العفار والعيسى سابقا) فى عام ١٩٧٧ وقد أصبحت هذه الدول كلها أعضاء فى منظمة الأمم المتحدة .

وفى عام ١٩٧٤ أعلنت إسبانيا عن الجلاء عن مستعمراتها فى « الصحراء الغربية » التى عرفت باسم الصحراء الاسبانية ، أو وادى الذهب (ريودورو) ، حيث تم فى البداية اقتسامها بين كل من المغرب وموريتانيا ، غير أن قيام حركة بين سكانها تهدف إلى الانفصال عن الدولتين وتكوين جمهورية مستقلة هى

الجمهورية الصحراوية ، أدى إلى حرب عصابات لم تكن موريتانيا مستعدة لها ، وسرعان ما تخلت عن القسم الجنوبي الغربي الذى كان قد ألحق بها ، فى الوقت الذى أعلن المغرب عن ضمه للإقليم كله ، وفى الوقت نفسه أعلنت جبهة تحرير الصحراء الغربية « البوليساريو » ، قيام الجمهورية الصحراوية على الصحراء الغربية أو « الساقية الحمراء ووادى الذهب » ، وقد أعترفت بها بعض الدول الافريقية ، ومنظمة الوحدة الافريقية مما أدى إلى انسحاب المغرب من عضوية الأخيرة ، وتقوم الأمم المتحدة بجهود لإجراء استفتاء بين السكان ، غير أن ثمة مشكلات كثيرة بشأن هذا الاستفتاء ، واتهامات متبادلة بين المغرب وجبهة البوليساريو حول قوائم الناخبين الذين لهم حق الاشتراك فى الاستفتاء .

وفى عام ١٩٨٠ استقلت روديسيا تحت حكم وطنى وتغير اسمها من روديسيا « الجنوبية » إلى زيمبابوى ، وكانت الأقلية البيضاء التى لا تضم سوى ٥,٢ ٪ من سكانها قد اعلنت استقلالها تحت حكم عنصرى لم يعترف به العالم ، كما نالت ناميبيا استقلالها فى ٢١ مارس ١٩٩٠ وانتهت بذلك صفحة طويلة من المشكلات التى كانت تثيرها جنوب إفريقية حول استقلال ناميبيا ، كما أعلن استقلال اريتريا فى ١٩٩١ .

وفى عام ١٩٩٣ حدث تطور هام للغاية فى جمهورية جنوب إفريقية ، التى ظلت تطبق سياسة « الأبارتهايد » أو التفرقة العنصرية ، وتحكمها الأقلية البيضاء ، بينما تحرم الأغلبية السوداء من المشاركة فى الحكم . ثم انتهى الأمر بمفاوضات أدت إلى إجراء انتخابات وأعطى السود رأيهم لأول مرة ، واختاروا نوابهم ، وأصبحت جنوب إفريقية دولة ديموقراطية لأول مرة فى تاريخها منذ سيطرة الرجل الأبيض عليها ، وأجريت الانتخابات فى ٢٧ إبريل ١٩٩٤ لانتخاب حكومة وحدة وطنية وانتهت بفوز المناضل الإفريقى « نلسون مانديلا » وحزبه بأكبر عدد من المقاعد وأصبح رئيسا للجمهورية على حين أصبح « فريدريك دى كليرك » الذى كان رئيسا فى ظل النظام العنصرى نائبا للرئيس . غير أن الخريطة

السياسية لإفريقيا تتعرض لشكل آخر من التغيرات بعد أن نالت كل دولها تقريبا استقلالها السياسى ، فلا زالت القبلية تسفر عن صراعات بين كثير من أبنائها ، ولعل المشكلات القائمة فى كل من السودان وخاصة فى جنوبه ، وفى الصومال ، وفى رواندا وبورندى وفى أوغندا وزائير ، هذه المشكلات كلها تعوق التقدم وتسفر عن عشرات الآلاف من الضحايا وعن مئات الآلاف من اللاجئين الذين يتركون أوطانهم فرارا بحياتهم ، وتكفى الإشارة هنا إلى مثال على هذا مما يحدث فى بورندى ، حيث تمثل قبيلة الهوتو Hutu أغلبية السكان (٧٥ ٪ تقريبا) وقبيلة التوتسى Tutsi تمثل أقلية لا تتعدى ٢٥ ٪ من السكان ، غير أن هذه الأقلية هى التى تحكم البلاد وتملك معظم عناصر الثروة ، وتعانى الأغلبية من الفقر والاضطهاد ، حيث تدبر المذابح لهم ويطردون فرارا كلاجئين ، ويقدر أن أكثر من نصف مليون منهم فروا إلى الدول المجاورة وخاصة فى رواندا وأوغندا وزائير ، حيث يقيمون فى معسكرات وأحوال متدنية .

ثانيا : الخريطة السياسية لآسيا :

القارة الآسيوية هى أكبر قارات العالم مساحة وسكانا ، وقد شهدت مولد حضارات قديمة أسهمت فى تطور البشرية مثل حضارات العراق والصين والهند وفلسطين والساحل الشرقى للبحر المتوسط ، كما أن جزءا من حضارة اليونان القديمة قام على الشواطىء الآسيوية فى آسيا الصغرى ، وإلى جانب ذلك فقد كانت لآسيا أهميتها الكبرى حيث أن رسالات السماء الكبرى نزلت على أنبياء وشعوب فى الأرض الآسيوية وبخاصة فى جنوب غرب آسيا مهد الديانات الكتابية : اليهودية والمسيحية والإسلام .

وقد شهدت آسيا مولد إمبراطوريات ضخمة فى الماضى وهى تشهد الآن قيام عدد من القوى الكبرى الفعلية والاحتمالية ، ومع ذلك فقد خضعت كثير من

الأراضى الآسيوية والشعوب ذات الحضارات لأنواع مختلفة من الاستعمار الأوربى وقد امتدت رياح الثورة والاستقلال إلى تلك الأقطار وأدى ذلك إلى تغير واضح فى الخريطة السياسية لآسيا ، خاصة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى كانت الدولة العثمانية تسيطر على جزء كبير من جنوب غرب آسيا يشمل معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية فيما عدا سواحلها الجنوبية والشرقية التى وطدت فيها بريطانيا نفوذها لتأمين مواصلاتها إلى الهند ، وأمتد النفوذ التركى ليشمل العراق والكويت وفلسطين والشام ، ولكن انتهت الحرب العالمية الأولى بتقسيم تركة « الرجل المريض » وهو الاسم الذى أطلق على الدولة العثمانية فى أيامها الاخيرة ، وقبل أن تقوم بها الجمهورية التركية فى عام ١٩٢٢ ، لقد انتدبت عصبة الأمم غداة الحرب العالمة الأولى كلا من فرنسا وبريطانيا لإدارة بعض الأقاليم التى كانت تابعة للدولة العثمانية فأصبحت بريطانيا منتدبة على فلسطين وشرق الأردن والعراق ، بينما انتدبت فرنسا لإدارة الشام الذى يشمل سورية ولبنان ، وقد انتهت الحرب العالمية الأولى وكذلك الحرب التركية اليونانية بأن اصبحت الجمهورية التركية عند قيامها لا تمتد إلا على أراض شبه جزيرة الأناضول أو آسيا الصغرى ، إلى جانب جزء تذكارى فى أوربا وهو يمثل الظهير الأوربى لمدينة اسطنبول ويعرف باسم تراقيا الشرقية .

ومن المشكلات التى ترتبت على الإدارة الاسمية الضعيفة والولاة المستغلين الذين كانوا يتبعون الباب العالى فى تركيا ، أن فلسطين التى انتدبت عليها بريطانيا تعرضت لسيل من الهجرة اليهودية المنظمة والتى كانت تهدف إلى إقامة وطن قومى لليهود تضمهم من الشتات الذى يعيشون فيه كأقليات تعيش فى أحياء العزلة فى مدن العالم كله تقريبا ، وكان للمساعدات التى قدمها بعض زعماء اليهود لبريطانيا أثر فى صدور وعد بالفور فى نوفمبر عام ١٩١٧ ، والذى ينص على أن حكومة بريطانيا تنظر بعين العطف لإنشاء وطن قومى لليهود فى

فلسطين ، وقد أسهمت الإدارة البريطانية لفلسطين فى استكمال الدور الذى أدى إليه إهمال الإدارة العثمانية وهو تحويل فلسطين إلى منطقة اجتذاب للمهاجرين والمستوطنين اليهود أو إقامة القرى العسكرية التى ما لبثت أن تحولت إلى ركائز لإقامة الدولة اليهودية غداة خروج بريطانيا من فلسطين فى ١٤ مايو ١٩٤٨ ، ولا شك فى أن بعض النظم المالية وخاصة الضرائب وما يتمتع به اليهود من قدرة مالية وتنظيم هادف ، قد عملا معا على تشجيع عمليات شراء الأراضى من العرب للصندوق القومى اليهودى ، وكانت الجماعات الإرهابية اليهودية تستعد لليوم الذى تخرج فيه القوات البريطانية فأعلنت استقلال اسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وكان ذلك بداية لسلسلة من الحروب العربية الاسرائيلية فى ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ثم أخيرا ١٩٧٣ ، ولا تزال المشكلة تثير كثيرا من عدم الاستقرار فى المنطقة ، ويرتبط بمشكلة فلسطين تكوين المملكة الأردنية الهاشمية التى ظهرت كإمارة تحمل اسم شرق الأردن ثم ألحقت بها إدارة الضفة الغربية للنهر بعد قيام اسرائيل وأعلنت بعد ذلك أنها تتكون من أراضى الضفتين وتغير اسمها إلى المملكة الأردنية الهاشمية ، وبعد احتلال اسرائيل للضفة الغربية فى عام ١٩٦٧ بدأت تظهر مواقف متناقضة بين كل من الأردن واسرائيل وسكان الضفة ، وفى عام ١٩٩٤ ، وقعت الأردن اتفاقا مع اسرائيل وتم تبادل السفراء بينهما ، كما وقع اتفاق الحكم الذاتى بين فلسطين وتمثلها منظمة التحرير الفلسطينية ، وبدأ التطبيق الفعلى لمنطقة غزة - أريحا ، غير أنه لا تزال حتى نهاية ١٩٩٥ توجد مشكلات كثيرة بين الجانبين ، وإذا قدر لهذه المشكلة أن تنتهى نهاية ترضى عنها الدول العربية ، فإن هذا يعنى حل واحدة من أطول المشكلات وأعقدها فى تاريخ العرب الحديث وهى مشكلة فلسطين ، ولعل توقيع اتفاقية الحكم الذاتى فى مرحلتها الثانية فى طابا فى ٢٤ سبتمبر ١٩٩٥ يكون خطوة على الطريق .

أما جزيرة قبرص فقد تولت بريطانيا إدارتها منذ عام ١٨٧٨ ثم اعلنت

الحاقها بها وأصبحت قاعدة رئيسية لها فى البحر المتوسط ابتداء من عام ١٩١٤ حين قامت الحرب العالمية الأولى ، وتشكلت حركة مقاومة فى الجزيرة انتهت باستقلالها وعضويتها للأمم المتحدة فى عام ١٩٦٠ ولكن ظهرت بعد ذلك مشكلات داخلية نابعة من أن سكان الجزيرة ينقسمون إلى قبارصة أتراك وقبارصة يونانيين وأدى عدم التوازن بينهما إلى غزو تركيا للجزيرة حيث أعلنت الأقلية التركية استقلالها وتكوين جمهورية خاصة بها ولم يوافق القبارصة اليونان ، ولا الحكومة اليونانية على ذلك ، ولا تزال المشكلة قائمة ، ولم تعترف بالجمهورية التى أعلنتها الأقلية التركية سوى تركيا وحدها .

وفى عام ١٩٣٢ تم توحيد المملكة العربية السعودية من سلطنة نجد وملحقاتها ومملكة الحجاز التى سقطت لسقوط حكم آخر ملوكها وهو الملك على ابن الحسين ، ثم ما لبثت أن تحققت لأجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية صور من الاستقلال عن الاستعمار البريطانى فإلى جانب اليمن التى كانت مستقلة منذ الحرب العالمية الأولى ، استقلت الكويت فى عام ١٩٦١ ثم استقلت عدن والمحميات الجنوبية وتكونت جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية فى عام ١٩٦٧ ثم استقلت بقية انحاء شبه الجزيرة وأصبحت كلها أعضاء فى الأمم المتحدة فى عام ١٩٧١ ، وهى البحرين وقطر ودولة الامارات العربية المتحدة التى تكونت نتيجة لاستقلال إمارات ومشيخات الساحل المهادن التى كانت ترتبط بعدد من الاتفاقيات مع بريطانيا كما أن المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت قد قسمت بين الدولتين فى عام ١٩٧٢ وان لم تنشر نصوص الاتفاقية ، وقد ترتب على ذلك التغير فى خريطة شبه الجزيرة العربية عدد من المشكلات بين السعودية وجيرانها مثل واحة البوريمى بينها وبين أبو ظبى (الامارات العربية المتحدة فيما بعد) وبينها وبين اليمن الجنوبية (واحة الوديعة) ولكن سويت هذه النزاعات مؤقتا

على الأقل ، واتحدت دولتا اليمن فى دولة واحدة فى ٢٢ مايو ١٩٩٠ ، ثم جرت محاولة من القسم الجنوبى للانفصال مرة أخرى فى ١٩٩٤ ولكنها لم تنجح .

ومن الأجزاء الصغيرة التى حدث فيها تغيير للحدود منطقة كارس - أردهان Kars - Ardahan التركية ، فقد تناوبت المنطقة كل من روسيا وتركيا ، وفى الحرب الروسية التركية عام ١٨٧٧ - ١٨٧٨ استولت روسيا على المنطقة ولكن بعد قيام الثورة الروسية عام ١٩١٧ عقدت معاهدة فى عام ١٩٢١ تم بمقتضاها إعادة المنطقة إلى تركيا ثم عقدت فى عام ١٩٢٥ معاهدة عدم اعتداء بين كل من الاتحاد السوفيتى وتركيا ولكن فى نهاية الحرب العالمية الثانية بدأ الأتحاد السوفيتى يطالب باعادة المنطقة ولكن ذلك لم يتحقق .

ولعل اهم الغيرات الكبرى فى الخريطة الآسيوية هى التى حدثت فى جنوب آسيا وجنوبها الشرقى ، ففى جنوب آسيا تم استقلال شبه القارة الهندية فى عام ١٩٤٧ ، ولكن فى صورة دولتين هما الهند والباكستان وكانت الاخيرة تتكون من قسمين يفصل بينهما أكثر من ألف ميل من الأراضى الهندية ، ثم استقلت بورما فى عام ١٩٤٨ ، وقطعت صلتها ببريطانيا بعد قرن كامل وقد غيرت اسمها فيما بعد إلى ميانمار ، وفى العام نفسه أصبحت سيلان عضوا فى الكمنولث البريطانى بعد استقلالها ، وقد ظلت كشمير مشكلة بين الهند والباكستان نظرا لعدم تطبيق أسس التقسيم عليها وقامت بسببها كثير من أوجه النزاع بين الهند والباكستان ، ثم انفصلت باكستان الشرقية فى عام ١٩٧١ ، وتم قيام دولة مستقلة هى بنجلاديش التى لم تدخل عضوا فى الامم المتحدة إلا فى عام ١٩٧٤ ، وقد قامت الهند بكثير من المساعدة لقوات بنجلاديش ضد قوات الباكستان حتى تم الانفصال ، وحدث توتر على الحدود الصينية الهندية بشأن التبت وبعض الأراضى الأخرى كما حدث نزاع على الحدود الصينية الروسية فى منطقة الحدود عند نهر آمور (عند رواقده أو سورى) وبعد تجاهل طويل من المنظمات الدولية للصين

الشعبية اضطرت المنظمة الرئيسية وهى الأمم المتحدة إلى قبول عضوية الصين الشعبية عضوا بها وعضوا دائم العضوية فى مجلس الأمن الدولى بعد أن احتلت الصين الوطنية هذا المقعد طويلا ، ولا تزال الصين الشعبية تعتبر تايوان (فرموزا - الصين الوطنية) إقليما تابعا لها لابد من ضمه على حين تعتبر فرموزا الصغيرة أن تحرير الصين الشعبية أمر لابد من حدوثه .

وفى جنوب شرق آسيا حدث توسع هائل لليابان فى الحرب العالمية الثانية ولكن هزيمة اليابان في الحرب أدت إلى إعادة سلطة دول الاستعمار الأوربى إلى كل من اندونيسيا والملايو والسلطة الامريكية إلى الفلبين ، ثم عادت فرنسا إلى الصين الهندية ولكن ذلك كله لم يدم طويلا فما لبثت كل من اندونيسيا والملايو أن استقلت وتكون اتحاد مالزيا من الملايو وبعض الجزر وسنغافورة التى ما لبثت أن استقلت وانفصلت عن الاتحاد ، كما استقلت كل من لاوس وكمبوديا وفيتنام التى شهدت حربا طويلة وانتهت بتوحيد كل من فيتنام الشمالية والجنوبية بعد انتهاء الوجود الامريكى ، وقد حاربت فيتنام اليابانيين (١٩٤١ - ١٩٤٥) ثم الفرنسيين (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ثم الأمريكيين حتى ١٩٧٥ ، وأعلن توحيد البلاد مرة أخرى فى يونية ١٩٧٦ ، وكانت الفلبين قد استقلت فى عام ١٩٤٦ بعد فترة انتقال حددتها الولايات المتحدة لتهيئة شعب الجزر للاستقلال .

وكانت الحرب الكورية قد قامت إثر هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية واصبح خط عرض ٣٨° شمالا يفصل بين كل من كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية كخط إدارى ولكن سيطرة الشيوعيين على القسم الشمالى والعمل على توحيد شبه الجزيرة كله أدى إلى اندلاع الحرب عام ١٩٥٠ لمدة ثلاثة اعوام ، ولا يزال الموقف كما هو عليه ، حيث يمثل خط ٣٨° شمالا حدا سياسيا بين الدولتين بعد أن كان فى الاصل حدا لكل من الجيش الروسى فى الشمال والجيش الامريكى فى الجنوب فى

الحرب العالمية الثانية التى كانت كل من روسيا وامريكا فيها من بين الحلفاء ، وتتوتر الحدود بين الدولتين حينا وتجرى مفاوضات للتوحيد بينهما حينا آخر .

كما انحسرت موجة الاستعمار البرتغالى عن جزيرة تيمور والهولندى عن إيريان الغربية وأصبحتا من الأراضى الداخلة فى جمهورية إندونيسيا ، وإن كانت بعض القلاقل تثور ضد سلطات اندونيسيا فى الجزيرتين من حين لآخر .

أما أفغانستان فهى دولة داخلية مقفلة ، وظلت لفترة طويلة تمثل دولة حاجزة تفصل بين الامبراطورية الروسية فى شمالها والامبراطورية البريطانية فى جنوبها ، ولكن حدث بها انقلاب انتهى بحكم شيوعى وتدخلت روسيا فى غزو لمساندة النظام الحاكم فى ١٩٧٩ واضطرت للانسحاب بعد اكثر من عشرة أعوام فى ١٥ فبراير ١٩٨٩ بعد أن تكبدت أكثر من ١٥,٠٠٠ قتيل ، ولكن ترتب على غزو روسيا لأفغانستان أن سقطت هيبة الاتحاد السوفيتى مما كان أحد أسباب انهياره ، كما أن الحرب الأهلية التى استمرت أربعة عشر عاما فى أفغانستان لم تنته بعد خروج القوات الروسية فقد تحولت الفصائل الأفغانية إلى محاربة بعضها البعض وغياب صورة الدولة ذات السلطة والسيادة وهو ما يزال قائما حتى نهاية عام ١٩٩٥ ، وقد ترتب أيضا على الحرب الأفغانية أكثر من ٢ مليون من القتلى وأكثر من خمسة ملاين من اللاجئين الذين فروا من بلادهم إلى الدول المجاورة وخاصة باكستان ، كما أثار العائدون من أفغانستان مشكلات عديدة فى دول العالم حيث أنهم يمثلون أهم مصادر القلاقل أو ما أصبح يعرف بالإرهاب فى تلك الدول .

وفى بعض الأحيان تؤدى الأحداث الداخلية فى قطر ما إلى أصداء خارجية فقيام الثورة الايرانية حدث داخلى أنهى حكم أسرة الشاه محمد رضا بهلوى وبداية حكم آيات الله من رجال الدين ، غير أن ما صاحب هذه الثورة من اضطراب فى الداخل أغرى العراق بسحب موافقتها على اتفاقية الجزائر الموقعة فى عام ١٩٧٥ ،

وترتب على ذلك قيام الحرب العراقية الايرانية (١٩٨١ - ١٩٨٨) دون خروج أحد الجانبين منتصرا ، وبموافقة العراق مرة أخرى على اتفاقية الجزائر بشأن تنظيم الملاحة فى شط العرب والحدود بينها وبين إيران ، وكل ما جناه الشعبان هو مئات الآلاف من القتلى وتشريد أعداد أكبر وتعطيل عمليات التنمية وتخريب شبكات البيئة الأساسية .

ثم قامت العراق بغزو الكويت فى ٢ أغسطس ١٩٩٠ ولم تنجح المحاولات العربية والدولية فى إثنائها عن ذلك واقناعها بالانسحاب ولكنها اضطرت إزاء تحالف دولى شاركت فيه الولايات المتحدة وعدد آخر من القوى الغربية والعربية ، إلى الانسحاب فى ٢٦ فبراير ١٩٩١ ، وأدى هذا الأمر إلى تعطيل طاقات عربية هائلة وحدوث شرخ فى العلاقات العربية وتدخل عربى لم يخل من أهداف لا تخدم المصالح العربية ، حتى أنه يمكن القول بأن هذا الأمر قد عطل مسيرة التنمية اقتصاديا ومسيرة الوحدة العربية سياسيا .

كما توجد اضطرابات داخلية فى كثير من أجزاء آسيا أدت إلى ظاهرات جديدة ، فمع المعاناة الشديدة لشعب فيتنام وبعض دول جنوب شرق آسيا تقوم الأسر بالهجرة الجماعية فى قوارب غير آمنة بقصد اللجوء إلى دولة ترعاهم وتكون بها فرص أكبر كاليابان حينا أو الولايات المتحدة حينا آخر والدول الأوربية ، ويقدر عدد هؤلاء بمئات الآلاف من فيتنام وحدها .

كما لا تزال مشكلة كشمير بلا حل وسببا فى توتر يتجدد دائما بين كل من الهند والباكستان ، وتقوم جماعات نمور التاميل فى سرى لانكا بحرب عصابات مستمرة ضد الحكومة تؤدى إلى فقدان الأمن وإلى مزيد من الضحايا من أبناء الشعب العزل .

ثالثا : الخريطة السياسية لأوربا :

على الرغم من أن الشعوب الأوربية التى خرجت فى أكبر حركة استعمارية عرفها التاريخ هى التى رسمت معظم الحدود السياسية للقارات الأخرى فإن أوربا نفسها تعرضت لكثير من التغيرات التى فرضتها العلاقات بين الدول الأوربية إلى حد كبير .

ويتضح من دراسة الخريطة السياسية أن القسم الغربى منها أكثر ميلا إلى الاستقرار فى حدوده من القسمين الأوسط والشرقى ، ومنذ مؤتمر فينا عام ١٨١٥ الذى عقد بعد انتهاء حروب نابليون حتى مطلع القرن العشرين كانت التغيرات قليلة نسبيا ، ولكن حدثين أساسيين قد أثرا على الخريطة فى تلك الفترة أولهما ظهور المانيا تحت زعامة بروسيا فى عام ١٨٧٠ وانفصال المانيا عن النمسا التى كانت جزءا من دولة كبيرة هى الإمبراطورية النمساوية المجرية ، وأما التغير الثانى فهو قيام الوحدة الايطالية فى عام ١٨٧٠ وأصبحت الدولة البابوية جزءا من إيطاليا وكان للنمسا فى ذلك الوقت مخرج على البحر المتوسط حين امتدت إلى الجنوب من جبال الألب والسيطرة على ميناء استريا Istria، وقد أدى تفكك الامبراطورية العثمانية إلى استقلال الأقاليم التى كانت تسيطر عليها فى جنوب شرقى أوربا وهى رومانيا ، والصرب واليونان كما أصبحت سيطرتها على بلغاريا اسمية فقط إلى حين ، وكما سبق فإن كل ما تبقى لتركيا فى عام ١٩٢٢ كان الجزء الذى يمثل ظهيرا لمدينة اسطمبول وهو تراقيا الشرقية .

وفى وسط أوربا أخذت ألمانيا الإلزاس واللورين من فرنسا عقب الحرب الفرنسية البروسية كما استولت على شلزويج وهولشتين من الدنمرك ، ولم ينجح الاتحاد الذى أقيم بمقتضى معاهدة فينا فى عام ١٨١٥ باسم اتحاد الاراضى المنخفضة ويضم كلا من بلجيكا وهولندا فقد انفصلتا فى عام ١٨٣٠ .

وفى الفترة التى تمتد بين مطلع القرن العشرين ونهاية الحرب العالمية الثانية حدثت كثير من التغيرات على الخريطة السياسية لأوربا ، بدأت عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى ، حيث ظهرت كل من فنلندا ، استونيا ، لا تفيا ولتوانيا ، بولندا ، تشيكوسلوفاكيا ، رومانيا ، بلغاريا ، الصرب ، ألبانيا واليونان وتعرضت كل من ألمانيا والإمبراطورية النمساوية المجرية لفقد أجزاء كبيرة من الأراضى التى كانت تسيطر عليها كل منهما وظهرت بولندا على أجزاء من كل من المانيا والنمسا وروسيا وأصبح لها اتصال بالبحر البلطى وهو الذى عرف باسم الممر البولندى ، وأنشئت مدينة دانزج الحرة فى محاولة لحل المشكلات الناتجة عن النزاع البولندى الألمانى ، ولكن ذلك الحل لم يكتب له النجاح وكانت بولندا قد ظهرت واختفت أكثر من مرة من خريطة أوربا السياسية وحين أعاد نابليون انشاء دوقية وارسو الكبرى لم تستطع أن تعيش بعد سقوطه فى عام ١٨١٥ فاستولت عليها روسيا القيصرية ، وفى عام ١٨٤٨ ضمت النمسا اخر جزء من الأراضى البولندية إليها ، ولم تعد بولندا إلى الظهور مرة أخرى إلا فى عام ١٩١٨ ، وفى مؤتمر الصلح بباريس جرت محاولات متعددة لتعديل الحدود على أسس لغوية وبذلك تم فصل بروسيا الشرقية عن بقية الأراضى الألمانية واستمر ذلك بين أعوام ١٩١٩ إلى ١٩٣٩ حين غزا هتلر بولندا فبدأت بذلك الحرب العالمية الثانية .

ويمكن إيجاز التطورات على الخريطة السياسية لألمانيا منذ الحرب العالمية الأولى وحتى إعادة توحيد ألمانيا فى ٣ أكتوبر ١٩٩٠ فيما يلى : -

١ - فى عام ١٩١٤ كانت ألمانيا تشمل مساحة واسعة ، وتطل على كل من البحر البلطى وبحر الشمال وتمتد من الإلزاس واللورين غربا حتى بروسيا فى الشرق ، وكانت تحدها من الشرق روسيا (القيصرية فى ذلك الوقت) ، وفى


أوربا
سياسية
٥٠٠ ميل ٠
فنلندا
الاتحاد
السوفيتي
السابق
السويد
النرويج
الدانمارك
بولندا
ألمانيا
فرنسا
رومانيا
بلغاريا
أسبانيا
البرتغال
ايطاليا
المملكة المتحدة
المحيط الأطلنطي
البحر الأبيض المتوسط

الشكل رقم (٢١)

جنوبها الامبراطورية النمساوية المجرية ثم سويسرا فى جنوبها الغربى ، وفى غربها كل من فرنسا وبلجيكا وهولندا ولكسمبورج ، وفى شمالها الدانمرك .

٢ - فى الفترة بين الحربين (١٩٢٠ - ١٩٣٨) تغيرت خريطة أوربا بعد الحرب العالمية الأولى ، وتفككت الامبراطورية النمساوية المجرية وظهرت مكانها كل من تشيكوسلوفاكيا والمجر والنمسا ، كما ظهرت بولندا التى أعطيت ممرا إلى البحر البلطى عرف بالممر البولندى أو ممر دانزج (جدانسك فيما بعد) ويفصل جزءاً من الأراضى الألمانية فى الشرق وهى بروسيا الشرقية عن بقية الأراضى الألمانية ، كما عدلت الحدود الشمالية لصالح الدانمرك ، وكذلك فقدت ألمانيا الإلزاس واللورين لفرنسا .

٣ - فى الفترة ١٩٤٥ - ١٩٩٠ ، أى بعد الحرب العالمية الثانية تقلصت مساحة ألمانيا بقدر أكبر ، حيث فقدت فى شرقها أرضا لصالح بولندا التى وسعت جبهتها البحرية على البحر البلطى ، كما توسعت أراضيها البرية ، وإلى جانب ذلك فقد قسمت الأراضى الألمانية إلى قسمين هما ألمانيا الشرقية التى خضعت لسيطرة الروس وألمانيا الغربية التى أصبحت تحت احتلال ثلاثى (أمريكى وبريطانى وفرنسى) أى أن الحلفاء اقتسموا احتلال الأراضى الألمانية ، كما خضعت العاصمة برلين للتقسيم ، بحيث سيطر الروس على برلين الشرقية وسيطر الحلفاء الغربيون على برلين الغربية .

وحين أعيد توحيد ألمانيا فى عام ١٩٩٠ كان ثمة عدد من الشكوك التى انتابت جيرانها الذين ضموا إلى رقعتهم أرضا ألمانيا ، وخاصة بولندا ، غير أن ألمانيا طمأنت الجميع باعترافها بالحدود السياسية الحالية مع بولندا وغيرها وأنها بذلك لا تميل إلى إعادة فتح ملف الحدود ، وقد أصبح عدد سكان ألمانيا الموحدة فى عام ١٩٩٢ ما جملته ٨٠,٢ مليون نسمة وهى بذلك أكبر الدول

الأوربية سكانا بعد روسيا ، غير أن ثمه موجة جديدة من العداء للأجانب بين الشباب الذين يطلق عليهم النازيون الجدد ، وقد تصاعدت الحملة مرات متعددة خاصة ضد الأتراك .

هذا وقد استردت فرنسا إقليم الإلزاس واللورين من ألمانيا وضمت الدنمرك نتيجة لإجراء استفتاء بين السكان جزءا من شلزويج ، أما الاقاليم الصغيرة - أوبن وملمدى Eupen & Malmedy فقد اقترعت بالانضمام إلى بلجيكا وضمت ممل Memelland إلى لتوانيا . ووصلت حدود إيطاليا إلى قمم جبال الألب بأن استولت على استريا التى خضعت للنمسا بعض الوقت ، وفى عام ١٩١٨ أعلنت أيسلندا استقلالها وإن بقيت موالية للتاج الدنمركى ثم انفصلت الاقاليم الجنوبية من جزيرة أيرلندا وتكونت جمهورية أيرلندا ، أما أيرلندا الشملية فقد ظلت جزءا من المملكة المتحدة وان كانت الحرب الاهلية بين الكاثوليك والبروتستانت قد استمرت طويلا حتى عقد اتفاق فى ١٩٩٤ بين الحكومة البريطانية والجيش الجمهورى الأيرلندى .

وفى اقصى شمال غرب أوربا انفصلت السويد والنرويج فى عام ١٩٠٥ بعد أن كانت النرويج تابعة للسويد وقد أعلنت السويد موافقتها على هذا الانفصال الذى أنهى الاتحاد بين الدولتين ، والذى كان قد بدأ فى عام ١٨١٤ .

ومن المشكلات التى ظلت قائمة لفترة طويلة بين ألمانيا وفرنسا مشكلة السار والرور فقد استولت عليهما فرنسا أكثر من مرة وفى عام ١٩٣٥ أجرى استفتاء بين سكان السار وعادت المنطقة بمناجمها إلى المانيا ولكن فى عام ١٩٤٥ وقعت تحت الاحتلال الفرنسى ثم عادت إلى ألمانيا فى عام ١٩٥٦ وفى يناير عام ١٩٥٧ أصبح الإقليم العاشر فى جمهورية ألمانيا الاتحادية ، أما إقليم الرور فقد احتلته فرنسا فى عام ١٩٢٧ ولكنه أعيد إلى ألمانيا بعد ذلك حيث يعتبر واحداً من أهم أقاليم ألمانيا الصناعية .

أثر سقوط الشيوعية :

على الرغم من أن النظام الداخلى لأى دولة أو مجموعة من الدول قد لا يؤثر بطريقة مباشرة على الخريطة السياسية ، إلا أن سقوط الشيوعية فى روسيا فى عام ١٩٨٩ ثم فى دول أوربا الشرقية بعد ذلك أدى إلى تغير ملحوظ فى الخريطة السياسية ، وبدرجة تفوق ما أحدثته بعض الحروب من تغيير فى هيكل الخريطة السياسية ، وإذا كان « الاتحاد السوفيتى » السابق قد تمكن لفترة طويلة من فرض سيطرته وسياسته على دول « المعسكر الشرقى » ، وكانت الجيوش الروسية تتدخل حينما تريد ، كما حدث فى المجر وفى تشيكوسلوفاكيا ، أو كما حدث فى أفغانستان ، فإن إعلان تفكك الاتحاد السوفيتى فى ديسمبر ١٩٩١ أدى إلى تغيرات واضحة فى خريطة أوربا السياسية على النحو التالى : -

١ - حل محل « الاتحاد السوفيتى » ١٥ دولة ، كونت عشر دول منها ما عرف باتحاد الدولة المستقلة أو الكمنولث الروسى ، هذا إلى جانب خمس دول أخرى آثرت الاستقلال وهى أزربيجان وجورجيا بين بحر قزوين والبحر الأسود فى منطقة القوقاز ، وجمهوريات البحر البلطى الثلاث استونيا ولتوانيا ولاتفيا .

وهذه الدول يمكن أن تقسم إلي مجموعات ثلاث :

المجموعة الأولى وتشمل روسيا نفسها أو جمهورية « روسيا الاتحادية الفيدرالية » كما كان يطلق عليها قبل ذلك ، وهى قوة أوربية وإن كانت قد امتدت إلى شرق الأورال فى سيبريا وإقليم بيكال وحتى الشرق الأقصى ، وهى أكبر الدول مساحة - على مستوى العالم - وأكبر دولة من حيث حجم السكان فى الاتحاد السوفيتى سابقا ، وهى دولة تملك أسلحة نووية متقدمة .

والمجموعة الثانية تضم دولا أوربية ، وقد انضمت أربع منها إلى الكمنولث الروسى وهى أرمينيا وروسيا البيضاء ومولدوفا وأوكرانيا وأما بقية الدول التسع

فهي أزربيجان وجورجيا ، إلى جانب دول البحر البلطى الثلاث استونيا ولتوانيا ولاتفيا ، وبعض هذه الدول تملك تكنولوجيا متقدمة وخاصة أوكرانيا وروسيا البيضاء .

وأما المجموعة الثالثة فهى تضم مجموعة دول آسيا الوسطى الإسلامية وهى أقل الدول تطورا فى الاتحاد السوفيتى السابق وتشمل جمهوريات كازاخستان وقرغيزيا وطاجيكستان وتركمينا وأوزبكستان .

هذا ، وقد حلت روسيا محل الاتحاد السوفيتى السابق فى عضوية الأمم المتحدة وحصلت على مقعد دائم في مجلس الأمن وأصبحت كل سفارات الاتحاد السوفيتى السابق فى الخارج تابعة لها ، ويلاحظ أن سياسة النظام الروسى السابق قامت على أساس نشر « الروس » داخل كل أجزاء الاتحاد السوفيتى السابق ، ولهذا يوجد ٢٥ مليون روسى يعيشون فى الجمهوريات الأخرى ، ويمكن لهؤلاء أن يمثلوا عنصر قلق فى المستقبل .

ومن المشكلات التى ترتبت على تفكك الاتحاد السوفيتى صحوة القوميات التى ظنت الشيوعية أنها قضت عليها ، وأدى ذلك إلى مناداة كثير من القوميات الصغيرة التى عانت من الحكم المركزى فى ظل الاتحاد السوفيتى نادت هذه القوميات بالاستقلال داخل أوطان مستقلة ، ومن هذه الاقاليم ناجورنو كاراباخ Nagorno Karabakh وأبخازيا Abkhazia والشيشان والأنجوش وغيرها من الأقاليم ، غير أن السياسة التى يقوم عليها الاتحاد الروسى الجديد قد تعاملت مع هذه الرغبات فى الاستقلال بعنف واضح وخاصة مع الشيشان المسلمين ، ويلاحظ أن ما لقيه المسلمون من عنف فى ظل الاتحاد السوفيتى ، قد أثمر مخاوف من تسرب ما يطلق عليه « الأصولية الإسلامية » إلى هؤلاء السكان ، أما أكبر الفائزين من تفكك الاتحاد السوفيتى فكان جمهوريات البحر البلطى استونيا

ولتوانيا ولاتفيا التى لم تعترف بعض الدول الغربية أصلا باحتلال الاتحاد السوفيتي لأراضيها ، وقدمت إليها المعونات فور إعلاتها الاستقلال

٢ - في ديسمبر ١٩٩١ أعلنت أربع من الجمهوريات الست التى كانت تشكل دولة يوغوسلافيا أنها ترغب فى أن تكون جمهوريات مستقلة وأعضاء فى المجتمع الدولى وهذه الجمهوريات هى البوسنة والهرسك ، كرواتيا ، مقدونيا ، وسلوفينا ، بينما آثرت الجمهوريتان الباقيتان وهما صربيا والجبل الأسود أن يحتفظا باسم يوغوسلافيا .

وكانت يوغوسلافيا دولة ملكية حتى عام ١٩٤١ ثم أصبحت جمهورية اشتراكية تحت زعامة تيتو منذ عام ١٩٤٥ ، وأكبر المشكلات التى نتجت عن تفتت يوغوسلافيا السابقة أن الجمهوريات الست تتشابك فيها مختلف الأعراق مما يؤدى إلى خليط متنافر من اللغات والثقافات هذا إلى جانب وجود كل من المسلمين والمسيحيين معا ، ولم تستطع الشيوعية أن تمحو العداوات التى تفشت بينهم ،، كما أن جيش الدولة الشيوعية السابقة كان معظمه من الصرب الذين احتفظوا بأسلحتهم وكون كل من الصرب والكروات فى جمهورية البوسنة والهرسك التى أعلنت استقلالها فى ٢٧ مارس ١٩٩٢ ، كون هؤلاء فرقا وأعلن كل فريق منهم انضمامه إلى الدولة التى تمثل أغلبية عرقية له ، أى أن صرب البوسنة أعلنوا انضمامهم إلى صربيا ، كما أعلن كروات البوسنة انضمامهم إلى كرواتيا ، وهكذا وجدت جمهورية البوسنة والهرسك نفسها فى حرب منذ إعلان مولدها ، وبرغم الوجود الرمزى لقوات من الأمم المتحدة لحفظ السلام ، إلا أن هذه القوات نفسها لم تسلم من اعتداءات الصرب على نحو خاص على مقار الأمم المتحدة أو على ما أطلق عليه « مناطق آمنة » لا يجوز الاعتداء عليها .

ونظرا لتطبيق الصرب لسياسة « التطهير العرقى » فقد فر مئات الآلاف من

المسلمين نتيجة للمذابح وحالات الاغتصاب التى تمت من الصرب ، وقدر عدد اللاجئين بحوالى ٧٥٠,٠٠٠ من البوسنة والهرسك إما إلى كرواتيا أو خارج يوغوسلافيا السابقة كلية إلى دول أوربية أخرى أو إلى خارج أوربا .

ولدولة البوسنة والهرسك ساحل قصير للغاية فهى دولة شبه مقفلة وتحيط بها من الشمال والغرب كرواتيا ، أما فى الجنوب فتوجد جمهورية مقدونيا وهى دولة مقفلة لا سواحل لها ، وهى لم تنل اعتراف معظم دول العالم نظرا لأن اليونان احتجت على اسم الدولة لأن إقليم شمال اليونان يعرف باسم مقدونيا ، وتخشى اليونان أن يكون اسم هذه الدولة الجديدة مقدمة لأطماع إقليمية بالتوسع فى إقليم مقدونيا اليونانى مستقبلا .

وصربيا نفسها دولة داخلية إلا أن اتحادها مع الجبل الأسود جعل لها سواحل على البحر الأدرياتى ، ويوجد إقليمان يتمتعان بالحكم الذاتى فى صربيا وهما فوفيدنيا فى الشمال وكوسوفو فى الجنوب ، وحتى نهاية عام ١٩٩٥ فإن السلام لم يتحقق بعد فى الجمهوريات التى قامت على أرض يوغوسلافيا السابقة .

٣ تقسيم تشيكوسلوفاكيا ، وقد ظهرت تشيكوسلوفاكيا كدولة عقب انهيار الامبراطورية النمساوية المجرية بعد الحرب العالمية الأولى ، وكانت تمتد إلى الشرق متضمنة إقليم روتينيا الذى استولت عليه روسيا أثناء الحرب العالمية الثانية وضمته إليها ليكون لها اتصال مباشر مع المجر ، وكان عدد الألمان كبيرا جدا فى هذه الدولة ، حتى أنها طردت منهم أعداداً ضخمة فى عام ١٩٤٥ ، غير أن عدم التوازن بين كل من أعداد وأراضى التشيك والسلوفاك كان من مشكلات هذه الدولة ، هذا إلى جانب الأثر الجغرافى والاقتصادى لألمانيا عليها وهو ما لم يكن مبعث رضى لعنصر التشيك على نحو خاص .

وكان السلوفاك يعتبرون أنفسهم أقل حظا بالاتحاد مع التشيك وأنهم مواطنون من الدرجة الثانية ، فى الوقت الذى كان التشيك ينظرون فيه إلى السلوفاك على أنهم لا يرضون بما ينقل إليهم من موارد الجزء الغربى الذى يمثل

أراضى التشيك إلى أراضيهم التى تشغل الثلث الشرقى الفقير ، وأن السلوفاك يعوقون تقدم الدولة وتطورها .

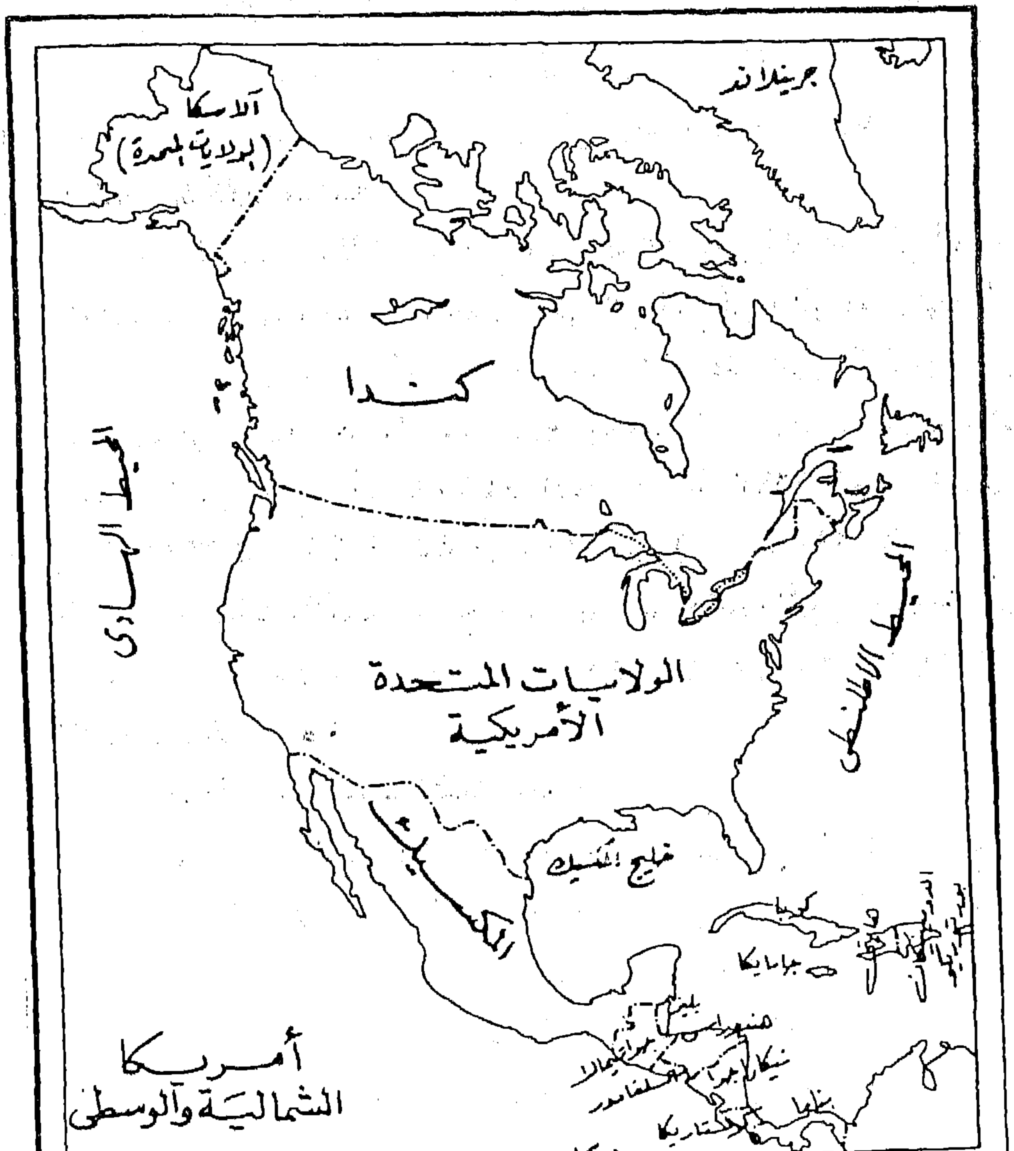
وفى عام ١٩٩٢ كانت العقول مهيأة بعد سقوط الشيوعية فى عام ١٩٨٩ لتعيش كل قومية من القوميتين فى الوطن الذى يضمها ، وقررت المؤسسات التشريعية والنيابية حدوث هذا الانقسام الذى أصبح سارى المفعول فى أول يناير ١٩٩٣ ، ويمكن القول بأنه انقسام تم فى هدوء ودون مشكلات كتلك التى صاحبت عزق كل من الاتحاد السوفيتى أو يوغوسلافيا ، ومع ذلك فإنه لا يزال يوجد ٣٠٠,٠٠٠ من السلوفاك الذين يعيشون فى جمهورية التشيك ، كما يوجد حوالى ٥٠,٠٠٠ من التشيك الذين يعيشون على أرض سلوفاكيا ، وقد تثير هذه الأقليات مشكلات مستقبلا .

ومن الغريب أن هذا التمزق فى دول أوربا الشرقية يقابله اتجاه إلى الوحدة الاقتصادية فى أوربا الغربية ، التى تسعى إلى قيام أوربا الموحدة ، فبعد أن قامت السوق الأوربية المشتركة ابتداء من عام ١٩٥٧ على إثر اتفاقية روما من ست دول هى بلجيكا وهولندا ولكسمبورج وإيطاليا وفرنسا وألمانيا الغربية ، ثم انضمت كل من الدنمرك وأيرلندا والمملكة المتحدة فى عام ١٩٧٣ وانضمت اليونان فى عام ١٩٨١ ثم اسبانيا والبرتغال فى ١٩٨٦ وفى ١ / ١ / ١٩٩٥ أنضمت كل من النمسا وفنلندا والسويد وأصبح اسم السوق هو الاتحاد الأوربى ، وينتظر أن تنضم إليه دول أخرى بعضها كان من بين دول أوربا الشرقية التى تحولت إلى اقتصاديات السوق الحرة .

رابعا : الخريطة السياسية للعالم الجديد :

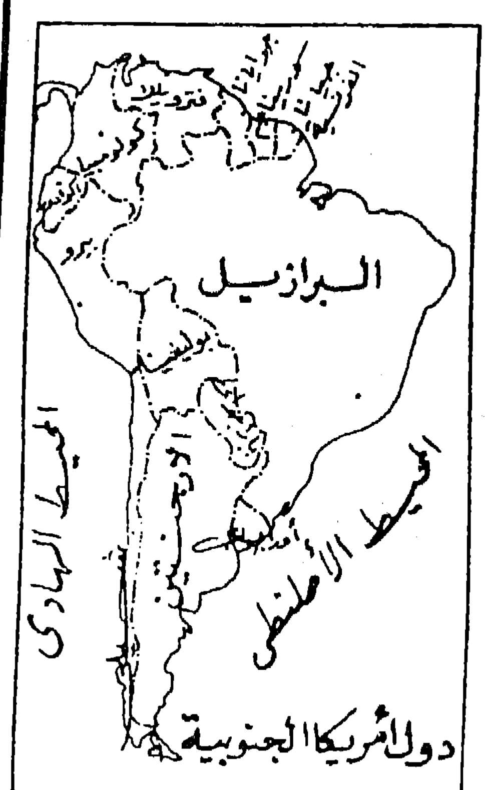
يضم العالم الجديد كلا من الأمريكتين وأستراليا وعديدا من الجزر ومجموعات الجزر فى هذه القارات وقد خضعت كل أجزاء هذا العالم الجديد للاستعمار الأوربى ، وعلى الرغم من أن السكان الاصليين فى تلك القارات جميعا كانت لبعضهم - خاصة فى أمريكا الوسطى والجنوبية - حضارات وأنظمة سياسية إلا أن التنظيم السياسى الكامل تم بواسطة الشعوب الأوربية التى هاجرت ملايين

من سكانها واستقرت فى هذه الأجزاء وأصبحت تشكل قوميات جديدة منفصلة عن أصولها القديمة ، وقد استقلت هذه الدول فى معظمها عن القوى الأوربية وإن بقيت اللغات الأوربية التى انتقل الافراد من أوطانها الأصلية حيث توجد الإنجليزية والاسبانية والبرتغالية والإيطالية فى معظم دول العالم الجديد كلغات قومية ، حتى أصبحت التفرقة على أساس لغوى بين أمريكا الشمالية أو الأنجلو ساكسونية وأمريكا اللاتينية أى أمريكا الوسطى والجنوبية،أمرا مستقرا .



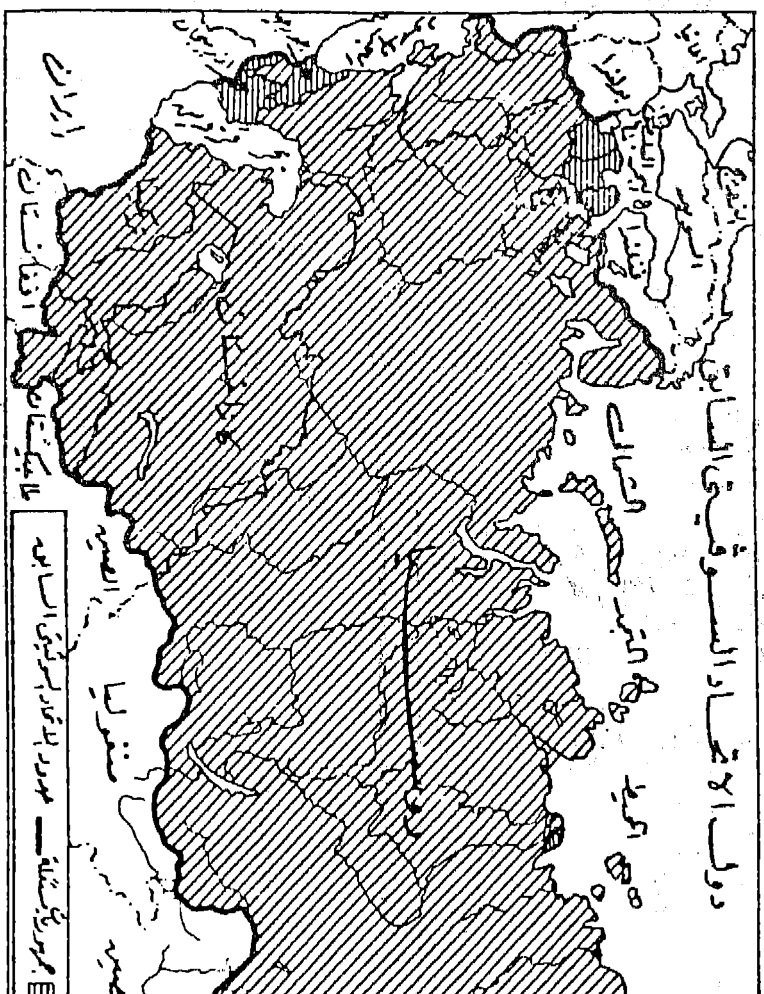
شكل رقم (٢٢)

وعلى الرغم من حداثة ظهور الدول في العالم الجديد ، إلا أن الولايات المتحدة تمثل قوة كبرى فى عالمنا المعاصر ، كما أن عددا كبيرا من الدول الأخرى تمثل قوى اقتصادية تلعب أدوارا هامة فى السياسية والتجارة الدولية ، فيما عدا استراليا التى تحتل قارة كاملة فإن كلا من الأمريكتين ينقسم إلى عدد من الوحدات السياسية ، والعلاقات بين هذه الوحدات في معظمها علاقات طيبة وإن كان التوتر يحدث أحيانا ، وربما يكون أهم اسباب التوتر بين هذه الدول فى السنوات الاخيرة ما يتصل بالخلافات المذهبية فقد أعلنت بعض الحكومات مثل كوبا وشيلى - لبعض الوقت - اتخاذ الماركسية مذهبا سياسيا واقتصاديا لها وأدى ذلك إلى ازمة الصواريخ الروسية المشهورة فى كوبا عام ١٩٦٢ ، واضطر الاتحاد السوفيتى إلى سحب صواريخه من الجزيرة ، أما الحكم الماركسى فى شيلى فلم يستمر طويلا ، ويلاحظ أن الانقلابات العسكرية أمر مألوف فى معظم دول امريكا اللاتينية على عكس الحال في أمريكا الشمالية واستراليا التي استقرت أحوال الحكم بها منذ فترة طويلة .

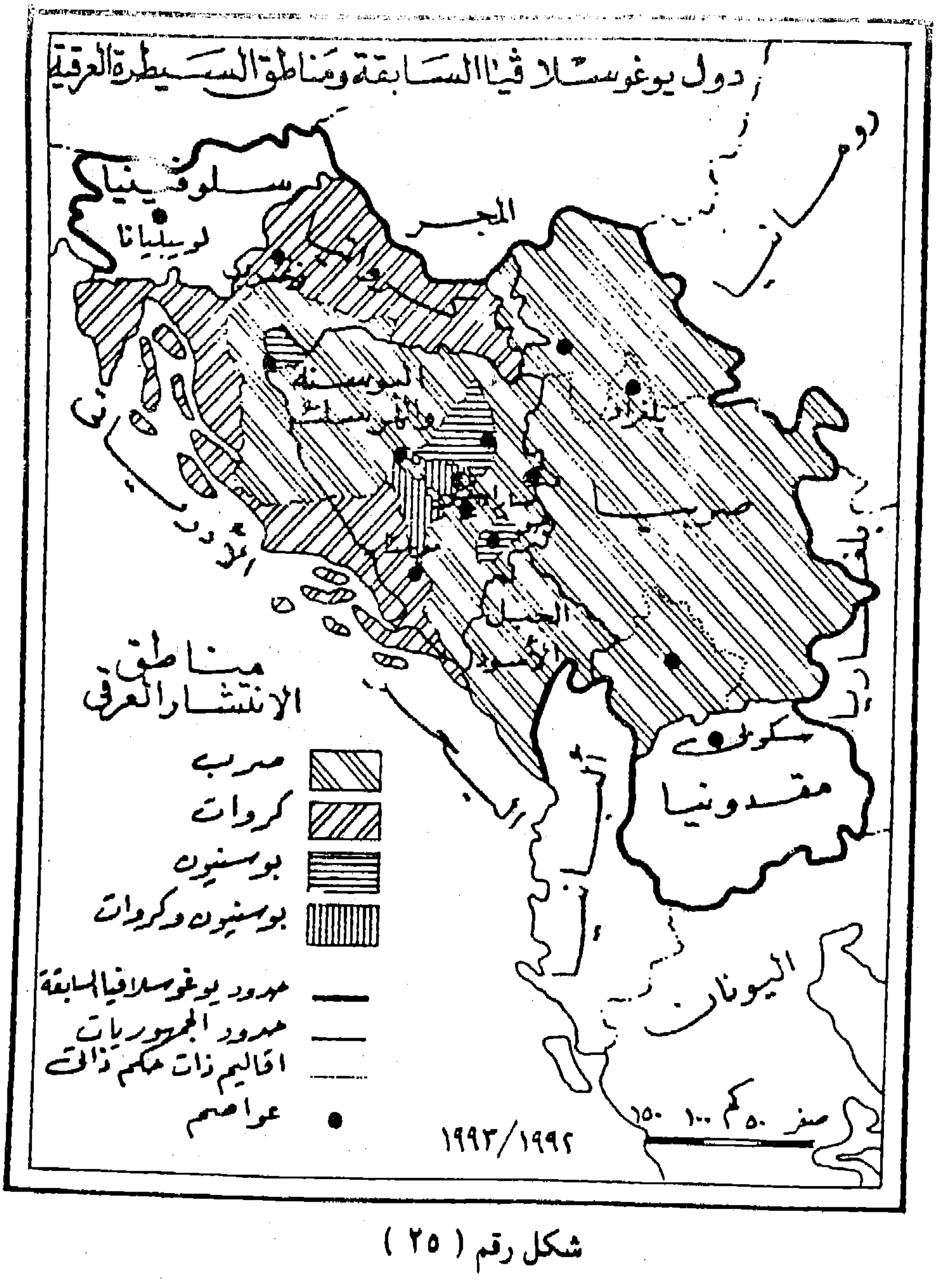


شكل رقم (٢٣)

وقد ظلت أمريكا الجنوبية لفترة طويلة تتكون من عشر جمهوريات وثلاث مستعمرات وهي جيانا الهولندية وجيانا البريطانية وجيانا الفرنسية ، وقد استقلت المستعمرتان الهولندية تحت اسم سورينام والبريطانية تحت اسم جرايانا واصبحتا من أعضاء الامم المتحدة .



شكل رقم (٢٤)



شكل رقم (٢٥)

خامسا : المستعمرات والأقاليم التابعة :

ظلت خريطة العالم السياسية حتى منتصف القرن العشرين تقريبا مظللة بألوان توضح المستعمرات التى كانت فيها قارات كاملة أحيانا موزعة على قوى

الدول الاستعمارية وخاصة الامبراطوريات البريطانية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية ، والهولندية والإيطالية وفى بعض الوقت الألمانية واليابانية ، غير أن رياح الاستقلال كانت تؤدى إلى تعديلات دائمة على خريطة العالم السياسية بانضمام دول جديدة إلى قائمة الدول المستقلة وتقلص أعداد ومساحات المستعمرات .

ولا تزال توجد حتى الآن بعض البقايا لجيوب من المستعمرات التى تشغل فى معظم الأحيان مساحات محدودة ودولا صغيرة من حيث الحجم السكانى ، والمستعمرات ومناطق النفوذ التى لا تزال باقية حتى الآن هى كما يلى موزعة حسب القوى المسيطرة عليها : -

(أ) أقاليم تابعة للمملكة المتحدة :

١ - أنجويلا Anguilla فى البحر الكاريبى

٢ - برمودا Bermuda شمال الأطلنطى

٣ - جزر فيرجن Brit . Virgin بالبحر الكاريبى

٤ - جزر كايمان Cayman بالبحر الكاريبى

٥ - جزر فوكلاند Falkland جنوب غرب الأطلنطى

٦ - جبل طارق Gibraltar جنوب أيبيريا

٧ - جورنسى Guernsey بشمال غرب أوربا

٨ - هونج كونج Hong Kong ساحل الصين

٩ - جزيرة مان Isle of Man جنوب بريطانيا

١٠ - جرزى Jersey شمال غرب أوربا

١١ - مونتسيرات Montserrat بالبحر الكاريبى

١٢ - جزيرة بتكارين Pitcairn بجنوب الأطلنطى

١٣ - سانت هيلانة Saint Helena بجنوب الأطلنطى

١٤ - جزر تركس وكيكوس Turks and Caicos بالبحر الكاريبى

(ب) أقاليم تابعة لفرنسا

١ - جيانا الفرنسية Fr. Guiana شمال أمريكا الجنوبية

٢ - بولنيزيا Polynesia جنوب المحيط الهادى

٣ - جواديلوب Guadelope بالبحر الكاريبى

٤ - المارتنيك Martinique بالبحر الكاريبى

٥ - مايوت Mayotte بجزر القمر

٦ - كاليدونيا الجديدة New Caledonia جنوب المحيط الهادى

٧ - ريونيون Réunion بالمحيط الهندى

٨ - سانت بيير وميكلون St. Pierre and Miquelon شمال الأطلنطى

٩ - واليس وفوتونا Wallis and Futuna بجنوب المحيط الهادى

(جـ) الولايات المتحدة الأمريكية:

١ - ساموا الأمريكية Am. Samoa جنوب المحيط الهادى

٢ - جوام Guam شمال المحيط الهادى

٣ - ماريانا س الشمالية N. Marianas شمال المحيط الهادى

٤ - بالاو Palau شمال المحيط الهادى

٥ - بورتوريكو Puerto Rico بالبحر الكاريبى

٦ - جزر فيرجن الأمريكية (.Virgin Islansd(U.S بالبحر الكاريبى

(د) أستراليا

١ - جزيرة كريسماس Chrismas بالمحيط الهندى

٢ - جزر كوكوس (كيلنج) (Cocos(Keeling بالمحيط الهندى

٣ - جزيرة نورفولك Norfolk بالمحيط الهادى

(هـ) نيوزيلاند

١ - جزر كوك Cook جنوب المحيط الهادى

٢ - نيو Niue جنوب المحيط الهادى

٣ - توكيلاو Tokelau جنـب المحيط الهادى

(و) هولندا

١ - آروبا Aruba بالكاريبى

٢ - الانتيل الهولندية Ne. Antilles بالكاريبى

(ر) - الدنمرك :

١ - جزر فويرو .Faeroe شمال الأطلنطى

٢ - جرينلاند Greenland شمال الأطلنطى

(حـ) النرويج

١ - جان ماين Jan Mayen المحيط القطبي الشمالي

٢ - سفلبارد Svalbard المحيط القطبي الشمالي

(ط) البرتغال

١ - مكاو Macau ساحل الصين

(ى) إسبانيا

١ - سبتة ومليلة مدن بالمملكة الغربية

سادسا : القارة القطبية الجنوبية

تبلغ مساحة القارة القطبية الجنوبية ١٤,٢٠٠,٠٠٠ كيلو متر مربع ، وهي مغطاة بكميات هائلة من الجليد المتراكم بما يمثل ٩٠ ٪ من جملة هذا الجليد على الأرض ، ويقدر بحوالى ٣٥ مليون كيلو متر مكعب ، وبمتوسط سمك حوالى ٢٠٠٠ متر ، وقد تكون هذا الجليد منذ حوالى ٤٠ مليون سنة .

ويؤثر تراكم الجليد والتيار البارد الذى ينتج عنه فى المحيط الجنوبى الذى يشمل الأجزاء الجنوبية من كل من المحيطات الهادى والأطلنطى والهندى ، يؤثر ذلك فى مناخ العالم ، كما أن غنى التيار البارد بالغذاء يؤثر فى مصادر الأسماك وحركة الصيد .

ولفترة طويلة كانت القارة القطبية الجنوبية تظهر على الخرائط وكأنها مقسمة بين عدد من الدول ذات المصالح ، وكانت خطوط السيطرة تخرج من نقطة القطب الجنوبى فى شكل خطوط هندسية مستقيمة تتفق مع خطوط الطول غالبا ، فمثلا كانت المنطقة التى تدعى النرويج السيطرة عليها تمتد بين خط طول ٤٥° شرقا وخط ٢٠° غربا حيث تبدأ المنطقة التابعة لبريطانيا والتى تمتد بين ٢٠° غربا و ٨٠° غربا ، وهكذا .

غير أن أهم ما كان يوجد على هذه المساحة الهائلة هو محطات ومراكز البحوث التى تديرها بعض المؤسسات العلمية والعسكرية للدول ذات الاهتمام ، وكانت توجد كثير من الادعاءات عن حقوق فى ملكية مساحات من القارة القطبية الجنوبية دون وجود فعلى على هذه المساحات الهائلة الخالية من السكان وإن كانت مسرحا للحيوان البرى .

وفى أول ديسمبر ١٩٥٩ وقعت معاهدة بين الدول المعنية وعددها ١٢ دولة وعرفت بمعاهدة القارة القطبية الجنوبية وتقصر بنود المعاهدة استخدامات القارة القطبية الجنوبية على الأهداف والبحوث العلمية غير العسكرية ، وهذه الدول هى الأرجنتين ، استراليا ، بلجيكا ، شيلى ، فرنسا ، اليابان ، نيوزيلند ، جنوب إفريقيا ، الاتحاد السوفيتى ، المملكة المتحدة والولايات المتحدة .

وتمثل هذه المعاهدة أمرا غير مسبوق في الدبلوماسية الدولية ،وهى تحظر أى أدعاءات بحقوق الملكية فى أنحاء القارة القطبية الجنوبية فى المستقبل وتنص على حظر إجراء التجارب النووية أو دفن النفايات النووية على أى مسطحات فى القارة ، كما يصيدق شرط حظر إجراء التجارب النووية حتى دائرة عرض ٦٠° جنوبا فيما عدا أعالى البحار التى تخضع للقانون الدولى ، وأن من حق دول العالم جميعا أن تتحقق من عمليات تطبيق بنود المعاهدة .

كما رفضت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى رفضا قاطعاً أى مطالب إقليمية فى أراضى القارة ، وكانت قد رفعت بعض القضايا ، نتيجة للمنازعات والمطالب الإقليمية بين عدد من الدول مثل الأرجنتين وشيلى أمام محكمة العدل الدولية .

ثم تزايد عدد الدول الموقعة على اتفاقية القارة القطبية الجنوبية إلى ٣٢ دولة ، كما أن القرارات التى اتخذها كل من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم

المتحدة وبقية المنظمات الدولية تقرر أن أى ثروات أو معادن يمكن اكتشافها مستقبلا فى القارة القطبية الجنوبية تخضع لنظام استثمار يجب أن يضع فى اعتباره دول العالم جميعا التى يمكن أن ينالها نصيب من هذه الثروة ، أى ألا تكون حكرا لعدد من الدول الكبرى بل لكافة الدول الأعضاء فى المجتمع الدولى .

مراجع عامة

١ - أحمد على إسماعيل ، أسس علم السكان ، وتطبيقاته الجغرافية ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

٢ - أحمد على إسماعيل وآمال اسماعيل شاور ، افريقيا المعاصرة ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

٣ - صلاح الدين بحيرى، مبادىء الجغرافيا الطبيعية، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٨ .

٤ - محمد صبحى عبد الحكيم ، دراسات فى الجغرافيا العامة ، النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٥ - محمد صفى الدين أبو العز، قشرة الأرض ، الهضنة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

٦ - مصطفى الشلقانى ، طرق التحليل الديموجرافى ، مطبوعات ، جامعة الكويت ، ١٩٨٢ .

7 - Boggs , S.W. , International Boundaries , Columbia Univ. Press , New York , 1940 .

8 - De Blij , Harm , Human Geography , John Wiley , New York , 1977 .

9 - Ehrlich , P.R.et al , Ecoscience , Populqtion , Resources , Environment , Freeman , San Francisco , 1977 .

10 - Encyclopaedia Britannica , Book of the Year 1994 , Chicago . 1993 .

11 - Finch, V.C. et al, Elements of Geography, Tosho, Tokyo , 1957.

12 - Kosinski , I .A . and Brothero , R.M. , People on the Move , Methuen, London, 1975 .

13 - Monkhouse , F.J. , and Wilkinson , Maps and Diagrams , Methuen , London , 1966 .

14 - Strahler , A.N. and Strahler , A.H. ,Modern Physical Geography , John Wiley , Toronto , 1978 .

15 - Stamp , L.D. , The World , A General Geography , Longmans , London , 1960 .

16 - Valkenburg , S . V . and Stety , K . , Elements af Political Geography ,Printce - Hall , New Jersey , 1960 .

فهرس الخرائط والأشكال

فهرس الموضوعات